القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10833 الأحد 11 كانون الأول (ديسمبر) 2022 – 17 جمادى الأولى 1444 هـ
Volume 34 - Issue 10833 Sunday 11 December 2022

حوار: الأسيرة الفلسطينية إسراء جعابيص

عين وزين اللبنانية: تاريخ محفور بالصخر

ملف مونديال الدوحة: حبس الأنفاس

«المساواة» مخطط بن غفير للمسجد الأقصى 03

تحقيق: تصادم مصالح دولية في سوريا 28

دراسة مفاجئة: البطاطس والبندورة يقاومان السرطان 40

السودان: الاتفاق والإطار العالق

وقّع الجنرالات في مجلس السيادة السوداني اتفاقاً إطارياً مع «قوى إعلان الحرية والتغيير» – مجموعة المجلس المركزي وبعض الأحزاب والنقابات المتحالفة معها، يؤسس لمرحلة انتقالية مدتها 24 شهراً، ويستند في الخلفية العريضة إلى مسودة وثيقة دستورية سبق أن أعدتها نقابة المحامين. غير أن العديد من المشكلات التي كانت بعض السبب في التأزم لم يتطرق الاتفاق إلى علاجها، خاصة إعادة العسكر إلى الثكنات، وطي صفحة انقلاب تشرين الأول (أكتوبر) 2021، واتفاقية سلام جوبا، والحركات المسلحة، والأمن في غرب السودان، وسواها. وبين التفاؤل بهذه الخطوة، والاعتراض عليها من جانب لجان المقاومة والحراك الشعبي، لا يلوح أن تطبيق بنود الاتفاق سوف يكون يسيراً أو خالياً من عوائق جدية كفيلة بتعطيله أو حتى تفجيره.

(حدث الأسبوع 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

ثلاث قمم في قمة: الصين تتوغل في العالم العربي على بساط من الحرير

أمريكا لا تنظر بعين الرضا إلى التقارب الصيني مع حليفتها السعودية، إلا أنها لا ترغب بفتح أزمة مع الرياض في الظرف الراهن.

رشيد خشانة

عندما يصل الزائر إلى مدخل ميناء المياه العميقة بشرشال (غرب الجزائر) يُلاحظ لوحة كبيرة كُتبت عليها بين الراايتين الجزائرية والصينية، هذه العبارة: «رباط الصداقة يجمعنا دائما... معاً نُحقق طريق الحرير» باللغة العربية والصينية والفرنسية. ويدلُّ إنجاز هذا المشروع العملاق، الذي ينافس ميناء طنجة المغربي، على أهمية الدور الذي باتت تقوم به الصين في الجزائر، وهي أكبر دولة مغاربية، حيث أزاحت فرنسا من موقع الشريك الاقتصادي الأول للجزائريين. ومشروع ميناء شرشال، الذي تقدر كلفته بستة مليارات دولار، سيُستكمل إنشاؤه العام المقبل، ويعدُّ الأكبر متوسطيا والخامس عالميا.

ومع التطور السريع للعلاقات الثنائية، انضمت الجزائر إلى طريق الحرير الصيني، وما تضمنه من مشاريع استراتيجية. وفي خط مُواز تفاقم غزو المنتجات الصينية للجزائر وبلدان الجوار، فصارت المصدر الرئيس لتموين الأسواق المغاربية الموازية، مُحطمة السلع الأوروبية، العاجزة عن منافسة منتجات ذات أسعار زهيدة، تُناسب إمكانات الفئات الفقيرة وحتى المتوسطة. بالمقابل تحتاج الصين لاستقطاب استثمارات طاقية، تقليدية وغير تقليدية وأخرى متجددة، وهي تجد مثل تلك التمويلات لدى دول الخليج.

أكبر مستهلك للنفط

على هذه الخلفية ما فتئ الحضور الصيني يتوسع ويتمدد في كافة أرجاء العالم العربي، ويمنح مساعدات وقروضا مُيسرة، ويبني شراكات اقتصادية وسياسية وعسكرية مع دول المنطقة، على حساب القوى التقليدية الغربية. من هنا استطاع السعوديون إدماج ثلاث قمم في واحدة، بين السابع والتاسع من الشهر الجاري، الأولى ثنائية سعودية صينية والثانية عربية صينية والثالثة خليجية صينية. وأتت «القمة العربية الصينية الأولى للتعاون والتنمية» لتُضفي بعدا سياسيا واستراتيجيا على العلاقات الاقتصادية بين بكين والعالم العربي. وتُعزى مبادرة السعودية بإقامة القمم الثلاث في الرياض، إلى حجم الروابط الاقتصادية العميقة بينهما، إذ تعتبر الصين أكبر مستهلك للنفط السعودي.

وأعلنت «شركة الزيت العربية السعودية» (أرامكو) إحدى كبرى الشركات العالمية في مجال الطاقة، ومجموعة شاندونغ الصينية للطاقة، عن استكشاف فرص للتعاون في مجال التكرير والصناعات البتروكيميائية في الصين. وتوصلت الشركتان إلى التوقيع على مذكرتي تفاهم تتضمن الأولى اتفاقية لتوريد النفط الخام، واتفاقية ثانية لشراء منتجات كيميائية، ما يُعزز دور «أرامكو» السعودية في بناء قطاع مزدهر للتكرير والبتروكيميائيات في مقاطعة شاندونغ الصينية. ويمتد نطاق مذكرة التفاهم ليشمل التعاون عبر التقنيات المتعلقة بالهيدروجين، ومصادر الطاقة المتجددة، واحتجاز الكربون وتخزينه.

تموقع جديد

ويسعى السعوديون من خلال «أرامكو» إلى التموقع في أعماق قطاع الطاقة الصيني، من أجل خلق مسارات جديدة للنّمو، في بلد يقود التكامل المتزايد لعمليات التكرير والبتروكيميائيات وسير مصادر الطاقة المتجددة، وهي مجالات رئيسية «ستشكل المستقبل المشترك للقطاع» حسب محمد القحطاني نائب رئيس «أرامكو». وتُعزز هذه الاتفاقية جهود الشركة السعودية لتلبية الطلبات الصينية على الطاقة والبتروكيميائيات والمواد اللامعدنية، مع سعيها لتوسيع طاقتها في مجال تحويل السوائل إلى مواد كيميائية لتبلغ 4 ملايين برميل في اليوم بحلول العام 2030. أكثر من ذلك شكلت القمة السعودية الصينية وزيارة الرئيس الصيني شي جين بينغ إلى الرياض مناسبة للتوقيع على شراكة إستراتيجية للتعاون في مجالات الاقتصاد الرقمي. وأفصح الصينيون في القمة عن رغبتهم بتدفق الاستثمارات من السعودية والجزائر بالأساس، لتطوير صناعة النفط الصينية.

وتدلُّ كثافة الزيارات المتبادلة بين زعيمي الصين والسعودية، في السنوات الأخيرة، على الأهمية التي يوليها كل طرف للعلاقات مع الطرف الثاني، إذ زار الرئيس الصيني شي جين بينغ السعودية في كانون الثاني/يناير 2016 قبل أن يزور الملك سلمان الصين في آذار/مارس 2017 وهو قليل الزيارات للخارج. ولعل الزيارة الأهم هي تلك التي أداها ولي العهد رئيس مجلس الوزراء السعودي الأمير محمد بن سلمان، للصين في شباط/فبراير 2019 باعتبارها مهدت للتوصل إلى اتفاقية الشراكة الاستراتيجية الحالية. لكن الطريف أن السعودية ذكرت الحزب الشيوعي الصيني بخير في البيان المشترك، الصادر في أعقاب القمة السعودية الصينية، إذ ورد فيه أن الجانب السعودي «هنأ الصين بنجاح المؤتمر الوطني العشرين للحزب الشيوعي الصيني» وهو موقف جديد من نظام سياسي يرفض التعددية الحزبية، خصوصا أن الأمر يتعلق بحزب يعتنق الشيوعية.

المغرب نقطة محورية؟

وكانت الصين وعدت في الدورة الثالثة للمنتدى الصيني العربي في أيلول/سبتمبر الماضي، بتطوير تعاون متين وأخضر ودائم مع العالم العربي بوصفه مجالا حيويا يستوعب توسعها الاقتصادي والاستراتيجي. وفي شمال أفريقيا تحديدا يأمل الصينيون أن يشكل المغرب نقطة انطلاق محورية لتحقيق أهداف مبادرة «الحزام والطريق» التي أطلقها الرئيس الصيني في العام 2013 على صعيد المنطقة المغاربية. وبمناسبة الزيارة التي قام بها الملك محمد السادس لبكين العام 2016 تم التوقيع على الشراكة الاستراتيجية الشاملة بين البلدين، التي شكلت محطة جديدة في مسار العلاقات الثنائية.

وتقوم مبادرة «الحزام والطريق» التي تعرف أيضا باسم طريق الحرير الجديد، أو طريق الحرير للقرن الحادي والعشرين، على ضخ استثمارات ضخمة لتطوير البنى التحتية للممرات الاقتصادية العالمية، بُغية ربط أكثر من سبعين دولة في ما بينها. وكان الرئيس الصيني أطلق هذه المبادرة في العام 2013 وهي ترمي إلى إنشاء حزام بري من سكك الحديد والطرق عبر آسيا الوسطى وروسيا، إضافة إلى طريق بحري يسمح للصين بالوصول إلى أفريقيا وأوروبا، بكلفة إجمالية تبلغ تريليون دولار. وبتعبير آخر فإن الصين التي توصف بكونها مصنع العالم، ستستفيد من هذا الانجاز في تسييل الطرق المؤدية إلى الأسواق العالمية، واستطرادا تعزيز ولوج صادراتها إلى مختلف دول العالم.

دول البريكس

كما تنص اتفاقية 2017 بين المغرب والصين على تعهد الشركات الصينية الكبرى بالاستثمار في المغرب، خصوصا في صناعة السيارات والطيران والتكنولوجيا الفائقة والبنية التحتية والتجارة الإلكترونية والصناعة الزراعية والنسيج. ومما لاريب فيه أن أمريكا لا تنظر بعين الرضا إلى التقارب الصيني مع حليفتها السعودية، إلا أن واشنطن لا ترغب أيضا بفتح أزمة مع الرياض في الظرف الراهن، لأن الجانب الاقتصادي هو الطاغي في نتائج القمم الثلاث التي استضافتها السعودية، ولأن الملفات المفتوحة مع روسيا وإيران ودول أخرى لا تُتيح للأمريكيين المناخ الملائم لإجراء جردة حساب مع بكين. أكثر من ذلك، بدا وكأن الأمريكيين متضايقون من رغبة السعوديين الالتحاق بجمُع «بريكس» الذي يضم قوى صناعية صاعدة بينها الصين والهند والبرازيل.

والدولة العربية الأخرى التي تقدمت بطلب انضمام إلى مجموعة «بريكس» هي الجزائر التي تحظى بدعم كامل من الصين، ما يدلُّ على الاتجاه نحو تشكُّل نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب، وهو عنصر مهم يفرض بناء شراكات إستراتيجية بين الدول المعنية هنا وهناك. واللافت أن العرب ما زالوا، على الرغم من المستوى المتقدم للتعاون العربي الصيني، يسعون إلى فهم أكبر وأعمق للظاهرة الصينية الفريدة، أسوة بالباحث المغربي الدكتور نزار لفراوي، وهو صحافي بوكالة المغرب العربي للأنباء، الذي أصدر كتابا عنوانه «الصين... زعامة القرن». كما أصدر مواطنُه الشاعر عبد الحميد جماهري أخيرا أيضا كتابا جديدا عن زياراته للصين بعنوان «ذهبنا إلى الصين وعُدنا من المستقبل». والمستقبل العربي لن يكون بالتأكيد متماهيا مع المستقبل الصيني، الذي قطع سنوات ضوئية من النمو، منذ رحيل الرئيس ماوتسي تونغ، وزعيم المصلحين تنغ هسيو بينغ، الذي وضع علامات الانتقال إلى اقتصاد السوق. وربما الأهم من الاستثمارات وصفقات النفط أن يأخذ العرب عن الصينيين ذهنيتهم وبراغماتيتهم، وخاصة تقديسهم للعمل.

«المساواة» مخطط بن غفير في المسجد الأقصى وذلك يعني تغيير الوضع القائم

أكد بن غفير على نيته العمل للتخلص من السلطة الفلسطينية، وسحق «الإرهابيين» في كل فلسطين التاريخية وضرورة أن يكون الوضع داخل الأقصى في إطار المساواة بين المسلمين واليهود.

القدس ـ «القدس العربي»: سعيد أبو معلا

شيء ما وكبير ينتظر القدس والمقدسيين والمسجد الأقصى مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة، ولا يمكن الفصل بين المكونات الثلاثة، فهي تكمل بعضها البعض. ذلك الشيء تحديدا هو الذي دفع الناشط المقدسي محمد أبو الحمص لكتابة رسائل من على مكتبه البسيط في حي الشيخ جراح ليُسلمها للقنصليات والبعثات الدولية في القدس المحتلة.

وحسب أبو الحمص الذي يتحرك على عكازتين فإن الرسائل تضمنت توضيحا للخطورة التي تنتظر مدينة القدس، وكذلك التهديدات التي تعرض لها شخصيا، وكذلك برنامج الحكومة اليمينية السياسي والميداني تجاه المقدسيين.

الرسائل الكثيرة التي بدت فوق منضدة مكتبه توجه بها للمجتمع الدولي من أجل وضعهم في صورة ما سيجري للقدس بشكل خاص مع وجود حكومة يمينية متطرفة تهدد قبل أن تستلم مهامها الرسمية.

وأضاف في حديث صحافي: «بن غفير هددني شخصيا عندما كان عضوا في الكنيست، وقبل أن يكون مسؤولا رسميا وصاحب قرار في وزارة الأمن القومي، وبالتالي من المتوقع أنه سيأخذ ضدي قرارا وضد كل أهالي حي الشيخ جراح والقدس عموما، فالتوقعات أن يتم الاعتداء علي بشكل شخصي، والعمل على تقليص الوجود الفلسطيني ووجود النشطاء في الأقصى».

وحسب الباحث المقدسي زياد ابحيص فإن هناك علاقة بين الانتخابات الصهيونية والمسجد الأقصى، وكي يكشف الباحث عن هذه العلاقة يعود للوراء قليلا، ففي شهر ايلول/سبتمبر 2019 ثم في اذار/مارس 2020 لم يتمكن إيتمار بن غفير من عبور العتبة الانتخابية؛ ثم حصل على مقعد واحد في انتخابات اذار/مارس 2021 ضمن ائتلاف مع ثلاثة أحزاب كان حزبه أضعفها وآخرها في القائمة.

ويتابع أنه منذ ذلك الحين واظب بن غفير على محاولات إقامة مكتبه في حي الشيخ جراح وعلى اقتحام المسجد الأقصى في كل المناسبات فحصل في الانتخابات الأخيرة على 6 مقاعد في الكنيست لحزبه.

ويشدد أنه من الواضح أن المزاج الصهيوني يرى فيمن يعتدي على الأقصى طليعته المتقدمة التي تستحق ثقته؛ فهو يرى في الأقصى رمز وجود الفلسطيني الذي يجب محوه ويسير خلف كل من يمضي به إلى هذا الطريق؛ ويكون السؤال حسب ابحيص: «هل آن لنا أن نمضي في معركة الأقصى باعتبارها العنوان الشامل للدفاع عن وجودنا وفي استعادة حقنا؟!».

ويرى ابحيص أن عدد النواب الصهاينة الفائزين المنتمين إلى «كتلة المعبد» المتطرفة بلغ 29 عضواً، سبق لهم أن أعلنوا دعمهم لتغيير هوية المسجد الأقصى أو شاركوا مباشرة في اقتحامه، وبذلك باتوا يسيطرون على 24 في المئة من مقاعد الكنيست، وهو أعلى رقم تصله هذه الكتلة في تاريخ الكيان، بعد أن كانت 25 عضواً بعد إعلان نتائج انتخابات شهر اذار/مارس 2021.

ويشرح تقسيمة أعضاء «كتلة المعبد» مشيرا إلى أنها تتوزع على ثلاثة أحزاب هي: الليكود 12 عضواً، الصهيونية الدينية كامل الكتلة 14 عضواً، و«المعسكر الوطني» 3 أعضاء، أي أن عددهم في الائتلاف اليميني الفائز هو 26 عضواً من أصل 64؛ ما يجعلهم يحتلون 40 في المئة من مقاعد الائتلاف الحاكم. وهو ما يجعل من المؤكد أن يكون تهويد المسجد الأقصى بكل السبل موضوعاً أكثر أولوية وأشد سخونة من أي وقتٍ مضى؛ وبالذات بفرض الطقوس التوراتية فيه.

وتتكون «كتلة المعبد» في الكنيست من مجموعة من السياسيين الذين يؤيدون علناً تغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى المبارك، وتعتبر تغيير هويته موضوعاً سياسياً مركزياً توظف مقدراتها لفرضه.

ويرى ابحيص أنه في ظل التحولات في المجتمع الإسرائيلي وطبيعة تحالف الصهيونية الدينية، فإن الخيار الوحيد لخوض هذا الصراع على أصوله هو المواجهة الشاملة على أساس التحرير الكامل، فهو الحل الوحيد الممكن والعادل، فالعدوان على الأقصى متصاعد وماضٍ إلى سقوف غير مسبوقة، باحتضانٍ وتبنٍّ رسمي صهيوني غير مسبوق.

وفي آخر ظهور لإيتمار بن غفير في مقابلة تلفزيونية تحدث فيها بشكل واضح عن خططه وبرامجه حيث أكد على نيته العمل للتخلص من السلطة الفلسطينية بشكل نهائي، وأنه يؤمن بالتهجير القسري، وسحق الإرهابيين في كل فلسطين التاريخية وبضرورة أن يكون الوضع داخل الأقصى في إطار المساواة بين المسلمين واليهود.

ووصف الباحث المقدسي عبد الله معروف الظهور الأخير وما تحدث عنه في غاية الخطورة، فهو يكشف حقيقة ما يريد تحقيقه في فلسطين، وفي المسجد الأقصى.

ويضيف: «إنه يتكلم بكل وقاحة، وما زال بعض المسؤولين يظنون أنه مجرد خيال، هذا المجرم لم يعد مجرد سياسي حالم.. بل سيكون خلال أيام فقط أحد أكبر مسؤولي دولة الاحتلال».

وحسب الباحث معروف فإن «عيد الحانوكاه» (الأنوار) القادم سيكون أول اختبار للمتطرف إيتمار بن غفير بصفته وزيراً للأمن الداخلي، معتبرا أن هذا يعني شيئًا واحداً: أي اقتحامات غير مسبوقة في المسجد الأقصى، وهو ما يجب الاستعداد له.

بدورها تنشط المرابطة والأستاذة هنادي حلواني على المنصات الاجتماعية، ومن ضمن ما تنشره لزيادة الوعي حول ما يحاك للقدس والأقصى إعادة نشر فيديوهات وصورة صحافية توضح حقيقة ما سيتعرض له الأقصى.

ومن ضمن الصور التي قامت بنشرها صورة ظهر فيها مجموعة من قادة اقتحامات المسجد الأقصى المبارك تجتمع مع قيادة الشرطة الإسرائيلية في القدس لتوثيق التعاون بين الطرفين وتحديدا الاحتفال الديني المقبل.

وحسب ابحيص فإن هناك تكتيكا طورته جماعات المعبد في العام الماضي يتمثل باستباق كل اقتحام مركزي باجتماعٍ مع قيادة الشرطة الصهيونية بمختلف مستوياتها للمطالبة بتوسيع مساحة عدوان المقتحمين خلال الاقتحام، وهو ما كان يثمر احتضاناً أكبر من شرطة الاحتلال لهم، وغضاً للطرف عن اعتداءات تعلن رسمياً أنها ترفضها إلا أنها تتعاون ضمنياً في تمريرها.

يذكر أنه بتاريخ 30 تشرين الثاني/نوفمبر من العام الجاري قادت زوجة بن غفير الاجتماع التحضيري لاحتفال «الأنوار العبري» مع شرطة الاحتلال، أي قبل 18 يوماً من الاحتفال.

ونشرت الأستاذة والمرابطة الحلواني التي صدر قرار بإبعادها عن المسجد الأقصى الفيديو الذي يظهر فيه بن غفير ويقول فيه: «من صباح الغد يا حبذا لو نبدأ ببناء الهيكل».

وفي ذات الفيديو قال بن غفير: «لماذا يسمح لليهود بالتواجد 3 ساعات في اليوم في الأقصى فيما بقية اليوم يكون للمسلمين؟» ويقدم ما سيعمل عليه أي المساواة بين اليهود وغيرهم في الأقصى.

وحسب موقع «الهدهد» المتخصص في الشأن الإسرائيلي فإن صحيفة «يديعوت أحرونوت» كانت قد كشفت أن القانون الذي وافق على تغييره رئيس الوزراء الإسرائيلي المكلف بنيامين نتنياهو ضمن الاتفاق الائتلافي مع رئيس حزب «عوتسما يهودوت» بن غفير بتبعية الشرطة له لا يقتصر على التبعية الإدارية فقط، بل سيكون لبن غفير صلاحيات كبيرة أخطرها تشريع اقتحام الأقصى وعدم اعتبار إقامة الطقوس التلمودية فيه تجاوزا للقانون.

ووفق مشروع القانون، سيكون المفوض خاضعًا للحكومة ولوزير الأمن القومي الذي سيكون مكلفا بالشرطة نيابة عن الحكومة. وينص الاقتراح على أن الوزير لن تكون لديه السلطة فقط على ما يتعلق بمسائل التحقيق وفتح القضايا وإدارتها وإغلاقها، ولكنه سيحتفظ بالحق في إملاء السياسة في مجالات التحقيقات ومعالجة القضايا والادعاء العام.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10833 الأحد 11 كانون الأول (ديسمبر) 2022 – 17 جمادى الأولى 1444 هـ

نظام إيران يُعلّق «المشانق» لإخماد الاحتجاجات واستحالة «الخطوات إلى الوراء»

يتمّ النظر إلى إعدام المتظاهر محسن شكاري على أنه الرسالة الجوابية للشارع، وهو التعبير عن الطريق الذي سيسلكه النظام حيال الداخل، فيصبح المحتجون دعاة فتنة وإفساد في الأرض ومصيرهم الإعدام.

رلى موفّق

حين قُتلت الشابة مهسا أميني ابنة الـ22 ربيعاً على يد «شرطة الأخلاق» بسبب ارتدائها «الحجاب السيّئ» ما كان القتلُ قراراً مُتّخذاً بعد دراسة متأنية ومعمّقة لأركان النظام في الجمهورية الإسلامية لما يمكن أن تكون عليه ردّة الفعل في الداخل والخارج، كما الحال مع تنفيذ أول حكم إعدام بمتظاهر بعد محاكمة صورية بتهمة إقفال شارع وجرح عنصر أمني. سيكون إعدام محسن شكاري ابن الـ23 ربيعاً تاريخاً فاصلاً في عمر الاحتجاجات الشعبية التي قاربت على نهاية شهرها الثالث.

في حادثة مهسا أميني، أظهرت الفيديوهات التي وثّقتْ واقعة اعتقال أميني في الشارع كيفية تعاطي «شرطة الأخلاق» القمعي مع ما تعتبره مخالفاً لقوانينها الدينية والشرعية والعقائدية، حيث أدى ضربها، وركلها، وسحلها، لزجّها في العربة إلى الوفاة، ما شكّل شرارة الاحتجاجات التي تصدّرت النساء والشباب وطلبة الجامعات واجهتها قبل أن تتوسّع شرائحها وأنماطها.

«شرطة الأخلاق» التي أُنشئت في زمن أحمدي نجاد جاءت لضبط التفلّت من القواعد الصارمة الذي ظهرَ مع الإصلاحيين، ولا سيما منذ ولاية محمد خاتمي، إذ أضحتْ لأريحية ارتداء الحجاب حينها دلالات سياسية، رغم أن هؤلاء الإصلاحيين كانوا متمسكين بنظام ولاية الفقيه وليسوا رافضين له.

بعد الانتخابات الرئاسية عام 2009، والتي تَعتبرُ المعارضة الإصلاحية أنَّ تزويراً شابها لمصلحة فوز نجاد بولاية ثانية على حساب مرشح القوى الإصلاحية مير حسين موسوي، شهدت شوارع طهران تظاهرات حاشدة على مدى شهور، ما عُرف يومها بـ«الثورة الخضراء» أو «الحركة الخضراء» حاملة شعار «أين صوتي؟». شكّلت تلك الاحتجاجات أزمة داخلية وُصفت بالأكبر منذ الثورة الإيرانية 1979، ولم تنته إلا بعد الكثير من القمع واعتقال المئات من القيادات الشبابية وفرض الإقامة الجبرية على قادة المعارضة، وفي مقدمهم موسوي ورجل الدين مهدي كروبي، ومنعهم من الظهور الإعلامي والتصريح وكمّ أفواه الصحافة.

نجح نظام ولاية الفقيه في إخماد «الحركة الخضراء» بوسائله المتعددة، وسلبها كل إمكانات الحياة والاستمرار خصوصاً بعدما طوّرت شعاراتها السياسية نحو تعزيز مبدأ «إيران أولاً»، وباتت تمسّ مرتكزات النظام ومبادئه، ولا سيما «تصدير الثورة الإسلامية» و«الصلاحية المطلقة لولاية الفقيه»، التي وجدت صداها لدى جيل الشباب قبل الألفية الثانية الذي عبَّر يومها عن توقه للانفتاح والحرية والحياة.

تلك الشعارات تُشكّل أيضاً منطلقات جيل الألفية الثانية، وإن لم يكن في غالبيته قد وُلد في زمن «الحركة الخضراء»، ولا هو يمهرُ نفسه بختم الإصلاحيين، لكن تطورات العصر والعولمة وثورة التكنولوجيا وانفتاح الشعوب والمجتمعات فعلت فعلها في هؤلاء الذين يبتكرون كل يوم أساليبهم في مواجهة النظام وأجهزته. فتظاهرات 2017 التي خرجت على خلفية مطالب اقتصادية بعنوان «لا للغلاء» بعد زيادة أسعار المواد الاستهلاكية، تحوَّلت شعاراتها إلى سياسية بعد مواجهتها بالقوة، فحضرت شعارات «لا غزة ولا لبنان... روحي فداء إيران» مجسّدة مبدأ «إيران أولاً». وأسهمت تظاهرات العام 2019، على خلفية رفع الدعم عن البنزين، في توسيع الهوّة بين الشعب والنظام. يومها حضرت مجدداً شعارات «ما شأننا بفلسطين»، و«لا غزة ولا لبنان... روحي فداء إيران»، و«ما ذنب أمتنا في سوريا»، ولكنها أيضاً اتّسمت بجرأة أكبر في البُعد العقائدي ٍ السياسي برفعها شعارات «لا نريد الجمهورية الإسلامية»، «الموت للديكتاتور»، «الموت للخامنئي»، «يا ديكتاتور اترك البلاد». لا بل إن تلك التظاهرات شهدت أيضاً قيام فتيات بنزع حجابهن، والمطالبة بالنظام الملكي السابق أيام الشاه. ورأى متابعون للشأن الإيراني يومذاك أن ما يجري لا يُعبّر فقط عن غضب من أداء الحكومة، بل عن توقٍ إلى تغيير جذري في مرتكزات النظام.

اليوم تحوَّل نزع الفتيات لحجابهن سمة احتجاجات 2022 رداً على مقتل أميني، وتصدح شعارات «الموت للديكتاتور»، «الموت للخامنئي» في الليل من على شرفات المنازل، وتخطّها الأنامل على الجدران، وتحملها لافتات المتظاهرين في مدن عدة. يتركز القتل بشكل كبير في محافظتي سيستان – بلوشستان، وكردستان – إيران، إذ تسهل تُهم أبنائها بالنوايا الانفصالية والمؤامرات الخارجية، غير أن القتل الذي زار بيوت نحو 500 عائلة حاصداً أرواح فلذات أكبادهم، والاعتقال بالآلاف، لا ينحصر في المحافظات الحدودية بل يتمدد إلى كثير من المحافظات والمدن الرئيسية بما فيها العاصمة طهران.

الشعارات التي تعكس مكنونات المحتجين تؤشّر إلى الافتراق الكبير عن طبيعة النظام الديني الحالي، والذي لن يألو جهداً ولن يعدم وسيلة لإخماد الاحتجاجات بنسختها الجديدة على غرار ما فعله سابقاً، لا بل إنه سيُمعن أكثر في قمعها، خصوصاً بعدما دخل إضراب الأسواق التجارية رافداً مهماً للمنتفضين. لا يُعطي أداء النظام انطباعاً بأنه عازم على تقديم تنازلات وإجراء إصلاحات. فحتى الإعلان عن حل «شرطة الأخلاق» جاء ملتبساً بالشكل وفارغاً من مضمونه، إذ أُرفق بكلام عن إجراءات عقابية بحق النساء السافرات تحرمهن من حقوق مدنية كفتح حساب في البنوك. ويدل غموض القرار، الذي أُدرج في خانة محاولة احتواء المحتجين، أن السلطة غير راغبة وغير قادرة على إبدال حرف مما جاء في دستور الولي الفقيه، سلطة الله على الأرض.

من هنا يتمُّ النظر إلى إعدام المتظاهر محسن شكاري على أنه الرسالة الجوابية للشارع. وهو التعبير عن الطريق الذي سيسلكه النظام حيال الداخل، فيصبح المحتجون دعاة فتنة وإفساد في الأرض ومصيرهم الإعدام. هو لوَّح بورقة الإعدام مُنفّذاً بعض الأحكام بقضايا سابقة للاحتجاجات، لكنه لم يلمس تراجعاً، فرفع منسوب المواجهة إلى إنزال حكم إعدام بمتظاهر وتنفيذه على الفور. وأكثر من ذلك، صوَّر الشاب قبل لحظات من إعدامه.

التوقعات بأن الأحكام ستتوالى، وربما التنفيذ أيضاً، عله يُخفت صوت المحتجين ويقمع مطالبهم، عبر سلاح المشانق والإخفاء والترهيب. فكل الوسائل للدفاع عن النظام تجوز حين يتمّ رفعه إلى رتبة القداسة. سيتكئ على رجالات الأمن والعسكر، ولن يستمع إلى أي تمايز من الأصوات السياسية كالرئيس الأسبق محمد خاتمي الذي غازل المحتجين بروعة شعار: «امرأة، حياة، حرية»، ولن يستمع لصوت شقيقته بدري حسيني خامنئي، التي اعتقل النظام قبل أيام ابنتها، ولا أنه سيأبه بكل تهديدات الخارج بالعقوبات.

دائماً، كان يُعبَّر منظور «محور إيران» عن حاجة النظام إلى ضمان ترتيب بيته الداخلي قبل فتح الأبواب للخارج. ليس الحديث عن انفتاح على الخارج والغرب تحديدا، إنما الاكتفاء بما يحتاجه للمساعدة في إعادة تأهيل البنى التحتية النفطية. أبدى هؤلاء المنظرون ارتياحهم للترتيبات الأخيرة بعد الانتخابات الرئاسية، والتي أدَّت إلى تماهٍ كلّيّ بين ولاية الفقيه ورئاسة الجمهورية والحرس الثوري وتكامل وتعاضد بين ركائز المنظومة. وكان كل ذلك تمهيداً للمرحلة الآتية بعد إعلان الموافقة على إعادة إحياء الاتفاق النووي الإيراني. وهي العملية التي توقفت بعد الحرب الروسية على أوكرانيا وتداعياتها، قبل أن تطلّ الاحتجاجات برأسها في الداخل.

ليس متوقعاً أن يخطو النظام خطوات إلى الوراء لامتصاص النقمة المجتمعية. فعندما وجَّه المرشد لعمل أنشودة «سلام فرمانده» لتحية الإمام المهدي المنتظر وظلّه على الأرض وحرّاس ثورته، وإنتاجه بلغات عدة غير الفارسية، حيث يؤديه الأطفال والناشئة السائرون على تعاليم الولي الفقيه، يؤدون السلام للخامنئي ولقاسم سليماني ليس فقط في إيران بل في كثير من الدول حيث وصلت أذرع إيران ومدَّت ثقافتها، حينها تساءل كُثر من المراقبين عن الأسباب الكامنة وراء الرغبة بهذا العمل الذي تغنّى خامنئي في إحدى إطلالاته بما يُظهره الناس صغاراً وكباراً، أطفالاً ونساءً من تفانٍ ومواصلة للمسيرة. يومها سأل: هل هذا يدل على إعراض الناس عن الدين أو العكس؟ اليوم يمكن فهم ما كان يؤرق المرشد والمنظومة الكاملة التي تخوض معركة وجودية. واليوم يمكن فهم الأسباب واستخلاص الإجابات.

على أن ثمة اقتناعاً بأنه حين يتجرّأ الشعب في الأنظمة الديكتاتورية على شتم «القائد» والتجرّؤ عليه، تكون بداية النهاية قد بدأت تُكتب، مهما حاولت تلك الأنظمة الظلامية إطالة عمرها، ومهما استقوت قمعاً وقتلاً وظلماً على أبنائها الذين سيدفعون أثمانا باهظة إذا ما أرادوا أن ينالوا قسطاً من الحرية.

Volume 34 - Issue 10833 Sunday 11 December 2022

سوريا: جنود تنظيم «الدولة الإسلامية» يبايعون الزعيم الرابع

تورط النظام بالعلاقة مع تنظيم «الدولة» وتسهيل عملها ودفعها لتحقيق مصالحه لم يعد خافيا، ولعل أبرز الشواهد على ذلك إجلاء مقاتلي التنظيم من مخيم اليرموك باتجاه بادية السويداء.

منهل باريش

جاء مقتل زعيم تنظيم «الدولة الإسلامية» أبو الحسن الهاشمي في محافظة درعا جنوب سوريا وتعيين أبو الحسين الحسيني القرشي فرصة للتأكيد على استمرار نشاط التنظيم وتوسع مناطق عمله وانتشاره خصوصا في أفريقيا. جاء تنصيب تنظيم الدولة الإسلامية للزعيم الجديد أبو الحسين الحسيني القرشي فرصة لإظهار قوة التنظيم، فنشرت معرفاته عشرات الصور التي تظهر «بيعة الجنود لأمير المومنين».

ونشرت معرفات التنظيم على تطبيق «تلغرام» عشرات الصور في ولايات الساحل الأفريقي وموزامبيق (أستحدثت قبل نحو أربعة شهور) وغرب أفريقيا والصومال وباكستان والهند والشام (سوريا) والعراق وخراسان (أفغانستان) ولبنان، تظهر مقاتلي التنظيم وهم يقسمون البيعة وسعى التنظيم إلى إظهار الجنود مدججين بالعتاد والسلاح وخصوصا في القارة الأفريقية، حيث يمتلك التنظيم عربات عسكرية ومدرعات كان قد سيطر عليها خلال هجماته على ثكنات الجيش النيجيري.

وفي تأكيد على تماسك التنظيم بث أول صور الولاء للزعيم الجديد من العراق وسوريا باعتبارهما المنطقتين الصلبتين لنشاط التنظيم وما زالتا تحتضنان قيادة الصف الأول حيث قتل قادته الثلاثة السابقين في سوريا وجميعهم عراقيو الجنسية. ويعتبر نشر صور بيعة خلايا التنظيم في لبنان سابقة في إعلان نشاط التنظيم هناك رغم عدم ظهور نشاط عسكري أو حوادث أمنية واضحة فيه.

وفي موازاة ذلك، يحافظ التنظيم على نشر أخباره الأسبوعية من خلال انفوغرافيك «حصاد الأجناد» وتوضح الإحصائية ازدياد نشاط التنظيم بشكل مطرد في أفريقيا حيث تأخذ ثلث حصة الهجمات ونحو نصف عدد القتلى. كما يسجل تواتر الهجمات في أفغانستان (ولاية خراسان) والتي كان أهمها استهداف السفارة الباكستانية في العاصمة كابول، حيث ادعى التنظيم الجديد أبو الحسين الحسيني القرشي فرصة لإظهار قوة التنظيم، فنشرت معرفاته عشرات الصور التي تظهر «بيعة الجنود لأمير المومنين».

ونشرت معرفات التنظيم على تطبيق «تلغرام» عشرات الصور في ولايات الساحل الأفريقي وموزامبيق (أستحدثت قبل نحو أربعة شهور) وغرب أفريقيا والصومال وباكستان والهند والشام (سوريا) والعراق وخراسان (أفغانستان) ولبنان، تظهر مقاتلي التنظيم وهم يقسمون البيعة وسعى التنظيم إلى إظهار الجنود مدججين بالعتاد والسلاح وخصوصا في القارة الأفريقية، حيث يمتلك التنظيم عربات عسكرية ومدرعات كان قد سيطر عليها خلال هجماته على ثكنات الجيش النيجيري.

وفي تأكيد على تماسك التنظيم بث أول صور الولاء للزعيم الجديد من العراق وسوريا باعتبارهما المنطقتين الصلبتين لنشاط التنظيم وما زالتا تحتضنان قيادة الصف الأول حيث قتل قادته الثلاثة السابقين في سوريا وجميعهم عراقيو الجنسية. ويعتبر نشر صور بيعة خلايا التنظيم في لبنان سابقة في إعلان نشاط التنظيم هناك رغم عدم ظهور نشاط عسكري أو حوادث أمنية واضحة فيه.

وفي موازاة ذلك، يحافظ التنظيم على نشر أخباره الأسبوعية من خلال انفوغرافيك «حصاد الأجناد» وتوضح الإحصائية ازدياد نشاط التنظيم بشكل مطرد في أفريقيا حيث تأخذ ثلث حصة الهجمات ونحو نصف عدد القتلى. كما يسجل تواتر الهجمات في أفغانستان (ولاية خراسان) والتي كان أهمها استهداف السفارة الباكستانية في العاصمة كابول، حيث ادعى التنظيم الجديد أبو الحسين الحسيني القرشي فرصة لإظهار قوة إصابة السفير الباكستاني وعددا من حراسه في الهجوم الصاروخي على السفارة.

وتستمر هجمات التنظيم في سوريا ضد قوات سوريا الديمقراطية «قسد» والمتعاونين معها، سواء من المدنيين أو العاملين سرا مع قوى الأمن الداخلي «أسايش» أو علنا كمتطوعين عسكريين تحت لواء «قسد».

وكان قائد التنظيم قد قتل في هجوم مسلح على مزرعة في مدينة جاسم شمال مدينة درعا جنوب سوريا منتصف تشرين الأول (أكتوبر) ولم يتم التأكد من هويته، فقد استهدف الهجوم عبد الرحمن العراقي المعروف بانه من المقاتلين السابقين في جيش «خالد بن الوليد» الموالي لتنظيم «الدولة الإسلامية» حيث أسس الأخير محكمة شرعية في البلدة وهو أحد ذرائع النظام في عمليات الهجوم على قرى وبلدات ريف درعا الغربي بهدف فرض التسويات عليها.

وأعلن المتحدث الرسمي باسم تنظيم «الدولة» أبو عمر المهاجر، في تسجيل صوتي، نشرته وكالة «أعماق» أن أبو الحسن القرشي قتل، من دون أن يوضح أية معلومة أو تفاصيل، ولا أشار عن مكان مقتله. وأعلن المتحدث تعيين الخليفة الرابع للتنظيم والمسمى أبو الحسين الحسيني القرشي.

من جهته آخر «التحالف الدولي لمحاربة داعش» الذي تقوده أمريكا إعلان مقتل الهاشمي. وأعلنت القيادة المركزية للجيش الأمريكي، مقتل زعيم التنظيم منتصف شهر تشرين الأول (أكتوبر) بمحافظة درعا في جنوب سوريا.

وتأخر الإعلان الأمريكي عدة ساعات عن إعلان التنظيم فقط، وقال المتحدث باسم القيادة المركزية الأمريكية «سنتكوم» جو بوتشينو أن الهاشمي قتل في «عملية نفذها الجيش السوري الحر» وهو إعلان يشكل سابقة منذ العام 2018 عندما تخلت واشنطن عن فصائل المعارضة السورية العاملة تحت اسم «الجبهة الجنوبية» وقامت روسيا بالهجوم الجوي على منطقة خفض التصعيد في درعا وجوارها.

وكما فعل «المهاجر» فضل المتحدث الأمريكي عدم الخوض في تفاصيل الحادثة أو إيضاح ملابساتها. مشيرا أن مقتل الهاشمي يشكل «ضربة جديدة للتنظيم وما زال يشكل خطرا على المنطقة».

ميدانيا، قال المرصد السوري لحقوق الإنسان في تقرير لرصد هجمات التنظيم أنه نفذ 189 عملية وهجوما مسلحا منذ مطلع 2022 في مناطق الشمال السوري وخلفت الهجمات مقتل 139 شخصا بينهم 53 مدنيا، منهم طفل وسيدتان.

كذلك قتل خمسة عناصر من الميليشيات الإيرانية في هجوم على بلدة السخنة بريف حمص الشرقي وهو الطريق الواصل بين تدمر ودير الزور. وفي الوقت ذاته هاجم التنظيم نقطة حراسة للميليشيات الإيرانية قرب محطة الضخ النفطية الثالثة والمعروفة باسم «3 ٍ».

وهاجم التنظيم موقعا عسكريا للنظام السوري في محيط مطار الطبقة العسكري بريف الرقة الغربي، موضحا أن الهجوم أدى إلى مقتل عنصرين من قوات النظام وجرح خمسة آخرين.

وفي منتصف الشهر الماضي أيضا، هاجم مقاتلو التنظيم رتلا عسكريا لقوات النظام في بادية السبخة شرقي الرقة. وفي اليوم ذاته قتل عنصرين من الميليشيات الإيرانية خلال تفجير سيارة عسكرية بلغم أرضي في قرب بلدة التبني غربي دير الزور.

وما زال الهجوم الذي شنه مقاتلو التنظيم في تموز (يوليو) ضد قوات النظام هو الأعنف على الإطلاق خلال الستة أشهر الأخيرة، أسفر عن مقتل 13 عنصرا وجرح آخرين بعد مهاجمة حافلة عسكرية تقلهم. وجرى الهجوم في غرب جبل البشري في المناطق التابعة إداريا لمحافظة الرقة.

وأخفقت قوات النظام في حملات تمشيط البادية السورية والقضاء على خلايا تنظيم الدولة النشطة هناك والتي ابتدأت في الربيع وانتهت في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ونشرت وكالة «أعماق» التابعة للتنظيم عدة مقاطع مصورة تظهر جثث عناصر قوات النظام في كمائن مختلفة في البادية السورية منها قرب حقل الورد النفطي.

ان مقتل زعيم التنظيم أبو الحسن الهاشمي في درعا، ومقتل الزعيم الأسبق أبو إبراهيم القرشي في إدلب مطلع شباط (فبراير) الماضي، يعزز فرضية أن التنظيم لا يتأثر بمقتل قائده، على العكس يستمر نشاط الولايات الأمنية في كل من سوريا والعراق دون تأثر، رغم الجهود الاستخباراتية والعسكرية المبذولة من قبل التحالف الدولي للقضاء على التنظيم. واللافت في الأمر، أن يكون الهاشمي مستمرا بنشاطه في درعا ويسعى جاهدا إلى إقامة «محكمة شرعية» رغم دخول المنطقة في حالة تسوية مع النظام السوري وبقاء بلدة جاسم كآخر البلدات الرافضة لدخول قوات الفرقة الرابعة في جيش النظام إليها.

في السياق، يطرح دور النظام في الإخبار عن موقع عبد الرحمن العراقي لفصائل المعارضة في الجنوب علامات استفهام كبيرة. خصوصا وأن العراقي اتخذ من المزرعة التي قتل فيها ورفاقه مقرا بوساطة من أحد المخبرين الأمنيين لصالح النظام، حسب ما أكد مصدر مطلع في درعا لـ «القدس العربي». وهل كانت الأجهزة الأمنية في درعا على معرفة بحقيقة «العراقي» أم لا؟ فكما هو معلوم أن النظام سهل خروج مقاتلي جيش «خالد بن الوليد» من حوض اليرموك في 2018 بل الأصح أنهم «تبخروا» كما يفضل الكثير من أبناء درعا وصف حالتهم. وهم الذين كانوا يسيطرون على أهم نقطة قرب الحدود مع الأردن غرب درعا.

سلم عدد كبير من مقاتلي جيش «خالد ابن الوليد» الموالي لتنظيم الدولة الإسلامية أنفسهم ومن ثم أطلق النظام سراحهم ليشاهدوا مرة أخرى في درعا.

ان تورط النظام المباشر وغير المباشر بالعلاقة مع تنظيم «الدولة» وتسهيل عملها ودفعها لتحقيق مصالحه لم يعد خافيا، ولعل أبرز الشواهد على ذلك هو إجلاء مقاتلي التنظيم من مخيم اليرموك باتجاه بادية السويداء واستخدامهم في الضغط على الدروز في السويداء من الجهة الشرقية كلما رفضوا تقديم التنازلات.

لبنان: خلاف التيار وحزب الله إلى أين

لا مصلحة لحزب الله بخسارة حليف خارج البيئة الشيعية ولا مصلحة للتيار بخسارة الحليف الوحيد المتبقّي له في ظل أزمة الثقة التي تحكم علاقته بمعظم القوى وفي طليعتها القوات اللبنانية.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

إذا كانت بداية عام 2022 شهدت نكسة في العلاقة بين التيار الوطني الحر وحزب الله على خلفية مقاطعة الثنائي الشيعي جلسات مجلس الوزراء على مدى 4 أشهر ربطاً بالضغط لإقالة المحقق العدلي القاضي طارق البيطار، فإن نهاية العام شهدت نكسة مماثلة على خلفية مشاركة الثنائي الشيعي في جلسة مجلس الوزراء التي دعا إليها رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي والتي أشار رئيس التيار جبران باسيل إلى أن ميقاتي لم يكن ليجرؤ على عقد الجلسة لولا دعم مشغّليه.

غير أنه كما استقامت العلاقة بين الحزب والتيار بعد النكسة الأولى رغم الكلام العالي السقف الذي أطلقه التيار عن عدم الاستعداد لخسارة الدولة من أجل المقاومة، فإن كثيرين يعتقدون أن العلاقة بين الحزب والتيار ستستقيم مجدداً بعد النكسة الثانية لأن لا غنى للطرفين عن بعضهما. فالحزب يحتاج استراتيجياً للتيار لتغطية سلاحه والتيار يحتاج للحزب لتدعيم دوره في الدولة ووضع يده على المناصب العليا. من هنا، فإن الطرفين حريصان على البقاء تحت سقف الحفاظ على العلاقة وهو ما قُرئ بين سطور البيانين الأخيرين، إذ بعد توضيح الالتباسات التي رافقت إطلاق المواقف وعلى الرغم من العتب الكبير من قبل الطرفين، خلص البيانان إلى تأكيد الحرص على الصداقة والأصدقاء وتقديم كل ما يلزم في سبيل حفظها.

غير أن التركّب للتطورات على خط التيار والحزب سيستمر، لأن أسباب الخلاف الحقيقية هي محاولة تغيير الحزب قواعد التحالف القائم على معادلة المقايضة بين من يؤمّن تغطية السلاح غير الشرعي، وبين من يؤفر السلطة والنفوذ. فالحزب يعتبر أنه أدى قسطه للعلى للتيار من خلال التعهّد بايصال العماد ميشال عون إلى الرئاسة وحان الوقت لترشيح رئيس «تيار المردة» سليمان فرنجية. هذا هو أصل الخلاف، وإذا بقي الحزب متمسكاً بورقة فرنجية فإن الخلاف سيتواصل ويمكن أن يشهد ردات فعل جديدة من قبل باسيل على غرار الرسائل التي تمّ تمريرها في جلسة انتخاب الرئيس التاسعة والتي تمثّلت بتخلّي نواب التيار عن الورقة البيضاء ما جعلها تتساوى مع الأصوات التي نالها المرشح ميشال معوض من دون أن يغامر نواب التيار بالتصويت الفعلي لمرشح معين، بل اكتفوا بأسماء متقاطعة على غرار «ميشال» ومعوض» و«معوض بدري ضاهر» إفهام حزب الله أنهم على بُعد خطوة من الاصطفاف إلى جانب مرشح القوى المعارضة في مواجهة رئيس «تيار المردة» الذي خسر رصيداً كان يتمتع به في الشارع المسيحي بعد مشاركة وزيريه زياد مكاري وجوني القرم في جلسة مجلس الوزراء لحكومة تصريف أعمال تُعتبر مستقيلة في سابقة تحدث للمرة الأولى في غياب رئيس للجمهورية، كل ذلك في ظل دعوة البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي إلى تصويب الأمور وخوفه على ما تبقّى من دور للرئيس المسيحي الماروني وتحذيره من فتح سجالات طائفية وخلق اشكالات جديدة.

في المقابل، حاول باسيل قطف الفرصة من خلال الظهور بمظهر المدافع عن حقوق المسيحيين وموقع رئاسة الجمهورية وأنه غير تابع لحزب الله ولا يمشي بخياراته الرئاسية، مؤكدا كما سبق وقال في جلسة مجلس النواب بأن تكون للمسيحيين الكلمة الأولى في استحقاق رئاسة الجمهورية كما للمكوّن الشيعي الكلمة الأولى في استحقاق رئاسة مجلس النواب. من هنا، يأتي رفض باسيل خيار فرنجية واعتباره أن مفتاح قصر بعبدا يجب أن يكون بيد التيار وليس بيد حزب الله انطلاقاً من عدم القبول بالعودة بعقارب الزمن إلى ما قبل عام 2005 عندما كان المسلمون يفرضون رئيس الجمهورية ويختارون نوابهم ووزراءهم.

لذلك، يُنظر إلى الخلاف القائم على أنه خلاف جدّي وليس توزيع أدوار، وكل الاحتمالات مفتوحة بدءاً من ترتيب العلاقة وتجديد التفاهم وصولاً إلى انفراط العلاقة نهائياً. في الحالة الأولى سيعود التكامل بين دور الدولة ودور المقاومة، وفي الحالة الثانية سيعود الكلام عن تعارض دور المقاومة مع مشروع بناء الدولة.

ويشجّع فريق المعارضة على انفراط عقد قوى 8 آذار لأنه بقدر ما يضعُف هذا الفريق المعطّل لبناء الدولة بقدر ما يقوى مشروع الدولة الفعلية. وبقدر ما تنحسر تحالفات حزب الله بقدر ما تتراجع قدرته على إدارة الحياة السياسية على غرار ما كان يفعل النظام السوري والتي مكّنه منها «تفاهم مار مخايل» الذي أنقذه من عزلة داخلية وخارجية بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري وخروج القوات السورية من لبنان.

وفي ترددات الخلاف، لم يخف حزب الله انزعاجه الشديد من مواقف باسيل ولاسيما لجهة تشكيكه بصدقية أمين عام حزب الله حسن نصرالله، واعتبر الكلام عن «الصادقين الذين نكثوا بالوعد» كلاماً غير مألوف وغير مسبوق، وهذا ما اضطر حارة حريك إلى إصدار بيان عن العلاقات الإعلامية ركّز بالتحديد على هذه النقطة حرصاً على ما يمثّله نصرالله من رمزية.

هل يتحوّل «التفاهم» بين التيار وحزب الله إلى «سوء تفاهم» أم تتغلّب التهدئة على التوتر لأن الطرفين لا يملكان ترف الانفصال والطلاق؟

سؤال برسم الأيام المقبلة علماً أنه كما لا مصلحة لحزب الله بخسارة حليف خارج البيئة الشيعية لا مصلحة للتيار بخسارة الحليف الوحيد المتبقّي له في ظل أزمة الثقة التي تحكم علاقته بمعظم القوى على الساحة الداخلية وفي طليعتها القوات اللبنانية التي تراقب مستجدات العلاقة بين التيار والحزب وجدية الخلاف لتبني على الشيء مقتضاه ودرس امكانية فتح أبواب معراب أمام رئيس التيار بعد «توبته» على الانقلاب على «اتفاق معراب».

وهل يملكان ترف الانفصال؟

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10833 الأحد 11 كانون الأول (ديسمبر) 2022 – 17 جمادى الأولى 1444 هـ

لماذا لا يصدق الأردنيون مسار التحديث والأحزاب؟

الأرقام تعني ان الشارع المفعم بالإحباط لا يهتم ولا يحفل ويستقر في العزوف لان تشكيلات لأحزاب جديدة جذبت فقط فيما يبدو حتى الآن شريحتين من الناس.

عمان ـ «القدس العربي»:
بسام البدارين

لماذا لا يصدق الأردنيون اتجاهات تحديث المنظومة السياسية في البلاد ويحجمون عن الانضمام إلى الأحزاب الجديدة أو حالتها؟

سؤال لا يرغب المواطنون ولا حتى النخب أحيانا بإشغال وقتهم في توفير إجابة عليه لان الإجابة التي يسمعها كل مراقب سياسي أو إعلامي تشير بكل الأصابع إلى مفردة «المصداقية».

وعند الغرق في بعض التفاصيل تصبح الشروحات واضحة الملامح وتتمحور حول العبارة التي يكررها وسبق ان كررها أمام «القدس العربي» الأمين العام لحزب جبهة العمل الإسلامي مراد العضايلة وهي «هو التضييق الأمني».

بالنسبة لخبير حقوقي ومراقب استثنائي مثل الدكتور موسى البريزات يفترض ان تنتبه دوائر صناعة القرار إلى ان مناخات الحريات العامة بما فيها حريات الرأي والعمل الحزبي لا تقبل أنصاف أو أرباع حلول ولا تقبل التسويات ولا تقبل التحدث بعدة لهجات.

يؤشر الدكتور البريزات هنا على تلك الازدواجية في الموقف الرسمي باعتبارها إجابة مباشرة على السؤال الأول البسيط حتى وان كانت بالنسبة لصناع محتوى مسار تحديث المنظومة ومنهم رئيس الوزراء الأسبق سمير الرفاعي ليست ازدواجية بالمعنى الحرفي بقدر ما هي تعبير عن حالة ذهنية وثقافية تحتاج لصبر وتدرج.

الأهم في كل المناقشات التي تبحث عن إجابة شعبيا ونخبويا وحزبيا تكثفت الإجابة في اتهام المصداقية بإنتاج الإحباط والتراجع وبالتسبب عمليا في ظاهرتي ضعف المشاركة والعزوف الحزبي.

لكن السؤال انتقل مؤخرا وفي ظل إلحاح الوقائع الرقمية إلى أضيق دوائر القرار في مؤسسات الدولة وأجهزة المتابعة أيضا، وقد يكون هذا هو العنصر الجديد في المشهد، لأن الدولة اليوم ومعها الحكومة هي التي تسأل عن أسباب العزوف الشعبي والاجتماعي عن العمل الحزبي بعدما أتيحت الفرصة للجميع بإطلاق رؤية مرجعية حظيت بالغطاء السياسي المطلوب. وتنتظر مغادرة منطقة التشكيك والالتحاق بالمشروع الوطني على حد تعبير البرلماني والسياسي محمد الحجوج، الذي يدعو وعبر «القدس العربي» أيضا إلى انتقال متدرج وموثوق وبخطى ثابتة نحو مستقبل الخريطة الحزبية فيما يتفق مع عضو البرلمان البارز خير أبو صعليك على ان السلبية وتعبيراتها في العزوف برفقة الإصرار على عدم تصديق ما يجري سرعان ما تصبحان جزءا حيويا من الإشكال خلافا لان السلبية لا تفيد أحدا.

أرفع مستويات صناعة القرار أثارت استغرابها الأرقام والحيثيات والبيانات التي أصبحت مسجلة اليوم في الهيئة المستقلة للانتخابات بعدما انتقلت ملفات إدارة ملف الأحزاب إليها.

يوافق عضو مجلس الأعيان وعنصر فاعل جدا في الحماس للاشتباك الايجابي مع مشروع التحديث مثل الدكتور مصطفى الحمارنة على ان الأرقام والوقائع الرقمية تتضمن رسائل لا بد من التوقف عندها وتأملها.

ورقمان ظهرا مؤخرا في سياق جدل النخب الرسمية التي اجتهدت وهي تبحث عن إجابة على سؤال مرجعي تحاول قراءة ظاهرة العزوف عن الالتحاق بالأحزاب السياسية ضمن مشروع تحديث المنظومة وبالرغم من رسائل مرجعية مباشرة حاولت لفت نظر الجمهور إلى ان رؤية تحديث المنظومة الوطنية خيار للدولة وليس الحكومة ويمثل هوية المئوية الثانية.

الرقم الأول تحدث عن سجلات وكشوفات استقر فيها نحو 12 ألفا من أسماء المواطنين في تجارب الأحزاب الجديدة التي رقصت مبكرا ومنذ تسعة أشهر في حفلة التثقيف الحزبي الجديدة.

والرقم الثاني يرد في تقارير الحكومة وبياناتها وقوامه نحو 20 ألف مواطن مسجل بالأحزاب اليوم بصنفيها القديم والجديد.

تلك أرقام إذا ما كانت دقيقة وهي على الأرجح قريبة جدا من الدقة ليست دون الطموح فقط بل صادمة للغاية من حيث تواضعها الشديد قياسا باحتفالات مشروع تحديث المنظومة الحزبية التي تمارسها وتواصلها جميع المؤسسات في الدولة ومنذ تسعة أشهر. انها باختصار أرقام تدلل على عزوف غريب لا بل على صعوبة تسويق رواية التحديث وسط الناس رغم كل المغريات الملحقة بها فيها مقاعد مجانية للأحزاب في البرلمان ووظائف عليا متوقعة.

ما الذي تعنيه هذه الأرقام المتواضعة بصورة محددة؟

الإجابة واضحة عند الجميع لا بل يمكن القول انها صدمت بعض الحلقات الأساسية في القرار لأنها وبكل بساطة تعني عدم تصديق الشارع والمجتمع لروايات وحكايات التعددية الحزبية كما تعني ان مشروع تحديث المنظومة السياسية بلا حاضنة اجتماعية. والأهم تعني بان الشارع الأردني المفعم بالإحباط وليس التشكيل لا يهتم ولا يحفل ويستقر في العزوف لان تشكيلات لأحزاب جديدة جذبت فقط فيما يبدو حتى الآن شريحتين من الناس.

الأولى شريحة الوزراء والنواب والموظفين سابقا من الفئات التي لم يسجل عليها يوما الاهتمام أصلا بالأحزاب السياسية بالإضافة إلى طبقات جديدة من المستوزرين والباحثين عن مقاعد والقاب وطبعا بين الشريحتين حشوات اجتماعية ومناطقية وعشائرية أحيانا تضم عدة آلاف من المتفرجين أو المستفيدين أو الذين يتوقعون الاستفادة.

ليس غريبا ان هذا العزوف يشمل اليمين والوسط واليسار البراغماتي كما يشمل دعاة التحول إلى التيارات المدنية.

الألغام والمتفجرات: الملف الأسود لحرب اليمن

سجلت بعثة الأمم المتحدة لدعم اتفاق الحديدة على مدى الأشهر الستة الماضية، 159 ضحية من الألغام الأرضية والحوادث المتعلقة بالمتفجرات من مخلفات الحرب في الحديدة.

صنعاء ـ «القدس العربي»:
أحمد الأغبري

قال تقرير «تطهير الحقول 2022» الذي نشره موقع «رايلف ويب» التابع للأمم المتحدة في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر حول إزالة الألغام الفردية في العالم، إن اليمن مع دول أنغولا والبوسنة والهرسك وتايلاند وتركيا، يعاني من تلوث شديد بالألغام (يغطي مساحة من 20 إلى 100 كيلومتر مربع).

وفي أحدث التفاعلات الدولية مع تداعيات الملف الأسود لآثار الحرب في اليمن، دعت الأمم المتحدة، الخميس 8 كانون الأول/ديسمبر، جميع الأطراف المتصارعة في اليمن لتطهير المناطق الملوثة بالمتفجرات، في إشارة ما باتت تمثله الألغام والمتفجرات المدفونة وغيرها من آثار الحرب من خطر على المدنيين اليمنيين.

جاءت هذه الدعوة في أعقاب انفجار لغم أرضي، الثلاثاء 6 كانون الأول/ديسمبر خلال زيارة ميدانية لبعثة الأمم المتحدة لدعم اتفاق الحديدة «أونمها» بمحافظة الحديدة.

وفي ختام زيارتها لليمن، التي استمرت أسبوعًا، أكدت مديرة دائرة الأمم المتحدة للأعمال المتعلقة بالألغام «UNMAS» إيلين كوهن، أن الألغام والمتفجرات من مخلفات الحرب بما في ذلك العبوات الناسفة المرتجلة والذخائر العنقودية، مسؤولة عن سقوط عدد كبير من الضحايا المدنيين، ومستمرة في قتل وإصابة اليمنيين الأبرياء كثير منهم من الأطفال، ومنع المزيد من العائلات اليمنية من الوصول إلى منازلهم ومزارعهم ومصادر رزقهم الأخرى، ما يؤدي إلى تفاقم الآثار المدمرة للصراع.

جاء ذلك خلال حديثها للصحافيين، بمطار صنعاء، الخميس، بعد زيارة شملت عددا من مناطق البلاد بما فيها محافظة الحديدة، وهي واحدة من أكثر المحافظات المتضررة من الألغام والمتفجرات من مخلفات الحرب هناك.

وسجلت بعثة الأمم المتحدة لدعم اتفاق الحديدة على مدى الأشهر الستة الماضية، 159 ضحية من الألغام الأرضية والحوادث المتعلقة بالمتفجرات من مخلفات الحرب في الحديدة، وكان أكثر من 50 في المئة من الجرحى أو القتلى من النساء والأطفال.

وجددت كوهن دعوات مجلس الأمن الدولي، الشهر الماضي، لاتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة في هذا السياق، بما في ذلك تحديد المناطق الخطرة ووضع العلامات عليها وتطهيرها.

وقالت إنها كانت جزءًا من قافلة بعثة الأمم المتحدة لدعم اتفاق الحديدة التي تعرضت لانفجار لغم أرضي خلال زيارة ميدانية الثلاثاء الماضي.

وقالت البعثة الأممية إن «هذه الحادثة تعد تذكيرا بالمخاطر التي يواجهها أهالي الحديدة يوميًا بسبب المتفجرات من مخلفات الحرب».

وكانت قافلة مؤلفة من مجموعة سيارات تابعة لبعثة «أونمها» وتقل كبار المسؤولين الأمميين قد تعرضت خلال زيارة ميدانية لمنطقة الحالي بمحافظة الحديدة (غرب) الثلاثاء، إلى انفجار ناتج حسبما تم تقييمه على أنه لغم أرضي، ما أدى إلى إتلاف إحدى المركبات المصفحة. وأكدت البعثة أن الحادث لم يسفر عن أي إصابات في صفوف المشاركين بالقافلة.

هذا وتواصل بعثة «أونمها» دعوة الأطراف إلى «اتخاذ تدابير عاجلة وملموسة لتطهير المناطق الملوثة وتقليل الأثر المدمر للألغام الأرضية والمتفجرات من مخلفات الحرب على السكان المدنيين، ولا سيما النساء والأطفال، الذين ما زالوا متأثرين بشكل غير متناسب».

في ذات السياق لفتت ستيفاني ترامبلاي، من مكتب المتحدث باسم الأمم المتحدة، للصحافيين في المقر الدائم إلى أن «اليمن للأسف، ملوث بشدة بالمتفجرات من مخلفات الحرب، ما يتسبب في خسائر فادحة ويومية في صفوف المدنيين، بمن فيهم بالطبع النساء والأطفال».

وتشكل الألغام والمتفجرات من مخلفات الحرب أحد أكبر الأخطار التي تتهدد حاضر ومستقبل اليمنيين؛ انطلاقًا من كونها غير مرئية أو معروفة بأنها متفجرات، وثانيًا: لأنها مزروعة بشكل عشوائي ومنتشرة بكميات كبيرة لدرجة يعتبر اليمن من أكثر دول العالم تلوثا بها.

واللافت أن هذا الخطر في معظمه هو نتاج الحرب الراهنة؛ لأن اليمن، حسب تقارير، كان قاب قوسين أو أدنى من إعلانه، قبل الحرب الأخيرة، بلداً خاليا من الألغام. ولأن اليمن ليس بلدا مصنعًا للألغام والمتفجرات فان هذا يقودنا إلى سؤال مفاده: من أين أتت هذه الألغام والمتفجرات؟

ووثق المرصد اليمني للألغام منذ منتصف 2019 وحتى مطلع آب/أغسطس 2022 سقوط 426 قتيلاً مدنيًا بينهم 101 طفل و22 امرأة، إلى جانب 568 جريحاً منهم 216 طفلاً و48 امرأة.

نتيجة الألغام والعبوات الناسفة والقذائف غير المنفجرة من مخلفات الحرب في عدد من المحافظات.

ولا يقتصر التلوث بالألغام على منطقة يمنية محددة بل يشمل بجانب الحديدة مناطق أخرى بما فيها مديريات خب وشعف في محافظة الجوف ومديريات عبس وحيران وحرض في محافظة حجة ومديريات محافظة تعز ومديريات بيحان وعسيلان وعين في محافظة شبوة ومديريات حريب وصرواح في محافظة مأرب.

يشار إلى أن دول الأطراف الموقعة على اتفاقية حظر الألغام، وافقت، السبت الماضي 3 كانون الأول/ديسمبر على تمديد تقديم الدعم لليمن في مجال نزع الألغام لمدة خمس سنوات، وذلك نظير جهود وايفاء اليمن بالتزاماته تجاه اتفاقية خطر الألغام. وحسب وكالة الأنباء اليمنية الحكومية فقد جاء ذلك خلال اجتماع الدول الموقعة على اتفاقية «اوتاوا» في أعمال مؤتمر حظر الألغام المنعقد بمدينة جنيف السويسرية.

ونقل تقرير نشره موقع مؤسسة كاريتغي عن تقارير قولها إن اليمن بحاجة لثماني سنوات حتى يتخلص من نزع هذه الألغام.

وحسب التقرير فقد «تطرق معهد واشنطن للحجم الهائل لاستخدام الألغام الأرضية من قبل الحوثيين، ما يثير عدة تساؤلات حول مصدرها وإمداداتها فلا يُفترض أن يمتلك اليمن مخزونات محلية من الألغام الأرضية. هذا يجعل من الصعب تحديد مكان هذه الألغام خاصة المضادة للأفراد والعربات نتيجة لزرعها العشوائي. كما أن استمرار سيطرة الجماعات المسلحة على بعض مناطق البلاد يمثل تحديًا آخر أمام جهود إزالة الألغام. وهناك تحديات أخرى تواجه عملية تطهير اليمن من الألغام منها: عدم وجود خرائط واضحة، ونوعية الألغام التي تمت زراعتها، وعدم وجود كوادر محلية مؤهلة للتعامل مع هذه الألغام كي يتم نزعها في فترة زمنية قصيرة. ضمن التحديات التقنية، عدم توفر أجهزة حديثة لدى الحكومة للكشف عن هذه العبوات والمتفجرات. كما أن جرف السيول لبعض الألغام من منطقة لأخرى يعقّد التحقق من الأماكن التي تنتشر فيها».

نخلص إلى ضرورة تأسيس برنامج تعاون دولي لنزع الألغام والمتفجرات في اليمن؛ لأن واقعها يتجاوز الإمكانات المحلية، وهو ما يتطلب من البعوث الأممي الخاص لليمن إدراج الألغام والمتفجرات في قائمة قضايا ملف المشاورات التي تتطلب دعما وجهدا وضغطا دوليا.

Volume 34 - Issue 10833 Sunday 11 December 2022

تونس تواصل الاستعداد للانتخابات في أجواء مشحونة

يتم الاستعداد للانتخابات في ظل خلاف حاد بين الاتحاد العام التونسي للشغل والحكومة، فهل وصل الاتحاد إلى نقطة اللاعودة في علاقته برئيس الجمهورية واتجه فعلا نحو التصعيد؟

تونس ـ «القدس العربي»:
روعة قاسم

تستعد تونس لانتخاباتها التشريعية المقررة يوم 17 كانون الأول/ديسمبر في أجواء مشحونة بالمشاكل في مختلف المجالات وفي ظل مقاطعة من أغلب الطيف السياسي لهذه الانتخابات التي أطلق عليها البعض تسمية «انتخابات الأمر الواقع». فرغم الهنات العديدة التي تشوبها والتي تجعلها لا تحترم المعايير الدولية للانتخابات الحرة والنزيهة بالشكل الكافي بسبب ضيق الوقت وأشياء أخرى، إلا أنها ستُجرى في موعدها بغاية خروج سريع من الوضع الاستثنائي الذي لا يمكن البقاء فيه طويلا بدون برلمان.

فصندوق النقد الدولي ربط ضمنيا صرفه للقسط الأول من القرض الذي وعد به خبراؤه تونس، بإجراء هذه الانتخابات ووجود برلمان منتخب يشرع القوانين ويفتك هذا الاختصاص من رئيس الجمهورية الذي يتولاه استثنائيا من خلال المراسيم. وبالتالي فإن إجراء هذه الانتخابات في موعدها، وعدم تأخيرها، ضرورة لا محيد عنها بالنسبة للفريق الحاكم حتى وإن كان ذلك في وقت قياسي وعلى حساب احترام المعايير الدولية وبكثير من النقائص والتجاوزات.

وتبدو الحملة الانتخابية التي انطلقت منذ أيام باهتة، حيث اقتصر فيها الأمر على بعض اللقاءات محدودة العدد وعلى توزيع المترشحين لبياناتهم الانتخابية، مع حضور ضعيف لوسائل الإعلام المحلية وذلك خلافا لما جرت عليه العادة في الانتخابات السابقة. فرغم أن الأمر كان مسرحية انتخابية يتم فيها التزوير من خلال المال الفاسد سواء الداخلي أو الخارجي والذي أكد وجوده تقرير لمحكمة المحاسبات، إلا أن التنافس كان يشتد بين الأحزاب من خلال الشعارات المرفوعة وغيرها. ويبدو أن من أسباب هذه الحملات الباهتة أن المترشحين في هذه الانتخابات، التي تم فيها إقرار نظام الاقتراع على الأفراد في دوائر صغيرة عوض نظام الاقتراع على القوائم المغلقة الذي كان سائدا في السابق، تنقصهم الإمكانيات المادية والبشرية واللوجستية لإدارة حملاتهم باعتبار أن نسبة هامة منهم ترشحوا بشكل فردي ولم تدعمهم أحزاب سياسية. وبالإضافة إلى ذلك أثرت الأزمة الاقتصادية والاجتماعية على الحملة لانهماك المواطنين في قضاء شؤونهم المعيشية في ظل الارتفاع الحاد وغير المسبوق للأسعار.

كما أن نسبة هامة من التونسيين لم تعد تستهويهم الانتخابات والحياة السياسية ولا يرون أنها قادرة على تغيير معيشتهم نحو الأفضل بعد خيبة أمل العشرية الماضية التي كان عنوانها الرئيسي الفشل الذريع في إدارة شؤون الدولة وغياب الإنجاز الميداني. وبالتالي من المتوقع أن تشهد هذه الانتخابات عزوفا على صناديق الاقتراع يفوق حتى ما تم تسجيله في انتخابات سنة 2019 التي فاز فيها الحزب الأول بقرابة الخمسمئة ألف صوت لا غير وهو ما يبرز حجم الهوة بين الطبقة السياسية والشارع التونسي.

وفي هذا الإطار يرى الكاتب والمحلل السياسي هشام الحاجي في حديثه لـ«القدس العربي» أن الانتخابات التشريعية التونسية التي ستجرى يوم 17 كانون الأول/ديسمبر يُتوقع أن تشهد نسبة عزوف صادمة وذلك بالنظر لعديد الأسباب. فهناك نسبة هامة من التونسيين، حسب محدثنا، ملت وعود السياسيين التي لا تجد طريقها إلى التطبيق وباتت تحملهم المسؤولية عن الأوضاع المتردية التي وصلت إليها البلاد والتي حولوها إلى مخابر لتجاربهم. فبعد سيطرة نظام هجين أربك الحياة السياسية خلال العشرية السابقة، أقره دستور سنة 2014 تم حسب الحاجي، إقرار نظام رئاسوي جاء به دستور سنة 2022 والذي على أساسه ستُجرى الانتخابات المقبلة.

ويضيف الكاتب السياسي التونسي قائلا: «في خضم كل ذلك ضاعت تونس وطال الدمار اقتصادها وأصبحت بلدا بلا معايير وبلا هوية سياسية تتقاذفه صراعات فوضى أرادوها خلاقة تبني ديمقراطية، فتحولت إلى خراب بسبب أخطاء حذرت من الوقوع فيها أطراف كثيرة لكن التحذيرات لم تجد آذانا صاغية سواء ممن حكموا خلال العشرية الماضية أو ممن يحكمون اليوم. جميعهم يشتركون في الاستدراج بالرأي وعدم الإصغاء إلى النصح وإلى الأصوات المعارضة وهو ما أدى إلى الإضرار بالدولة التونسية وبمكتسباتها التي عرفت بها على الدوام.

لذلك لا يعتقد رجل الشارع العادي الذي رأى ما يجعل الولدان شبيا من المجالس النيابية السابقة، أن النواب الذين سيتم اختيارهم من خلال صناديق الاقتراع في انتخابات 17 كانون الأول/ديسمبر سيكونون أفضل من نواب المجالس السابقين. كما أن البرلمان، ووفق دستور سنة 2022 سيكون محدود الصلاحيات وهو ما جعل البعض يتحدث عن إمكانية تحوله إلى مجلس شورى.

قيس سعيد بصورة منفردة متجاوزا المنظمة الشغيلة التي اقترحت عليه في وقت سابق رعاية حوار وطني لكنه لم يستجب. لذلك بدت لهجة الاتحاد على لسان أمينه العام حادة هذه المرة ذكرت التونسيين بالأمين العام الأسبق للاتحاد الراحل الحبيب عاشور الذي تصادم مع نظام الرئيس بورقيبة في أحداث دموية في شهر كانون الثاني/يناير من سنة 1978 سميت أحداث الخميس الأسود.

فهل وصل الاتحاد إلى نقطة اللاعودة في علاقته برئيس الجمهورية ولم يعد هناك أي رغبة في التقارب معه واتجه فعلا نحو التصعيد مع اقتراب شهر كانون الثاني/يناير الذي يعرف في تونس بأنه شهر الاضطرابات والأحداث العنيفة والدموية؟ أم أن منظمة حشاد، كما يسميها بعض التونسيين نسبة إلى المؤسس فرحات حشاد، بصدد الضغط لإثناء سائق قرطاج عن الاستفراد بالرأي وعن تهميش القوى الفاعلة في البلاد، وعلى رأسها المركزية النقابية؟

يبدو أن الرأي الثاني هو الأرجح حسب البعض وحجتهم في ذلك أن الطبوبي في الخطاب ذاته قد ثمن موقف رئيس الجمهورية بخصوص مسألة التفويت في المؤسسات العمومية والدعم باعتبار أن ساكن قرطاج نفى سابقا مسألة رغبة الحكومة في التفويت في المؤسسات العمومية ورفع الدعم استجابة لإملاءات صندوق النقد الدولي. لكن البعض يؤكد أن الحكومة قد لا تفوت بالكامل في المؤسسات العمومية ولكن بصورة جزئية وذلك بالشراكة مع القطاع الخاص وقد يرفع الدعم مع التعويض للمتضررين وهو القصد مما عبر عنه الرئيس بطريقته، لأنه لا يعقل أن يقبل صندوق النقد الدولي أن يمنح قروضه لمن لا يلتزم بإملاءاته.

حدث الأسبوع

هل يصمد الاتفاق الإطاري أمام تعقيدات الأزمة السياسية في السودان؟

الخرطوم ـ «القدس العربي»: ميعاد مبارك

«المطلب الوحيد الذي عجزت عن تحقيقه العملية السياسية؛ هو إبعاد القائد العام للجيش السوداني عبد الفتاح البرهان ونائبه محمد حمدان دقلو (حميدتي) من المشهد» هكذا جاءت تصريحات عضو المجلس السيادي السابق، القيادي في الحرية والتغيير محمد الفكي، لتضع الصورة الحقيقية للاتفاق السياسي، لأول مرة أمام الشعب السوداني، بعد أشهر من المفاوضات السرية بين المدنيين والعسكريين، وذلك قبل أيام قليلة من توقيعه الاثنين الماضي.

وعلى الرغم من إقراره بعجزهم عن إبعاد قادة الانقلاب، أكد الفكي أن الاتفاق الإطاري يحقق 85 في المئة من مطالب الشعب السوداني، وأنه يتيح صلاحيات واسعة للمدنيين في الفترة الانتقالية، دون مشاركة القوات النظامية، في فترة انتقالية محددة بعامين، من المنتظر أن تفضي إلى انتخابات.

وشملت أطراف الاتفاق الإطاري، القائد العام للجيش السوداني عبد الفتاح البرهان وقائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو «حميدتي» ونحو 50 حزبا وتنظيما سياسيا ومدنيا، بالإضافة إلى عدد من الحركات المسلحة.

وبينما كان المتظاهرون يرددون الهتافات الرافضة للتسوية السياسية، في محيط القصر الرئاسي وسط الخرطوم، وقعت مجموعة من القوى المدنية والعسكرية السودانية، الاثنين الماضي، اتفاقا سياسيا إطاريا، نص على السلطة المدنية الكاملة من الأحزاب المكونة للحرية والتغيير على الاتفاق بشكل فردي، أبرزها التجمع الاتحادي والمؤتمر السوداني وحزب الأمة القومي، رفض حزب البعث العربي الاشتراكي الأصل، الذي يعد من أبرز مكونات التحالف، الانضمام للاتفاق، معتبرا إياه تسوية مع قادة انقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر 2021 ومهددا للانتقال الديمقراطي في البلاد.

وكذلك انضم إلى الاتفاق الذي يمهد لاتفاق نهائي، مكونات الجبهة الثورية بقيادة الهادي إدريس والتي تضم عدداً من الحركات والتنظيمات السياسية الموقعة على اتفاق سلام 2020 بالإضافة إلى مجموعة من الأحزاب التي تشاركت الحكم مع النظام السابق، أبرزها الحزب الاتحادي الأصل بقيادة الحسن الميرغني والمؤتمر الشعبي.

وجاء الاتفاق، بعد 13 شهراً من انقلاب المجلس العسكري السوداني على الحكومة الانتقالية، التي تشاركها المدنيون والجيش لأكثر من عامين وفق اتفاق الوثيقة الدستورية، الذي وقع عليه الجانبان، عقب إطاحة الثورة الشعبية بنظام الرئيس المخلوع عمر البشير في العام 2019.

وينص الاتفاق على مؤسسات سلطة انتقالية مدنية بالكامل، بما يشمل المجلس السيادي ومجلس الوزراء والمجلس التشريعي، بالإضافة إلى مجلس للأمن والدفاع يترأسه رئيس الوزراء وتشمل عضويته الوزارات ذات الصلة وقادة الأجهزة النظامية و6 من الحركات المسلحة الموقعة على اتفاق سلام جوبا، على أن تحدد مهامه وصلاحياته وفق الدستور الانتقالي.

وحسب الاتفاق، تتخذ القوات المسلحة عقيدة عسكرية تلتزم بالنظام الدستوري وبالقانون وتقر بالنظام المدني الديمقراطي أساسًا للحكم، ويكون رأس الدولة قائدًا أعلى للقوات المسلحة.

كما أنه حظر تكوين ميليشيات عسكرية أو شبه عسكرية ومزاولة القوات النظامية الأعمال الاستثمارية والتجارية ما عدا تلك التي تتعلق بالتصنيع الحربي والمهمات العسكرية وفقًا للسياسة التي تضعها الحكومة الانتقالية، ووجه بأن تؤول لوزارة المالية والتخطيط الاقتصادي جميع الشركات الحكومية المملوكة للقوات النظامية المختلفة وجهاز المخابرات والتي تعمل في قطاعات مدنية، على أن تخضع بقية الشركات المملوكة للقوات النظامية والتي تعمل في قطاعات عسكرية وأمنية لإشراف وسلطة ورقابة وزارة المالية في الجوانب المالية والمحاسبية وسلطة ديوان المراجع القومي.

وكذلك أكد الاتفاق على تنفيذ السياسات المتعلقة بالإصلاح الأمني والعسكري وفق خطة الحكومة الانتقالية وصولاً لجيش قومي مهني احترافي واحد.

ويتضمن ذلك تنفيذ الترتيبات الأمنية الواردة في اتفاق السلام 2020 والاتفاقيات التي تأتي لاحقا بخصوص قوات الحركات.

وأيضا نص على دمج قوات الدعم السريع في القوات المسلحة، وفق الجداول الزمنية، وكذلك قوات الحركات المسلحة، لتكوين جيش مهني موحد.

إلا أن الاتفاق وضع برنامج الإصلاح العسكري المتفق عليه في الدستور الانتقالي في يد قيادة القوات المسلحة، أي أن الأطراف المدنية لن تكون جزءاً من تلك العملية الإصلاحية.

وهذا ما لفت إليه البرهان، بشكل واضح خلال مخاطبته مراسم التوقيع على الاتفاق الإطاري، حيث اشترط ذهاب الأحزاب إلى الانتخابات وعدم مشاركتها في الفترة الانتقالية مقابل خروج العسكر من السياسة، قائلا: «العسكر للثكنات والأحزاب للانتخابات».

وفي وقت أكد على الاعتراف بالقيادة السياسية وعدم استخدام الأوامر العسكرية لمصالح خاصة والعمل على وحدة الجيش والالتزام بمهام حفظ الأمن وحماية الحدود من المهددات الخارجية، دعا السلطة المدنية إلى عدم التدخل في الشؤون الفنية العسكرية لإنفاذ غايات الأمن القومي، على حد قوله.

وبذلك يصبح قائد انقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر الماضي، هو ذاته المسؤول الأول عن إصلاح المؤسسة العسكرية والنأي بها عن السياسة، باعتباره القائد العام للقوات المسلحة، حسب الاتفاق، الذي لم يضع آليات واضحة لتنفيذ تلك الإصلاحات.

تحدٍ آخر، يواجه الاتفاق الإطاري (المبدئي) وهو اشتراط الوصول لتوافق واسع حوله، للمضي نحو اتفاق نهائي، الأمر الذي قد يعني بالضرورة مشاركة المزيد من التنظيمات التي تشاركت السلطة مع نظام البشير وكذلك الأحزاب والحركات الموالية للانقلاب العسكري والتي ما يزال بعضها رافضا للانضمام للاتفاق، إلا أن المرجح أنهم سيلحقون به قريباً.

وبينما تؤكد مكونات الحرية والتغيير الموقعة على الاتفاق على شروعها في تكوين جبهة عريضة لقوى الثورة السودانية، وأنها ستنخرط في نقاشات واسعة مع لجان المقاومة والتنظيمات والأحزاب الداعمة للانقلاب الديمقراطي، من أجل إقناعها بالانضمام إلى الاتفاق، إلا أن لجان المقاومة، سبق وأعلنت موقفها الرافض لأي تسوية مع قادة الانقلاب، مؤكدة على التصعيد حتى إسقاط الانقلاب وتقديم قادته للعدالة، والقصاص لضحاياه، الذين بلغ عددهم نحو121 قتيلا وأكثر من 6000 جريح وفق لجنة أطباء السودان المركزية.

وكذلك، تمسك تحالف التغيير الجذري وتجمع المهنيين السودانيين والحزب الشيوعي السوداني، بالإضافة إلى حزب البعث العربي الاشتراكي الأصل، برفض الاتفاق، معتبرة إياه شرعنة للانقلاب العسكري. أي أن الاتفاق الإطاري وسع شقة الانقسام في معسكر القوى الداعمة للانتقال الديمقراطي في البلاد.

فضلا عن ما سبق، أجل الاتفاق النظر في أربع قضايا أساسية، تتضمن العدالة والعدالة الانتقالية، تعديل اتفاق السلام 2020 وتفكيك النظام السابق، مشيرا إلى ضرورة تطوير النصوص الخاصة بها في الاتفاق الإطاري بمشاركة جماهيرية واسعة، تشمل ثلاث مجموعات هي أصحاب المصلحة والقوى الموقعة على الإعلان السياسي وقوى الثورة. في وقت يبدو أن العديد من قوى الثورة أكدت أنها لن تكون جزءاً من هذا الاتفاق.

وترى المكونات المدنية الموقعة على الاتفاق الإطاري أنه على الرغم من عدم وجود ضمانات لتنفيذه إلا أنه قد يقود إلى استعادة الحكم المدني الديمقراطي، بينما يقطع الطريق أمام تمدد الإسلاميين، الذين عادت كوادرهم إلى مفاصل الدولة عقب الانقلاب، كما نجحت في استرداد العديد من الأموال والأصول التي صادرتها لجنة إزالة تمكين النظام السابق والتي جمد عملها البرهان عقب الانقلاب.

وكذلك تعتبر أنه قطع الطريق أمام مخططات العسكر لتفكيك الجبهة المدنية المناهضة للانقلاب، وأنه قد يكون الطريق الأقل تكلفة لاستعادة الانتقال الديمقراطي في البلاد، خاصة في ظل الدعم الدولي الكبير الذي وجده الاتفاق.

وتعول القوى المدنية على ممارسة الوساطة الرباعية التي تقودها واشنطن والرياض، المزيد من الضغوط على العسكر للالتزام بتنفيذ الاتفاق، الذي تقوم بتسيره الآلية الدولية الثلاثية المكونة من الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي والإيغاد، خاصة وأن المانحين الدوليين يشترطون الوصول لاتفاق نهائي وتشكيل الحكومة المدنية لاستئناف المساعدات الدولية.

كما أن واشنطن، بعد يومين من توقيع الاتفاق الإطاري، أعلنت توسيع دائرة العقوبات ضد من يعرقلون الانتقال الديمقراطي في السودان لتشمل تقييد التأشيرة لأي مسؤولين سودانيين حاليين أو سابقين بمن فيهم عائلاتهم أو غيرهم من الأفراد الذين يُعتقد أنهم مسؤولون أو متواطئون في تقويض التحول الديمقراطي في السودان، بما في ذلك قمع حقوق الإنسان والحريات الأساسية.

الاتفاق الإطاري في السودان: المجرَّب والمخرَّب

صبحي حديدي

في وسع مراقب محايد أن يتلمس، وربما بسهولة نسبية، حفنة من المعطيات التي تكتنف توقيع الاتفاق الإطاري بين جنرالات الجيش السوداني من جانب أوّل، و«قوى إعلان الحرية والتغيير» – مجموعة المجلس المركزي والفئات السياسية والنقابات المتحالفة معها من جانب ثان. وفي وسع المراقب ذاته، إزاء وضع تلك المعطيات ضمن حال جدلية من تطابق المصالح أو تناقضها، أن يستخرج ميزاناً مبسطاً يتجاوز الخطاب واللغة الوردية والآمال وإعلانات النوايا الحسنة؛ إلى الحقائق الصلبة ذات الرسوخ والصلاحية، وبالتالي إلى حصيلة المكاسب والخسائر للفريقين.

مراقب آخر، من طراز غير محايد مثلاً، سوف يتوقف أوّلاً وبصفة خاصة عند سؤال كبير مركزي: هل يمكن الوثوق بهؤلاء الجنرالات، أمثال رئيس مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان ونائبه محمد حمدان دقلو على وجه التحديد، في أنهم لن يسارعوا مجدداً إلى تنفيذ انقلاب جديد، يتابع انقلاب 25 تشرين الأول (أكتوبر) 2021، أو يستكمل أغراضه المتحورة أساساً حول إحكام قبضة الجيش على الدولة والمجتمع؟ وهل من التعقّل السياسي تجريب المجرَّب، في مضمار شهوة العسكر إلى السلطة والتسلط، من دون الحكم على المجرِّب بأنّ عقله مخرَّب، كما تقول الحكمة العتيقة الصائبة؟

وهذا المراقب سوف يرحّل أسئلة كهذه إلى منطقة ثالثة، لا تخلو من تحكيم عقلي ذرائعي يشمل الفريقَين الموقعين على الاتفاق الإطاري، من زاوية بسيطة أو حتى تبسيطية تتساءل عن حوافز العسكر في الذهاب إلى التوقيع أصلاً: هل لأنّ الانقلاب فشل، حتى الساعة، في إنجاز أغراضه المرجوة ودخل في حالٍ من الركود أو الجمود أو العطالة، الأمر الذي يستدعي تنازلاً هنا أو انحناءة هناك؟ أم، استطراداً، لأنّ الانقلاب أوقع قوى إقليمية ودولية، صديقة للعسكر عملياً، في حرج بيّن استوجب وقف الدعم المالي وتخفيف المساندة السياسية، والمطالبة بعودة الحكم المدني وإنْ على مستوى اللفظ والبيان فقط؟ وهل، ثالثاً، أخفق العسكر في جرّ أمثال الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي والرئيس الإماراتي محمد بن زايد إلى يقين بأنّ فضائل الانقلاب ما تزال سارية المفعول، ويمكن منحها فرصة إضافية؟

وأمّا مراقب من طراز ثالث، يميل أكثر إلى «لجان المقاومة» والحراك الشعبي وتظاهرات الاحتجاج الرافضة للاتفاق الإطاري، فإنّ ذخيرته من أسباب التشكيك والطعن والاعتراض وافرة ومتعددة، بل سوف تكون آخذة في التزايد كلما انقضى يوم شاهد على تخلّف الجنرالات عن الوفاء بما وقّعوا عليه. القضايا الخلافية، وهي التي علّقها الاتفاق الإطاري إلى أجل غير مسمى، ليست قليلة العدد ولا ضئيلة الأهمية، فضلاً عن احتوائها على الكثير من عناصر تفجير الاتفاق:

ـ متى، ومَن يضمن، دمج «قوات الدعم السريع» في الجيش السوداني، ولماذا يُقدم البرهان على خطوة كهذه كفيلة على المدى البعيد بإضعاف حليفه ونائبه دقلو؟

ـ متى، ومَن يضمن، تحريك ملفات العدالة الانتقالية، بما يؤكد محاسبة المسؤولين عن الجرائم المرتكبة ضدّ أبناء السودان؛ فما بالك بعدم عودة رموز نظام عمر حسن البشير إلى المشهد، أو إلى سدّة السلطة؟

ـ متى، ومَن يضمن، حُسْن تنفيذ اتفاق سلام جوبا، ومشكلات شرق البلاد، وأنشطة الحركات المسلحة، واستتباب الأمن في غرب السودان؟

ليس العسكر في عداد الضامنين، منطقياً، لأنّ قبضة الجنرالات على السلطة والتسلط تتغذى على مشكلات كهذه، والإبقاء عليها معلّقة وعالقة يزوّد الجيش بذرائع إضافية تسوق مخاوف انزلاق البلد إلى «الفوضى» و«الحرب الأهلية» و«التفكك». وليست الأطراف المدنية المتوافقة اليوم مع الجنرالات قادرة اصلاً على فعل الضمان، ومثلها اللجان والقوى المعترضة على الاتفاق.

وأما مفتاح فكّ الاستعصاء فإنه يبدأ أوّلاً من كلمة حقّ نطق بها البرهان (وأراد بها باطلاً، كما اتضح): «العسكر للثكنات والأحزاب للانتخابات»؛ أو الحكم المدني الديمقراطي، باختصار وافٍ وكافٍ.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10833 الأحد 11 كانون الأول (ديسمبر) 2022 – 17 جمادى الأولى 1444 هـ

انقسام سياسي في السودان بعد توقيع اتفاق إطاري بين المدنيين والجيش

عمر الفاروق

بعد أكثر من عام على انقلاب الجيش السوداني الذي أطاح بالحكومة الانتقالية في تشرين الأول/أكتوبر 2021 وقعت أطراف مدنية وعسكرية بالقصر الرئاسي بالخرطوم، يوم الاثنين الماضي، اتفاقاً إطارياً من شأنه أن يُفضي إلى تشكيل حكومة انتقالية بقيادة مدنية، حال توقيع اتفاق نهائي خلال الأسابيع المقبلة.

يضم الاتفاق الموقع مع الجيش والذي يستند على وثيقة الدستور الانتقالي التي اقترحتها نقابة المحامين السودانيين في تشرين الأول/أكتوبر الماضي، قوى الحرية والتغيير، ومجموعة كيانات ونقابات وأحزاب، بالإضافة إلى ثلاث حركات مسلحة.

ومع أن الاتفاق وجد مباركة إقليمية ودولية وأممية واسعة، إلا أنه في المقابل، يواجه معارضة داخلية كبيرة، حيث تتفق قوى سياسية وعسكرية ومهنية، من أقصى اليسار، مروراً بالوسط، إلى أقصى اليمين على رفضه، لأسباب مختلفة، معتبرةً أنه اتفاق ثنائي إقصائي بالنسبة للحركات المسلحة والإسلاميين والحزب الاتحادي الديمقراطي الأصل بزعامة محمد عثمان الميرغني. أما بالنسبة للحزب الشيوعي وتجمع المهنيين وأطياف أخرى معارضة، فإنها ترى بأن الاتفاق يُعيد إنتاج الشراكة بين قوى الحرية والتغيير والجيش بالإضافة إلى شرعنة السلطة العسكرية الحاكمة، بجانب ابتعاده عن مصالح السودانيين. كما شددت لجان المقاومة أيضاً على رفضها القاطع للاتفاق قبل أن تصفه بـ«السلطة الزائفة».

ومع سيل هذه الانتقادات للاتفاق، إلا أن أطرافه الرئيسية، سواء كان الجيش والدعم السريع من جهة، وقوى الحرية والتغيير والحركات المسلحة الموقعة عليه، من جهة أخرى، ترى أنه يحقق المطلوب منه ويعيد البلاد إلى نقطة التحول المدني الديمقراطي مرةً أخرى.

بالنسبة لقائد قوات الدعم السريع، محمد حمدان دقلو (حميدتي) لا يُعد الاتفاق الإطاري جيداً وحسب، بل مضى إلى أبعد من ذلك في كلمته خلال الاحتفال بمراسم توقيعه، عندما اعتبر انقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر كان خطأً سياسياً، فيما اعتبر قائد الجيش، عبد الفتاح البرهان، أن الرافضين للاتفاق الإطاري قد تكون لديهم أجندة خارجية.

أما ممثل قوى الحرية، الواثق البرير، فقد قال في كلمته أثناء الاحتفال بتوقيع الاتفاق، إن الاتفاق غايته توحيد الشعب وبناء دولة الحكم المدني، مضيفاً أن «التوقيع يجيء في إطار إنهاء ظواهر الحكم الشمولي للأبد وتأسيس مسار انتقالي جديد أكثر فاعلية يقود البلاد لانتخابات تحقق السلام المستدام».

وتمثلت أهم بنود الاتفاق الإطاري الذي قوبل بانقسام داخلي قبولاً ورفضاً، في؛ أن يكون رئيس الدولة، هو القائد الأعلى للقوات العسكرية، واختيار رئيس وزراء من قبل قوى الثورة، وإجراء انتخابات عامة بنهاية الفترة الانتقالية المحددة بعامين، والتي تبدأ بعد توقيع الاتفاق النهائي.

أيضاً منح الاتفاق، رئيس الوزراء سلطة تعيين مدير جهاز المخابرات العامة، كما أكد على قيام جيش وطني موحد مهني، ودمج قوات الدعم السريع ضمن الجيش.

ونص كذلك، على تبعية قوات الأمن لوزارة الداخلية، والالتزام بمبدأ تجريم الانقلابات العسكرية، منع القوات العسكرية من ممارسة الأعمال الاستثمارية.

ومع ذلك، أجل الاتفاق النص على أبرز القضايا المثيرة للجدل، إلى حين توقيع الاتفاق النهائي، الذي لم يحدد موعده بعد.

والقضايا المؤجلة هي «العدالة، العدالة الانتقالية، إجراء تعديلات على اتفاق السلام 2020 وتفاصيل الإصلاح الأمني والعسكري، وإزالة تمكين النظام السابق». بالنسبة للجان المقاومة قائدة الاحتجاجات في البلاد، فإن القضايا المؤجلة تمثل مطالبها الرئيسية، وقد خرجت في تظاهرتين توجهتا صوب القصر الرئاسي بالخرطوم تنديداً بالاتفاق. الأولى؛ تزامنت مع يوم توقيعه والثانية كانت يوم الخميس، تحت شعار «لا للسلطة الزائفة»، في إشارة إلى أن الاتفاق يأتي لشرعنة السلطة العسكرية الحاكمة.

بالنسبة للجان المقاومة، هناك أسباب أخرى تعضد رفضها للاتفاق الإطاري، يتمثل ذلك في العنف الأمني الموجه ضدها، ففي تظاهرات يوم الخميس أصيب العشرات على أيدي قوات الأمن، بعد أيام فقط من وصول المدنيين والجيش إلى اتفاق مبدئي.

الرفض السياسي للاتفاق تصدره داخل معسكر مؤيدي الانقلاب، رئيس حركة جيش تحرير السودان، مني أركو مناوي من خلال تغريدة كتبها على حسابه الرسمي بموقع تويتر أشار فيها إلى أسباب انفصال جنوب السودان عن السودان، وملمحاً إلى أنه فرض فرضاً.

وقال مناوي «الاتفاق الإقصائي الذي فُرض على المجلس المركزي والمكون العسكري، إن لم يع موقعوه سيكون خطأً فاصلاً بين الوحدة الدائمة والمؤقتة، مثلما حدث في اتفاق أديس أبابا، حينما وصف النميري الاتفاق بأنه (لا قرآن ولا كتاب مقدس) وأصبح الاتفاق فاصلا تاريخيا انتهى بانفصال السودان بعد عشرين عاما فقط».

وفي عام 1972 عقد الرئيس المخلوع، جعفر نميري وحركات متمردة في جنوب السودان اتفاق أديس أبابا الذي أنهى نحو عقدين من الحرب الأهلية في البلاد. ولكن، لاحقاً عاد نميري وألغى الاتفاق من جانبه، قبل أن يندلع تمرد جديد في الجنوب عام 1983 أفضى اتفاق نيفاشا في نهاية المطاف الموقع عام 2005 إلى استقلال جنوب السودان في عام 2011.

وفي سياق الرفض، اتفق رئيس حركة العدل والمساواة، جبريل إبراهيم مع مناوي، في أن الاتفاق الإطاري، هو اتفاق ثنائي إقصائي.

وقال إنه بعيد كل البعد عن الوفاق الوطني الذي يحقق استقرار الفترة الانتقالية ولا يفضي إلى انتخابات حرة نزيهة في المستقبل المأمول. مضيفاً في تغريدة على حسابه بموقع تويتر «الرهان على المجلس المركزي لتحقيق التحول الديمقراطي رهان خاسر لأن فاقد الشيء لا يعطيه» وفق تعبيره.

وينضوي مني أركو مناوي وجبريل إبراهيم في تحالف الكتلة الديمقراطية الذي يتزعمه نائب رئيس الحزب الاتحادي الديمقراطي (الأصل) جعفر الميرغني، والذي يضم أيضاً جماعات سياسية أخرى، بمن فيهم الزعيم الأهلي بشرق السودان، محمد الأمين سيد ترك.

ورغم اجتماع هذه الكتلة في تحالف مشترك، إلا أن مصدر مطلع بإحدى الحركات المسلحة المنضوية في التحالف، قال لـ«القدس العربي» إن التوجه الحالي للحركات يضر بمصالحها على رأسها تنفيذ اتفاق السلام.

وأوضح أن بعض مكونات الحركات، تعتقد أن موقف قادتها، يفتقد للوعي السياسي وفيه تعنت كبير، بالإضافة إلى أن الأحزاب التي تحالفوا معها ليست محل اهتمام سياسي بالنسبة إليهم.

وعاد المصدر وشدد على أن حركتي جيش تحرير السودان والعدل والمساواة ستوقع على الاتفاق في نهاية المطاف.

ويدلل على حديث المصدر تصريحات أدلى بها متحدث باسم الكتلة الديمقراطية في أعقاب اجتماعهم مع قائد الدعم السريع، محمد حمدان دقلو «حميدتي» قبل يوم من توقيع الاتفاق الإطاري.

قال السكرتير العام للحرية والتغيير الكتلة الديمقراطية، عمر عثمان، إن حميدتي أكد خلال الاجتماع، على ضرورة أن يتم التواصل بين الكتلة الديمقراطية والمجلس المركزي وبقية الأطراف الموقعة على وثيقة الاتفاق الإطاري. وأضاف قائلاً" اتفقنا والتزمنا مع بعضنا وسوف نتواصل للتشاور مع إخوتنا في الحرية والتغيير المجلس المركزي، حتى نصل إلى رؤية مشتركة ترضي الجميع وتخلق تسوية حقيقية تحقق الاستقرار للبلاد».

وأشار إلى وجود تواصل مع بعض القوى داخل الحرية والتغيير المجلس المركزي، وأنه سيتم التواصل معهم من أجل الوصول إلى رؤية مشتركة. وتابع «سيتم الاتفاق على تسوية تجمع كل الأطراف وسوف يتم التوقيع بصورة كاملة».

بينما يرفض الإسلاميون الذين تشطوا بعد الثورة السودانية، الاتفاق الإطاري، من منطلقات عديدة، فبالإضافة إلى تقاربهم مع الجيش في أعقاب الانقلاب، فإنهم يتخوفون من إعادة مصادرة ممتلكاتهم وواجهاتهم في حال عادت قوى الحرية والتغيير إلى السلطة مرة أخرى.

وفي أعقاب إعلان قائد الجيش في 4 تموز/يوليو الماضي خروج المؤسسة العسكرية من العملية التفاوضية التي ترعاها الآلية الثلاثية ودول الرباعية من جهة أخرى، سرعان ما خرج الإسلاميون إلى واجهة المشهد السياسي عبر مبادرة رجل الدين الصوفي، الطيب الجد، (نداء أهل السودان) على أمل ضمان وجودهم في أية مساومة سياسية مستقبلية.

غير أن حميدتي، سرعان ما وجه انتقادات للمبادرة، قبل أن يرحب بمبادرة قوى الحرية والتغيير التي أتت عبر الدستور الانتقالي الذي اقترحته نقابة المحامين السودانيين، إلى أن صار أساساً للعملية السياسية الحالية والتي تمخض منها الاتفاق الإطاري.

في أعقاب توقيع الاتفاق الإطاري وحديث حميدتي عن أن الانقلاب فتح الباب لعودة قوى الثورة المضادة على حد تعبيره، أصبحت الشقة واسعة أمام عودة الإسلاميين إلى الواجهة.

ومع ذلك، أبدى الإسلاميون، في مبادرة (نداء أهل السودان) رفضهم القاطع للاتفاق وأعلنوا أنهم سيعملون على إسقاطه.

في المقابل، أبدت الحركة الإسلامية والتي يعتبر حزب المؤتمر الوطني المحلول واجهتها الحزبية موقفاً رافضاً للاتفاق بطبيعة الحال. وبدا موقفها، حسب بيان أصدرته بمناسبة توقيع الاتفاق الإطاري، غير واضح المعالم، وأقرب إلى كونه انحناء لعاصفة الاتفاق مع تحذيره من إعادة مصادرة أموال وأصول الحركة.

في خضم عملية سياسية تجد دعماً خارجياً كبيراً، يأمل المؤيدون للاتفاق الإطاري أن يتم استيعاب القوى المسلحة الرافضة، حتى الآن للاتفاق، قبل توقيع الاتفاق النهائي الذي يؤدي إلى استعادة مسار التحول المدني الديمقراطي بالنسبة لهم. في المقابل، يبدو أن التيارات السياسية المتعددة الرافضة للاتفاق، بعيدة جداً من أن تكون جزءاً منه استثناء الكتلة الديمقراطية. وهؤلاء أعلنوا باكراً أنهم يعارضون الاتفاق ويعملون على إسقاطه، فاستعادة مسار التحول المدني الديمقراطي بالنسبة لهم، تمر فقط عبر إسقاط السلطة العسكرية الحاكمة حالياً في السودان.

Volume 34 - Issue 10833 Sunday 11 December 2022

موازين الضعف والقوة وتأثيرها على الاتفاق الإطاري بين العسكر والقوى السياسية السودانية

عبد الهادي الحاج

على الرغم من القبول النسبي الداخلي الذي حظي به الاتفاق الإطاري الذي تم توقيعه الإثنين الماضي، بين ائتلاف قوى الحرية والتغيير–المجلس المركزي– ومجموعات سياسية أخرى من جانب والعسكر جانب آخر، إلا أن ثمة مخاوف لا تزال قائمة لدى الكثيرين مصدرها طبيعة موازين الضعف والقوة التي دفعت الطرفين للمضي خطوة للأمام في انتظار اكتمال المشوار بالتوصل لاتفاق نهائي في غضون أسابيع.

في المقابل نجد أن الاتفاق قد حظي بترحيب دولي وإقليمي واسع، حيث تأمل الأطراف الدولية المختلفة أن يؤدي لإنهاء حالة الجمود التي سيطرت على المشهد السياسي السوداني، عقب الانقلاب العسكري الذي أطاح بالحكومة الانتقالية التي كان يرأسها عبدالله حمدوك، في 25 تشرين الأول/أكتوبر 2021.

الضغوط التي مارستها الأطراف الدولية ممثلة في الآلية الثلاثية التي تضم الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي وهيئة دول «إيقاد» بجانب الترويكا الرباعية التي تضم الولايات المتحدة وبريطانيا والسعودية ودولة الإمارات، لعبت دوراً كبيراً في دفع الفرقاء نحو القبول بالتوافق على صيغة تؤدي لاستعادة المسار الانتقالي الذي قطعه انقلاب العسكر.

وفي ظل معطيات المعادلة الحالية للمشهد السياسي السوداني والتي تجسدها حالة الانقسام حول الاتفاق بين الرفض والقبول من جانب الأحزاب السياسية والقوى الثورية التي تنظم الاحتجاجات في الشارع، يبرز السؤال حول الاتجاه الذي تميل نحوه موازين القوة المرتبطة بالصراع السياسي، وهل يمكن للعسكر قيادة مسار الانتقال نحو أجندتهم التي دفعتهم للانقلاب على الحكومة الانتقالية السابقة، أم ربما يتمكن ائتلاف قوى الحرية والتغيير وحلفاؤه من الموقعين على الاتفاق من فرض واقع الدولة المدنية وإبعاد العسكر عن دائرة الفعل السياسي؟

القيادي في حركة القوى الحديثة «حق» مجدي عبد القيوم، يرى أنه رغم الموافقة الواسعة التي حظي بها الاتفاق، إلا انه لا يمكن الاستهانة بالمجموعات الرافضة له، لاسيما لجان المقاومة التي أكد على أنها مجموعات لها تأثير كبير ناتج عن قيادتها لحركة الاحتجاج في الشارع.

ويضيف: «صحيح أن الاتفاق وجد دعماً دولياً ولكن هذا نفسه رهين حركة الشارع، فإذا استطاعت المجموعات التي ترفض الاتفاق خلق التفاف واسع من عدة مراكز بحيث تشكل تحالفا مناوئا، قطعا لن يجد المجتمع الدولي بدا من العمل على إعادة صياغة الاتفاق».

ويذهب القيادي في حركة «حق» إلى أن الاتفاق بشكله الحالي الرابح فيه هم العسكر، لأنه يمهد الطريق أمامهم للإفلات من العقاب على الجرائم التي ارتكبوها سواء خلال فض «اعتصام القيادة العامة للجيش» في حزيران/يونيو 2019 أو اغتيال المتظاهرين خلال الاحتجاجات الرافضة لانقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر 2021.

ويؤكد عبد القيوم لـ «القدس العربي» على أن توازن الضعف هو السائد الآن بين أطراف الاتفاق، وأنه حال تم الاتفاق على حسم القضايا الخمس المؤجلة، قطعاً سيمضي الاتفاق إلى غايته، وسيحدث اختراقا في المشهد، ويستدرك: «لكن هذا يبدو حتى الآن صعبا إلى درجة كبيرة، لان القضايا التي ارجأت تمثل عصب أهداف الثورة».

ونوه إلى أن الصحيح هو عدم وجود ثوابت في السياسة، وأن المشهد السوداني ما زالت رماله متحركة، فيما تأسف على أنه ربما كان العامل الأساسي في التوصل للاتفاق هو الدور الخارجي، وتابع: «انا هنا لا أتحدث عن البعثة الأممية أو الثلاثية، لكن أتحدث عن دور دول المحور، ومن الواضح ان مصر مثلا بعدت أو أُبعدت عن الملف، وهذا فتح الطريق أمام دور الإمارات في صناعة الاتفاق، وهي قطعا لن تترك الأمور تمضي هكذا لأسباب معلومة».

ولفت القيادي في حركة «حق» إلى أن الاتفاق تم بوساطة الرباعية والسعودية، وأشار إلى أن هناك تناغما أكثر بين السياسة الخارجية المصرية والسعودية بالنظر للخلاف السعودي الإماراتي في كثير من الملفات الخارجية.

وأضاف: «مصر رعت تحالف (الكتلة الديمقراطية) وقطعا لن تقف عند هذا، وجملة القول أن هذا الاتفاق ملغوم وتتقاذفه رياح شتى».

وفي ذات الاتجاه يذهب المحامي والخبير القانوني المتابع للشأن السوداني المعز حضرة، حيث يصف الاتفاق بأنه «تعبير واضح عن حالة توازن الضعف بين الطرفين» وأنه بالنسبة للعسكر يؤكد فشل انقلابهم على الحكومة الانتقالية بعد عام كامل من سيطرتهم على زمام السلطة، رغم وجود أكثر من 123 شهيدا و3 آلاف مصاب.

ويشير كذلك إلى أن ما ساعد على هذا الضعف هو توقف الدعم الخارجي، بعد أن تم تصنيف ما حدث بواسطة قوى دولية مؤثرة بأنه انقلاب، لذا لم يعد أمام العسكر سوى العودة لتسوية سياسية لتبييض ماء الوجه.

أضاً يلفت حضرة الانتباه الى انزعاج المجتمع الدولي من إعادة قادة الانقلاب للإسلاميين من أنصار النظام السابق وإعادة أموالهم المصادرة، وأعتبر بأن هذه الأمر بمثابة خط أحمر بالنسبة لبعض دول الجوار.

ويضيف: «أما بالنسبة لقوى الشارع أو ائتلاف قوى الحرية والتغيير، يعتبر هذا الاتفاق غير نموذجي، لكنه يمثل أفضل ما هو متاح ويمكن أن يساعد على وقف إراقة الدماء، لذا تعاملت معه قوى الحرية والتغيير ممثلة في مجموعة المجلس المركزي، بحكمة وعقلانية».

وحسب ما أوضح المحامي والخبير القانوني، لـ «القدس العربي» فإن واقع الانقسام على مستوى الشارع أيضاً دفع الائتلاف للوصول إلى تسوية سياسية تعمل على إعادة الدولة المدنية، ونوه إلى أن هذه العوامل المشتركة بجانب ضغط المجتمع الدولي، جعل الائتلاف يوافق على الاتفاق.

وأضاف: «مع الأخذ بعين الاعتبار أن الوضع الحالي يختلف تماماً عن ما كان عليه عقب سقوط النظام السابق في 11 نيسان/ابريل 2019 وأن ائتلاف قوى الحرية والتغيير لم يعد هو ذلك التحالف الواسع».

ويشير حضرة إلى أن هناك سؤالاً جوهرياً ما زال مطروحاً، وهو هل سيلتزم العسكر بالاتفاق؟ وعلى حد قوله فإن السودان الآن في وضع لم يعد يحتمل نقضاً للعهود كما اعتاد على ذلك العسكر.

لكن الباحث والناشط في المجتمع المدني شمس الدين ضو البيت، يرى أن توازنات الضعف والقوة في الاتفاق الإطاري، ينبغي النظر لها من زاوية تحقيقها لأهداف ثورة ديسمبر 2019 وإلى أي مدى يمكن تحقيق تلك الأهداف في السياق الذي تم فيه الاتفاق.

وحسب ضو البيت هناك 3 ملاحظات حول موازين القوة تتعلق بأهداف الثورة، أولها أن موازين القوة لصالح تحقيق أهداف الثورة كانت أكبر في الوثيقة الدستورية التي تم توقيعها بين ائتلاف قوى الحرية والتغيير والعسكر في العام 2019.

ووفقا لما أشار، فإنه حينها كان ائتلاف قوى الحرية والتغيير أقرب إلى الشارع الثوري، وتحديداً عقب التظاهرات الداعمة للحكم المدني التي خرجت يوم 30 حزيران/يونيو 2019.

وأضاف: «تلك الاحتجاجات خلقت توازن قوة داعما لتحقيق أهداف الثورة من خلال العودة لمنصة التأسيس وتبني برنامج السودان الجديد والاهتمام بقضايا التنمية وتطوير الريف وإعادة العمل من أجل تحقيق مواطنة متساوية في مواجهة مشروع الدولة الدينية الذي كان موجوداً في ذلك الوقت».

أما الملاحظة الثانية التي ذكرها الباحث والناشط في المجتمع المدني، لـ «القدس العربي» فهي تتعلق بنوعية القوى الداعمة للاتفاق الإطاري، وهي– حسب رأيه – قوى مختلفة عن تلك التي دعمت الوثيقة الدستورية والتي كان على رأس أهدافها خروج المؤسسة العسكرية من الممارسة السياسية وإزالة تمكين نظام الثلاثين من يونيو 1989 بجانب تحقيق السلام.

بينما يرى أن القوى الداعمة للاتفاق الإطاري الحالي تضم عناصر تقليدية مقاومة لتحقيق أهداف الثورة.

وتتعلق الملاحظة الثالثة التي ذكرها ضو البيت بالقضايا الرئيسية للثورة، مثل إزالة التمكين وتحقيق السلام واستكمال عملية الإصلاح العسكري، وأضاف: «هناك خطأ في عدم إشراك المدنيين في هذه القضية، إضافة إلى قضية العدالة الانتقالية وقضية شرق السودان، جميعها لم تتم معالجتها بطريقة تحقق أهداف الثورة».

وتابع: «أرى أنه من غير المهم النظر للطرف الذي تصب في صالحه موازين القوة، سواء كانت تحقق أهداف العسكريين أو القوى السياسية التقليدية، بل الأهم هو تحقيق أهداف الثورة».

وينص الاتفاق الإطاري على السلطة المدنية الكاملة من دون مشاركة القوات النظامية، في فترة انتقالية محددة بعامين، من المنتظر أن تفضي إلى انتخابات.

وشملت أطراف الاتفاق، قائد الجيش عبد الفتاح البرهان، وقائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو «حميدتي» ونحو 50 حزبا وتنظيما سياسيا ومدنيا، بينهم مجموعة من مكونات ائتلاف «الحرية والتغيير» بالإضافة إلى عدد من الحركات المسلحة.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10833 الأحد 11 كانون الأول (ديسمبر) 2022 – 17 جمادى الأولى 1444 هـ

السودان: لجان المقاومة تتعهد باستمرار الحراك الشعبي وترفض التسوية السياسية مع قادة الانقلاب العسكري

محمد عبد الحفيظ

نهار يوم الاثنين الماضي، الذي شهد التوقيع على الاتفاق السياسي الإطاري في السودان، خرجت لجان المقاومة في تظاهرات احتجاجية رفضاً للتسوية السياسية بين بعض المدنيين والعسكريين.

وبينما كان بعض قادة الأحزاب السياسية وممثلي بعض الأجسام المهنية والقادة العسكريين، يحتفلون بالتوقيع على المرحلة الأولى من الاتفاق السياسي ، كانت عبوات الغاز المسيل للدموع والقنابل الصوتية تحول دون وصول المحتجين السلميين إلى القصر الرئاسي في العاصمة الخرطوم.

وكانت قوى سياسية أبرزها الحرية والتغيير «المجلس المركزي» وقعت على اتفاق سياسي إطاري بشكل مُنفرد مع القادة العسكريين، بحضور دولي تقدمه رئيس بعثة الأمم المتحدة لدعم الانتقال الديمقراطي في السودان «يونيتامس» فولكر بيرتس، وسفير الاتحاد الأفريقي محمد بلعيش، وسفير الاتحاد الأوروبي إيدن أوهارا بالإضافة إلى سفراء دول الترويكا والآلية الرباعية الدولية التي تضم سفير المملكة العربية السعودية، علي حسن بن جعفر والسفير الإماراتي حمد الجنيبي والسفير البريطاني جايلز ليفر والسفير الأمريكي جون غودفري.

وظل السودانيون منذ 25 تشرين الأول/اكتوبر العام الماضي يقاومون الانقلاب العسكري الذي نفذه القائد العام للجيش السوداني، عبد الفتاح البرهان الذي أطاح عبره بالحكومة الانتقالية، التي شكلت في أعقاب إسقاط نظام الرئيس المخلوع عمر البشير.

وكما كان يحدث طوال أكثر عام من عمر الانقلاب، واجهت الأجهزة الأمنية، مواكب الاثنين الرافضة للانقلاب العسكري والمنددة بالتسوية السياسية، بالعنف المفرط.

وأصيب 24 شخصاً نتيجة للضرب المباشر بعبوات الغاز المسيل للدموع، بينها 7 إصابات في الرأس و2 في العين و8 في القدم و3 في اليد وواحدة في البطن، فضلاً عن إصابات أخرى في الصدر والفك، حسب لجنة الأطباء الاشتراكيين.

كما أحصت اللجنة إصابات مزدوجة بالغاز المسيل للدموع والقنابل الصوتية بالإضافة إلى عدد من حالات الاختناق.

وفور التوقيع على الاتفاق السياسي الإطاري، أعلن عدد من لجان المقاومة في العاصمة الخرطوم والولايات، مواصلة مواكبها المناهضة للانقلاب العسكري والمناوئة للتسوية السياسية.

وأعلنت لجان مقاومة مدينة الدمازين بولاية النيل الأزرق، القريبة نسبياً من مدينة مايرنو، التي أنطلقت منها شرارة الثورة السودانية، في السادس من كانون الأول/ديسمبر 2018 أنها ستواصل طريق مقاومة الانقلابات العسكرية، وإسقاط سلطتها دون مساومات أو تسويات.

وأكدت أنها ستمضي في طريق تحقيق التغيير الجذري الكامل وبناء السودان الجديد، مؤكدة عدم التنازل عن لاءات وشعارات الثورة والمقاومة.

وقالت تنسيقيات لجان مقاومة ولاية الخرطوم عبر مكتبها الميداني، أنها لن تقبل بأي مساومة تُبقي على القتلة وخائني العهود في المشهد السياسي.

وأكدت على مواصلة المواكب السلمية ضد الانقلاب العسكري وضد أي تسوية سياسية تقود إلى شرعنته.

ووقع على البيان الذي يدعو لإسقاط الانقلاب العسكري ويرفض التسوية السياسية، تجمع لجان أحياء الحاج يوسف ولجان أحياء بحري وتنسيقيات لجان مقاومة أمدرمان الكبرى وتنسيقية شرق النيل جنوب وتنسيقيات لجان مقاومة مدينة الخرطوم.

ودعت التنسيقيات إلى موكب 8 كانون الأول/ديسمبر، المركزي تحت مسمى «لا للسلطة الزائفة» المتوجه إلى القصر الرئاسي.

لا شراكة لا تفاوض لا شرعية

وتتبنى لجان المقاومة، التي تقود الاحتجاجات السلمية في السودان، اللاءات الثلاث، لا شراكة لا تفاوض لا شرعية، وترفض وجود العسكريين في السلطة وتطالب بمحاكمة الذين ارتكبوا جرائم ضد الشعب السوداني، منذ انقلاب الثلاثين من حزيران/يونيو 1989 وحتى الآن، وتدعو لتحقيق العدالة ومنع الإفلات من العقاب.

وخلال هذا العام قامت لجان المقاومة بإعداد ميثاقين، يضعان تصورات لشكل التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي تتبناه وتطالب به.

ففي الحادي عشر من أيار/مايو الماضي، وقعت تنسيقيات لجان مقاومة ولاية الخرطوم، على إعلان ميثاق تأسيس سلطة الشعب الذي جرت مناقشته بواسطة القواعد.

وقالت التنسيقيات وقتها، إن الميثاق يهدف إلى تدشين حقبة جديدة في الممارسة السياسية القاعدية بالسودان.

ويتألف ميثاق تأسيس سلطة الشعب من ثلاثة عشر بنداً، وينص الأول على إسقاط الانقلاب، ورفض أي دعوات للتفاوض المباشر أو غير المباشر مع الانقلابيين، ويدعو للاستمرار في المقاومة السلمية عبر الأدوات المجربة والمبتكرة.

وتتضمن نصوص الميثاق، ضرورة إسقاط انقلاب تشرين الأول/اكتوبر ومحاسبة كل الضالعين فيه من القوى المدنية والعسكرية. ويطالب بإلغاء الوثيقة الدستورية وخلق وضع عن طريق إعلان دستوري مؤقت يستند على ميثاق تأسيس سلطة الشعب، ومراجعة جميع الاتفاقيات المُبرمة والمراسيم الدستورية الصادرة منذ الحادي عشر من نيسان/ابريل 2019.

وفي الخامس من تشرين الأول/أكتوبر الماضي، من نفس العام، وقع عدد من لجان المقاومة على «الميثاق الثوري لتأسيس سلطة الشعب» الذي ينص على رفض التفاوض والشراكة مع العسكريين ويتبنى الإطاحة بقادة الجيش عن السلطة إلى جانب محاسبة الإسلاميين واسترداد جميع الأموال المنهوبة فضلاً عن تشكيل مجلس تشريعي ثوري مهمته ملء الفراغ السياسي.

وبنهاية المواكب المجدولة بواسطة لجان المقاومة لتشرين الثاني/نوفمبر الماضي، وضعت لجان المقاومة جدولاً جديداً لشهر كانون الأول/ديسمبر، الذي بدأ بالفعل بالتظاهرات السلمية، المركزية واللامركزية، بالتزامن مع إعلان الحرية والتغيير «المجلس المركزي» عن مواعيد التوقيع على الاتفاق السياسي الإطاري.

وشهد الخميس الماضي إنطلاق أول موكب مركزي، وفقاً للجدول الذي حدده المكتب الميداني لتنسيقيات لجان مقاومة ولاية الخرطوم للشهر الجاري. حيث قامت قوات الأمن السوداني بتفريق المتظاهرين المناوئين للانقلاب العسكري والرافضين للاتفاق الإطاري السياسي، ومنعتهم من التقدم إلى محيط القصر الرئاسي وسط الخرطوم مستخدمة عبوات الغاز المسيل للدموع والقنابل الصوتية وخراطيم المياه.

ورفع المحتجون رايات عليها صور شهداء الانقلاب ولافتات تطالب بتسليم السلطة للشعب وترديد هتافات مناوئة للعسكريين والاتفاق الإطاري الموقع بين العسكريين وبعض الأحزاب السياسية.

وأدى العنف المفرط ضد المحتجين السلميين بواسطة الأجهزة الأمنية، الخميس، إلى وقوع 49 إصابة حسب رابطة الأطباء الاشتراكيين «راش».

وقال المتحدث باسم لجان مقاومة مدينة الخرطوم، حسام علي، في حديث لـ«القدس العربي» إن الحراك الشعبي المناهض للانقلاب العسكري سيستمر إلى أن تتحقق أهداف الثورة السودانية، التي تتمثل في إسقاط الانقلاب وتأسيس دولة مدنية ذات سيادة وطنية وجيش وطني مهني موحد.

وأوضح أن لجان المقاومة لديها مهام تمتد أثناء الفترة الانتقالية، وصولاً إلى حراسة صناديق الاقتراع وحتى إقامة الانتخابات الحرة والنزيهة، كما سيستمر دورها للحفاظ على مكتسبات الانتقال من خطر الردة. ولفت إلى أن الحراك الشعبي قد يتراجع أحياناً لكنه سرعان ما يعود أكثر قوة، وأكد أن لجان المقاومة منتظمة في نقاش دائم، من أجل تطوير العمل الميداني والسياسي، على ضوء المستجدات السياسية.

وأوضح أن لجان المقاومة تتوقع تصاعد وتيرة العنف ضد الثوار بغرض قمع الأصوات الرافضة لما يسمى بالاتفاق السياسي الإطاري.

واعتبر أن مواصلة العنف ضد الثوار السلميين يدلل على أن الاتفاق السياسي الإطاري، فُرض على الشارع الثوري ولا يعبر عن تطلعات الشعب. وأشار إلى أن ولايات السودان لن تتوقف عن تنظيم المواكب الداعية لإسقاط الانقلاب، كما أكد على أن «شعلة ديسمبر ستكون متقدة».

وأكد أن التنسيق بين لجان المقاومة والقوى السياسية والأجسام والكيانات الثورية سيكون مستمراً، ولن يقتصر على الدعوات للمشاركة في المواكب وحسب، بل سيمتد للتنسيق للاضراب السياسي والعصيان المدني الشامل.

الميثاق الثوري

وقال المتحدث باسم الميثاق الثوري لتأسيس سلطة الشعب، تاج الدين إسحق، لـ«القدس العربي» إن «أغلبية لجان المقاومة منتظمة في الميثاق الثوري لتأسيس سلطة الشعب».

وأكد أن الأسبوع المقبل سيشهد قيام ورشة مغلقة، تهدف إلى تكوين هيكلين تنظيميين، أحدهما للجان المقاومة في السودان، مهمته الحفاظ على أفقية اللجان واستقلالية قرارها السياسي؛ وآخر تنظيمي للقوى الموقعة وتلك التي ستوقع على الميثاق.

وأوضح أن لجان المقاومة بعد انتهاء الورشة، ستقوم بطرح الميثاق للتشكيلات الثورية المختلفة المؤمنة بالتغيير الجذري، مثل النقابات المنتخبة والنقابات الفئوية واللجان التسييرية وغاضبون وتجمع الأجسام المطلبية «تام» ومنظمات المجتمع المدني، وأكد أن لجان المقاومة تؤمن بضرورة وجود قيادة موحدة للثورة.

ولفت إلى أنهم يعملون على خلق تنسيق أكبر مع القوى السياسية والثورية التي لها مصلحة فعلية في إسقاط الانقلاب العسكري، واعتبر أن هذه القوى جزء فاعل من الثورة جنباً إلى جنب مع لجان المقاومة.

وأشار إلى أن لجان المقاومة، ستعمل على طرح الميثاق الثوري لتأسيس سلطة الشعب من أجل مناقشته والتوقيع عليه مع هذه القوى، تمهيداً لإعلان التحالف الذي سيقود الثورة في المرحلة المقبلة. وأوضح أن القوى التي دعمت الانقلاب، مثل الحرية والتغيير «الكتلة الديمقراطية» التي تضم حركات مسلحة وقوى سياسية وأهلية، ليست لديهم مشكلة مع التسوية السياسية، إلا أنهم يرون أنها ثنائية.

وأكد أن لجان المقاومة لن يكون لها أي تنسيق مع هذه القوى، بل أنها تدعو لمحاسبتها على دعم إنقلاب الخامس والعشرين من تشرين الأول/اكتوبر العام الماضي. وأفاد بأن لجان المقاومة ستواصل التصعيد الثوري وتوسيع قاعدة المشاركة الجماهيرية في الخرطوم العاصمة والولايات. وأوضح أن لجان المقاومة في كل ولايات السودان، دعت منذ الاثنين الماضي للمشاركة الواسعة في المواكب والتظاهرات، رفضاً للانقلاب العسكري و«التسوية السياسية» وسط إستجابة واسعة من كل مدن وقرى السودان.

ورأى أستاذ العلوم السياسية بجامعة النيلين، مصعب محمد علي، أن فرص استمرار الحراك الشعبي السلمي كبيرة، لأن لجان المقاومة ترفض الاتفاق السياسي الإطاري بين الحرية والتغيير «المجلس المركزي» وبعض القوى السياسية الأخرى والمكون العسكري.

واعتبر أن توقف أو استمرار الاحتجاجات السلمية مرهون بدخول الحرية والتغيير في حوار مع لجان المقاومة لتطرح الأخيرة رؤيتها لحل الأزمة السياسية التي تمر بها البلاد.

وأكد لـ«القدس العربي» أن تصاعد الحراك الشعبي الذي تقوده لجان المقاومة أو انحساره يرتبط بدرجة التنسيق والتنظيم الذي ستقود به المرحلة المقبلة.

ورأى باستمرار الاحتجاجات التي تقودها لجان المقاومة الرافضة للتسوية السياسية، حالة تكوين حكومة الفترة الانتقالية.

ولفت إلى أن الفئات الشبابية التي تعد الأكثر مشاركة في المواكب السلمية، ترى أنها خارج المعادلة السياسية، الأمر الذي يتطلب خوض مشاورات عميقة معها تفضي لمشاركتها في هياكل السلطة الانتقالية.

واعتبر أن أحد الأسباب التي جعلت لجان المقاومة ترفض الاتفاق السياسي الإطاري، هو تمسكها باللاءات الثلاث التي تتضمن رفضها للحوار والشراكة مع المكون العسكري.

ورأى أن لجان المقاومة، عندما فرغت من مواثيقها السياسية كان بإمكانها الدخول في العملية السياسية بمطالبها والتفاوض عليها.

ولفت إلى أن دخول البلاد في حل سياسي، ربما يُضعف لجان المقاومة في المستقبل، إلا إذا سعت إلى تنظيم نفسها أكثر وتكون طرفاً من العملية السياسية.

Volume 34 - Issue 10833 Sunday 11 December 2022

الاتفاق الإطاري السوداني: تعذر الافصاح بالقول الفصل

سيداحمد علي بلال

ان الاتفاق الإطاري، الذي تم التوقيع عليه يوم 5 كانون الأول/ديسمبر، يطرح صعوبات جمة، إذ يتسع نطاق الاختلاف حوله بين الرفض والقبول اتساعا كبيرا، ما يجعل تناوله من خلال وجهة نظر واحده مغامرة غير مأمونة الجانب، لذلك حاولت ان استطلع آراء عدد من السودانيين بالإضافة إلى الاستفادة من آراء أخرى مبذولة ما يعطي المتابع للشأن السوداني إضاءات أقوى.

إلقاء حجر في بركة راكدة

وابدأ بمن اعتبر الاتفاق بمثابة إلقاء حجر في بركة آسنة بغية تحريكها. فيقول الروائي سيد احمد العراقي: «الاتفاق الإطاري قد يمثل وقفة مفيدة وطنيا ولكنه ليس مقدسا أو منحوتا على حجارة، وان كُبحت الأطماع والأوهام وكبر الهم الوطني فينا سينمو ويكبر».

ويقول الماحي علي الماحي: «الاتفاق الإطاري حجر في بركة الأزمة السياسية الخانقة منذ تشرين الأول/أكتوبر 2021. ومن حسناته ابتعاد العسكريين برضائهم عن السياسة، والإقرار بضم الجنجويد والحركات المسلحة في الجيش ومدنية الدولة غير المنقوصة.

لكن المحاذير تكمن في ان القيادة العسكرية والدعم السريع ما زالا في كامل قوتهما العسكرية والاقتصادية ما يمكنهما من الانقلاب على الاتفاق متى ما أرادا ذلك.

ويشكل المعارضون للاتفاق طيفا عريضا من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بمن فيهم القوى التقليدية والحركات المسلحة والإسلاميون والشيوعيون والبعثيون.

أما التعامل مع اتفاق جوبا وقضية شرق السودان وعدم الاستقرار الأمني في الغرب والمدن، ستشكل تحديا كبيرا للحكومة المدنية وستجعلها أسيرة للعسكر ومصدر ابتزاز دائم من قبله».

دولة العدالة والقانون

وبعثت نجاة خضر نبذة تشجع على اقتحام الساحة بمقطع قصير للصادق سمل والد الشهيد عبد الرحمن سمل يحتوي على حديث، مشيرة إلى ان هذا حديث من القلب. ويركز المقطع على التشجيع وعدم التخوف من الخوض والحديث عن التسوية ويعتقد ان شرط التسوية هو السعي للتغيير في السودان وإقامة دولة العدالة.

ويقول الصادق سمل «إذا كان الغرض من التسوية تحقيق العدالة يكون عدم إتمامه جريمة، أما إذا كان الغرض هو الحصول على امتيازات سياسية فيكون جريمة».

وأضاف ان الثورة السودانية «ليس فيها منتصر بشكل كامل أو مهزوم بشكل كامل، انها ثورة ليس فيها منتصر بشكل مطلق أو منهزم بشكل مطلق».

ومضى يقول ان للتسوية شروطا أخلاقية ذات علاقة مباشرة بكرامة الإنسان ومن شروطها قيام دولة العدل والقانون.

إضاءات

ويقول طالب الدكتوراه إسماعيل حامد: «من السهل كتابة لغة رصينة محملة بمعان إنسانية لكن يظل محك علاقات القوى ومصالح القوى هو المتحكم في حركة النص.

علاقات القوى في المشهد توضح ان العسكر ينشدون من هذا الاتفاق حماية شخصية وفك الحظر عن أموال الدعم الممنوحة في فترة حمدوك التي تم تجميدها بعد الانقلاب.

تسعى الآلية الرباعية لوجود استقرار نوعي في المنطقة مع عدم وجود تعارض مع دعوة ناخبيهم في توفير دولة مدنية أو على أقل تقدير عدم دعم حكومة عسكرية. فدول الخليج تسعى إلى فتح منافذ استثمار بشروط غير منصفة في ظل وجود حكومة ضعيفة. كل هذه المصالح تتفق في إحداث استقرار نوعي تكون فيه خسائر الأطراف المشاركة أقل ما يمكن. فبالتالي هو اتفاق مجموعة من المجموعات على مصالحها فتوصلت إلى الحد الأدنى من الاتفاق».

ويضيف إسماعيل «ان هذا الادعاء يؤكده تأجيل المناقشة حول القضايا الخلافية الكبيرة التي تمس مصالح كل مجموعة مثل قضية العدالة والعدالة الانتقالية واتفاق سلام جوبا، ودمج الدعم السريع وحركات الكفاح المسلحة الخ».

ويواصل: «لا يمكن التوصل إلى حل جذري بدون التركيز على تشريح أسباب الأزمة ومخاطبتها وهذا ما غفل عنه الاتفاق، كما غابت حركات الكفاح المسلح، عبد العزيز الحلو وعبد الواحد ولجان المقاومة».

ويستنتج من ما ذكره ان هذا الاتفاق لن يحل قضايا الاتفاق الديمقراطي والأمن والعدالة والمعيشة وتفكيك دولة النظام القديم.

أما خبير حقوق الإنسان عبد السلام سيداحمد الذي عمل من قبل في منظمة العفو الدولية ومفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان فقال فيما يعتبره أفكارا أولية حول الموضوع متسائلا: «ان المسألة الآن أصبحت واقعا يجب التعامل معه بشكل أو بآخر.

من السهل ان يرفض الناس بصورة حادة ويعتبروا ان هذا بمثابة خيانة للدولة والشهداء ووضع أيديهم مع يد القتلة ولكن إلى أين سيقودنا هذا؟».

ويضيف: «ممكن جدا ان تسهم حركة الشارع في إسقاط الاتفاق ومن وراءه الحرية والتغيير ولكن هل سيفتح ذلك الطريق إلى إسقاط المجموعة الانقلابية الحاكمة؟ لا أعتقد ذلك.

سيحدث العكس ستكون المعارضة موجهة ضد من وقع على الاتفاق وستؤدي إلى تقوية موقف الانقلابيين ومن بينهم الفلول الذين سيعودون إلى السلطة بالكامل تحت مظلة انتخابية جديدة».

ويتساءل.. إذا ما الحل؟

ويجيب هل يمكن لكافة القوى ان تبني على ما انجز حتى الآن خاصة وان المبادئ المذكورة في الاتفاق النهائي لا غبار عليها في العموم، وتشتغل على اتفاق نهائي يقترب قليلا من الأهداف الكلية؟

ويقول ان هذا ما يفكر فيه حاليا.

ويقول الروائي والشاعر بشرى الفاضل: «انا مع الاتفاق الإطاري سواء كان تسوية أو هبوطا ناعما أو خيانة، لكن فلنسأل هبوط ناعم مع من؟

الذين سيهبطون بالمظلة مع الكيزان ونداء السودان والحزب الديمقراطي الأصل بقيادة الميرغني ومع جبريل ومناوي هم الذين ينادون بالتغيير الجذري دون وجود أدوات لذلك التغيير بعيد الأمد من نقابات ووحدة بين قوى الثورة. بينما الشعب يتضور جوعاً وأمنه غائب.

أما لجان المقاومة فهي منقسمة وهب انها كلها ضد الاتفاق الإطاري فنعم هي بذلت للثورة الدماء وتقوم وقامت بالدور الأكبر في الثورة لكن هناك ضبابية في وعيها السياسي متمثلاً في رفضها لفكرة الأحزاب السياسية من أساسها، فلم يكونوا حزبهم وهم أغلبية وكان يمكن ان يقودهم ذلك لاستلام السلطة لكنهم بالمظاهرات المتواترة وحدها سيضغطون نعم ويؤثرون على المشهد نعم، لكنهم لن يستلموا السلطة، فالديكتاتور لا يستجيب للنداءات بل بالضغط بعدة طرق بما فيها العملية السياسية التي قامت بها الحرية والتغيير والمجتمع الدولي.

بعد شهر من الآن أتوقع ان تنحسر المظاهرات الثورية الرافضة ويبقى الكيزان وتوابعهم وحدهم يصرخون في الشارع ثم ينزوون. المهم ان يكون رئيس الوزراء المقبل والحكومة المدنية من القوة بحيث تجابه أي شخص يسعى لعرقلة مسيرة ثورة ديسمبر وتكشف نواياه للشعب.

الوثيقة لم تأت من الخارج المهم النظر في مضمونها هل فيه خيانة؟

نحن بحاجة لرئيس وزراء مثل الرئيس لولادا سيلفيا البرازيلي في فترته الأولى بحيث يكون صانع قرارات من اليوم الأول، يرجع ضباط الشرطة وضباط الجيش المفصولين ويستعدل جهاز الأمن ويحرس حدود السودان بالدرونات والحواسيب والجنود وألخ، فمشاكل السودان لا حد لها».

ويقول الفنان التشكيلي فتحي محمد عثمان «ان الاتفاق يشبه السودان في تعقيده، وبالتالي يستعصي على التبسيط وإن كان في إطاره العام يبدو مقبولاً ويستجيب للمطالب الرئيسيّة، إلا ان التفاصيل تستدعي قدرا كبيرا للغاية من الذكاء والمرونة والتنازلات أيضاً في الأمور غير المبدئيّة. وفي تجارب الآخرين دروس يمكن الاستفادة منها، مثل تجارب جنوب أفريقيا والمغرب ورواندا.

فرقة المرجئة السياسيّة

أما الصحافي فيصل محمد صالح، الوزير السابق في حكومة حمدوك، فيقول في مقال له عن الاتفاق الإطاري إن «وجود القوى المعارضة للاتفاق ليس بالضرورة حالة عدائيّة أو ظاهرة سالبة، بل من الممكن النظر إليها كقوّة ضامنة لان يسير الاتفاق في مساره الصحيح ويحقق الشعارات العامة التي طرحها، وإن لم يصل لمستوى تطلعات الجماهير».

ويضيف «من الأفضل لقوى الحرية والتغيير ان تحترم خيار القوى الأخرى التي رفضت الاتفاق وأن تضبط من جانبها ردود فعلها على مواقف الرفض».

ويعترف فيصل في الختام بأن طبيعة الاتفاق الإطاري فضفاضة ومعممة وتحتاج لعمل كبير في التفاصيل، ويقول إن طائفة المرجئة السياسية قد تنتظر لترى كيف يمكن تحقيق ما تم ذكره في الاتفاق الإطاري.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10833 الأحد 11 كانون الأول (ديسمبر) 2022 – 17 جمادى الأولى 1444 هـ

البيت الأبيض ينظر بحذر إلى الاتفاقية السياسية الإطارية «الهشة» في السودان

واشنطن ـ «القدس العربي»: رائد صالحة

لم يوجه البيت الأبيض الدعوة للقادة العسكريين في السودان الدعوة لحضور القمة الأمريكية–الأفريقية، التي سيحضرها قادة من جميع أنحاء القارة في واشنطن الشهر المقبل، لكن إدارة الرئيس جو بايدن ستوجه الدعوة لأعضاء المنظمات غير الحكومية في السودان إلى منتدى «المجتمع المدني».

وقد جاءت تأكيدات واشنطن بعدم دعوة السودان بعد ساعات من ترحيب الولايات المتحدة بتوقيع الأطراف السودانية على الاتفاق السياسي الإطاري ما يشير إلى تعقيدات الاستراتيجية الأمريكية في الشأن السوداني.

وأوضحت دانا بانكس، كبيرة مستشاري شؤون أفريقيا في مجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض، أنه لم تتم دعوة الدول التي علق الاتحاد الأفريقي عضويتها، بما في ذلك السودان ومالي وبوركينا فاسو وغينيا.

وكانت واشنطن قد علقت الدعم الاقتصادي للسودان وأوقفت عدة إجراءات تهدف إلى إنهاء آثار العقوبات الاقتصادية المفروضة على السودان ضد النظام السابق بعد الانقلاب العسكري الذي قاده اللواء عبد الفتاح برهان.

ورحب وزير الخارجية الأمريكي، أنتوني بلينكن، في بيان حصلت «القدس العربي» على نسخة منه بتوقيع الأطراف السودانية على الاتفاق السياسي الإطاري الميدئي في 5 كانون الأول/ديسمبر، والذي يعد خطوة أولى أساسية باتجاه تأليف حكومة انتقالية بقيادة مدنية وإنشاء ترتيبات دستورية للفترة الانتقالية.

وقال بلينكن :»نحن ندعم نية الأطراف السودانية والجيش السوداني إجراء حوارات شاملة حول القضايا العالقة قبل إبرام اتفاق نهائي ونقل السلطة إلى حكومة انتقالية بقيادة مدنية وندعو إلى إجراء تقدم سريع نحو تحقيق هذه الغايات».

وأكد أكبر مسؤول دبلوماسي أمريكي على أن الولايات المتحدة تخضع المفسدين الذين يحاولون تقويض التقدم الديمقراطي أو تأخيره للمساءلة، سواء كانوا من الأطراف الفاعلة العسكرية أو السياسية، وذلك دعما لمطالبات الشعب السوداني بالحرية والسلام والعدالة في ظل حكومة ديمقراطية وإقرارا منا بهشاشة عمليات الانتقال الديمقراطي.

وأعلن بلينكن تحقيقا لهذه الغاية عن توسيع نطاق سياسة حظر منح التأشيرات المطبقة حاليا بموجب المادة 212(أ)(3)(ج) من قانون الهجرة والجنسية لتشمل أي مسؤول سوداني حالي أو سابق أو أي أفراد آخرين يعتقد أنهم مسؤولون عن تقويض عملية الانتقال الديمقراطي في السودان أو متواطئون في ذلك، بما في ذلك من خلال قمع حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وكذلك أفراد الأسرة المقربين لكل من هؤلاء الأفراد.

وحسب ما ورد، يوسع هذا الإجراء من نطاق أدوات وزارة الخارجية لدعم التحول الديمقراطي في السودان ويعكس عزمنا المستمر على دعم الشعب السوداني لتحقيق رغبته الواضحة في حكومة مستجيبة ومسؤولة بقيادة مدنية. ولن نتردد في استخدام سياستنا الموسعة ضد المفسدين في عملية الانتقال الديمقراطي في السودان تماما كما استخدمنا سياسة القيود على منح التأشيرات ضد من قوضوا الحكومة الانتقالية السابقة بقيادة مدنية.

وقال بلينكن :»نجدد دعوتنا إلى القادة العسكريين في السودان حتى يتنازلوا عن السلطة للمدنيين ويحترموا حقوق الإنسان ويضعوا حدا للعنف ضد المتظاهرين، كما نحث ممثلي القادة المدنيين في السودان على التفاوض بحسن نية ووضع المصلحة الوطنية أولا».

ونشر السيناتور الأمريكي كريس كونز (ديمقراطي) وجون برينداغاست من «ذا سينتري» مقال رأي في مجلة «فورين بوليسي» يناقش مستقبل السودان حيث يواصل الشعب السوداني الضغط من أجل الديمقراطية في حركة وطنية، ودعا السيناتور كونز، رئيس اللجنة الفرعية لتخصيص اعتمادات العمليات الخارجية وعضو لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، الولايات المتحدة إلى الاستثمار في المنظمات السودانية المقاومة للحكم العسكري وفرض عقوبات حديثة وشاملة ضد قادة الانقلاب مثل تلك الموجودة في السودان.

ويدعم هذا المقال قانون الديمقراطية الذي قدمه السناتور كونز العام الماضي للسماح للحركة الديمقراطية في السودان بالنمو.

وحذر كونز وغاست من أن الصراع مستمر من أجل مستقبل السودان، وقالا إن نتيجة الصراع الحالي بين الجيش الكليبتوقراطي (حكم اللصوص) وحركة الاحتجاج المرنة في الشوارع عواقب تتجاوز القرن الأفريقي على الولايات المتحدة وحلفائها وخصومها مع الإشارة إلى محادثات موسكو مع كبار المسؤولين العسكريين السودانيين أثناء غزو القوات الروسية لأوكرانيا.

واتهم كونز وغاست روسيا بالضلوع في الانقلاب العسكري في الخرطوم في تشرين الأول/اكتوبر، وقالا إن مصر ودول الخليج تحجم عن المخاطرة باستقرار قصير المدى لدعم التحول الديمقراطي في جوارها في حين تريد الصين شريكا تجاريًا.

وعلى الرغم من أن أوروبا تدعم التحول الديمقراطي، إلا أنها لا تريد مئات الآلاف من المهاجرين الجدد يتجهون شمالاً.

وأشار قادة النظام السوداني إلى أن هذا سيحدث إذا لم يدعم المجتمع الدولي الحكومة التي يقودها الجيش.

وأكد كونر وغست أن الشعب السوداني لن يتراجع في الدفاع عن مكاسبه السياسية، حتى في مواجهة عمليات القتل المستمرة والعنف الجنسي والاعتقالات من قبل النظام، استمرت حركة ضخمة مؤيدة للديمقراطية على مستوى البلاد لعدة أشهر في احتجاجات الشوارع غير العنيفة. يجب أن يكون التصميم الذي أظهره هؤلاء الآلاف من الأشخاص وهم يخاطرون بحياتهم ضد قوات الأمن المدججة بالسلاح بمثابة تذكير للعالم حول مدى قيمة الديمقراطية حقًا.

وقد تجنب الاتفاق بين القادة العسكريين والمدنيين القضايا السياسية الحساسة المتعلقة بالعدالة الانتقالية وإصلاح الجيش، وهي سياسة تعد برؤية الفصائل المسلحة المختلفة داخل السودان تندمج في قوة قتالية واحدة، وفقاً لوكالة «أسوشيتد برس».

وحسب ما ورد، هناك حالة أخرى من عدم اليقين تتمثل في الكيفية التي ستؤدي بها الاتفاقية إلى موازنة القوة بين الحكومة المدنية الجديدة والجيش.

ووفقاً للاتفاق، سيشكل الجيش بعد إصلاحه جزءًا من «مجلس الأمن والدفاع» الذي يشرف عليه رئيس وزراء جديد، ومع ذلك، شكك المعلقون في ما إذا كان الجيش يتبع هذا التعهد بشكل صحيح.

ومن المتوقع إجراء مزيد من المفاوضات للتوصل إلى اتفاق أكثر شمولاً.

وقد توسطت الأمم المتحدة والولايات المتحدة على مدى شهور من المفاوضات بين الأطراف في السودان، جنبًا إلى جنب مع العديد من الفاعلين الدوليين الآخرين. وقد أقر الطرفان بهشاشة الاتفاقية ودعا إلى مزيد من المحادثات.

Volume 34 - Issue 10833 Sunday 11 December 2022

مرة أخرى السودان وسط اتفاق سياسي جديد لنقل السلطة: هل هي مراوغة من الجيش أم تحول حقيقي؟

إبراهيم درويش

وقع الجيش السوداني الذي استولى على السلطة في 25 تشرين الأول/اكتوبر وتحالف مؤيد للديمقراطية على اتفاقية سلام إطاري على أمل الخروج من المأزق السياسي الذي تمر به البلاد منذ تحرك الجيش بقيادة الجنرال عبد الفتاح البرهان والجنرال محمد حمدان دقلو «حميدتي» والذي أوقف عملية التحول الديمقراطي ووضع رئيس الوزراء في حينه عبد الله حمدوك تحت إقامة جبرية ثم استقالته في بداية العام الحالي. ووقع الاتفاق الجديد يوم الإثنين في العاصمة الخرطوم عدد من قوى الحرية والتغيير وأحزاب ونقابات أخرى فيما عارضته المكونات الرئيسية التي باتت تقود حركة الاحتجاجات والعصيان ضد النظام العسكري، وهي لجان المقاومة الشعبية وحركات تمرد.

وهو ما يثير أسئلة حول الاتفاق الجديد وإن كان يعكس رغبات الشارع السوداني أم رغباب الأطراف الموقعة عليه في الداخل والخارج وخاصة الرباعية: الأمم المتحدة والولايات المتحدة والسعودية والإمارات العربية المتحدة.

وتم توقيع الاتفاقية بعد أشهر من المحادثات المكثفة التي ستؤدي إلى حكومة انتقالية ودستور جديد، إلا أن الحماسة للاتفاق الجديد كانت فاترة نظرا لأن الصفقات السابقة مع الجيش انهارت نتيجة لمحاولة المؤسسة العسكرية الحفاظ على مكتسباتها الاقتصادية والعسكرية. ورغم المظهر الدولي الداعم إلا أنه يظل أقل من مطالب المتظاهرين الذين يريدون عودة الجيش فورا إلى ثكناته وتسليم السلطة للمدنيين وتحقيق العدالة الاجتماعية، والتحقيق بمجازر وتجاوزات وخاصة مجزرة رمضان 2019 في الخرطوم والتي لا تزال عائلات الضحايا والمفقودين تطالب بالعدالة ومحاسبة المسؤولين عنها، رغم إنكار الجيش لأي علاقة بها.

فشل الانقلاب

وتشير عودة الجيش للتوافق مع المكونات المدنية إلى فشل انقلابه العام الماضي. حيث فرضت الدول التي كانت ترعى العملية الديمقراطية عقوبات على السودان وعلقت مساعداتها مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. ولهذا فلن يخرج الاتفاق الحالي السودان وبالضرورة الجيش من مأزقه ومشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتعددة. فالمؤسسة العسكرية رغم ما تلقاه من دعم مصر ودول في الخليج العربي، إلا أنها لا تريد مثات الآلاف من المهاجرين الجدد يتجهون شمالاً.

وأشار قادة النظام السوداني إلى أن هذا سيحدث إذا لم يدعم المجتمع الدولي الحكومة التي يقودها الجيش.

وأكد كونر وغست أن الشعب السوداني لن يتراجع في الدفاع عن مكاسبه السياسية، حتى في مواجهة عمليات القتل المستمرة والعنف الجنسي والاعتقالات من قبل النظام، استمرت حركة ضخمة مؤيدة للديمقراطية على مستوى البلاد لعدة أشهر في احتجاجات الشوارع غير العنيفة. يجب أن يكون التصميم الذي أظهره هؤلاء الآلاف من الأشخاص وهم يخاطرون بحياتهم ضد قوات الأمن المدججة بالسلاح بمثابة تذكير للعالم حول مدى قيمة الديمقراطية حقًا.

وقد تجنب الاتفاق بين القادة العسكريين والمدنيين القضايا السياسية الحساسة المتعلقة بالعدالة الانتقالية وإصلاح الجيش، وهي سياسة تعد برؤية الفصائل المسلحة المختلفة داخل السودان تندمج في قوة قتالية واحدة، وفقاً لوكالة «أسوشيتد برس».

وحسب ما ورد، هناك حالة أخرى من عدم اليقين تتمثل في الكيفية التي ستؤدي بها الاتفاقية إلى موازنة القوة بين الحكومة المدنية الجديدة والجيش.

ووفقاً للاتفاق، سيشكل الجيش بعد إصلاحه جزءًا من «مجلس الأمن والدفاع» الذي يشرف عليه رئيس وزراء جديد، ومع ذلك، شكك المعلقون في ما إذا كان الجيش يتبع هذا التعهد بشكل صحيح.

ومن المتوقع إجراء مزيد من المفاوضات للتوصل إلى اتفاق أكثر شمولاً.

وقد توسطت الأمم المتحدة والولايات المتحدة على مدى شهور من المفاوضات بين الأطراف في السودان، جنبًا إلى جنب مع العديد من الفاعلين الدوليين الآخرين. وقد أقر الطرفان بهشاشة الاتفاقية ودعا إلى مزيد من المحادثات.

في السياسة والاقتصاد وخلق جيش مهني واحد، في إشارة لدمج الميليشيات التي باتت تؤثر على القرار في الخرطوم، بمن فيها قوات الدعم السريع التي يقودها دقلو. وبموجب وثيقة الاتفاق الجديد فسيكون الجيش ضمن مجلس دفاع وأمن تحت قيادة رئيس الوزراء الذي سيتمتع بصلاحيات واسعة. وتم الاتفاق بدون وضع إطار زمني، لتحقيق العدالة الانتقالية وإصلاح أجهزة الأمن والجيش ومراجعة اتفاقية جوبا للسلام عام 2020 والتي دعت تحالف المتمردين في المناطق المضطربة في غرب دار فور لوضع أسلحتها. إلى جانب إصلاحات قضائية والبنك المركزي ومركز الرقابة المالية وتفكيك وحل مؤسسات نظام 30 حزيران/يونيو 1989.

معوقات

وأشارت صحيفة «نيويورك تايمز» (2023/12/5) إلى أن الاتفاق الإطاري سيواجه المعوقات المعروفة في السياسة السودانية وهي إن كان الجيش سيخرج طوعا من الحياة السياسية أو يسمح بتحقيقات في سلوكياته السابقة. وحسب خلود خير من مركز «كونفلوانس أدفيزاري» فإن السودانيين مهرة في كتابة وثائق جيدة والتوافق عليها و «المشكلة كانت دائما في ترجمة هذه الكلمات الرائعة إلى آليات وسياسات». والوثيقة الموقعة تعد بتحولات مهمة في الحياة السياسية السودانية، مثل تخلي الجيش عن السياسة، وهو ما قاله البرهان قبل شهرين من أنه سيسلم الأمور إلى المدنيين، ففي الوقت الذي قيدت فيه صلاحيات رئيس الوزراء في المرحلة الانتقالية الأولى والتي انتهت بانقلاب، فالعملية الجديدة تتحدث عن رئيس وزراء بصلاحيات واسعة وتحديد سلطة البرهان بقيادة الجيش ودقلو بقيادة الدعم السريع، كما أن وثيقة الدستور المقترحة ستقوم على مسودة أعدتها نقابة المحامين السودانيين. وتظل المشاكل الملحة وهي العدالة الانتقالية، التي تمثل مع أخرى الجزء الثاني من العملية السياسية الجديدة، ومسائلها شائكة، فلا يعرف أحد إلى أي مدى سيتعامل فيه الجيش مع تدخل المدنيين في إصلاح قوى الجيش والأمن وكذا تقبله المسؤولية عن جرائم ومجازر ضد المدنيين. ومن هنا ترى مكونات أن الاتفاق يعطي الجيش فرصة للهروب من العدالة الاجتماعية، مع أن متحدثا باسم قوى الحرية والتغيير أكد «لا حصانة من العقاب لأي شخص حتى حميدتي أو البرهان» وأنه سيتم نقاش العدالة الانتقالية مع كل المشاركين وليس الساسة. وتظل القوى الشعبية أو لجان المقاومة هي المكون الرئيسي الحالي في المقاومة ضد العسكر، وقد رفضت الاتفاق الجديد. وفي مشهد سياسي هش ومتشرذم بين فصائل متعددة فمن الصعب رؤية الكيفية التي ستتوصل فيها هذه الفصائل لرؤية واحدة حول مستقبل السودان. فبعد رحيل عمر حسن أحمد البشير بعد 30 عاما في السلطة تصاعدت الآمال بفجر جديد ومرحلة من الازدهار الاقتصادي والديمقراطي، إلا أن السودان الذي يعتبر واحدا من أكبر دول القارة يواجه اليوم أزمات أكبر من تلك التي سبقت الثورة، والقلق السياسي لم يعد في المركز بل في الأطراف، شرقا وغربا حيث باتت القبائل تسلح نفسها. ويجب ألا نفصل هذا عن حرص الجيش على التعاون مع القوى المدنية نظرا لفشله في إدارة البلاد بعد انقلابه واعتقال حمدوك ووضعه تحت الإقامة الجبرية، إلا أن عودة حمدوك وتوقيعه اتفاقا مع الجيش من جديد أفقده المصداقية أمام المقاومين للانقلاب. وقال حمدوك في حينه إن السودان يمر بمنعطف خطير قد يهدد وجوده إن لم يتم تصحيحه. ولم يحصل السودان على رئيس وزراء مدني منذ رحيله. وبفهم والحالة هذه حرص الجيش على توافق مع المدنيين، فمن جهة سيعطي رئيس وزراء مدني وجها للنظام وربما أقنع الدول المانحة باستئناف مساعداتها التي توقفت بعد الانقلاب. إلا أن هذه الدول وخاصة الولايات المتحدة ستكون حذرة. فبعد تأكيد البرهان في العام الماضي لمبعوثين أمريكيين أن الجيش لن يقوم بأي تحرك يعرض الديمقراطية للخطر أطاح بحمدوك في اليوم الثاني وقطع الإنترنت وحاول فرض حالة الطوارئ على البلاد. وبات السودان تحت حكم البرهان بحاجة للانقاذ، فالأوضاع الاقتصادية تردت وزادت سوءا بعد حرب أوكرانيا، التي يستورد منها السودان إلى جانب روسيا معظم حبوبه. ويقدر البنك الدولي أن هناك حوالي 15 مليون شخص، أي أكثر من الثلث يعانون من الفقر الحاد. وزاد الفيضان الذي دمر قرى وشرد عشرات الآلاف من المنكوبين إلى جانب عودة التوترات القبلية والإثنية في دار فور والتي خلفت مئات القتلى. وأثرت الأوضاع الاقتصادية على الأطفال الذين قالت يونيسف وبرنامج الغذاء العالمي في شهر تشرين الأول/ اكتوبر أن ثلث الأطفال ما بين سن 6– 18 أو حوالي 7 ملايين ليسوا في المدارس على الإطلاق. ويضاف إلى هذا تأثر السودان بالحروب الأهلية في دول الجوار، فقد ظل البلد وعلى مدى عقود محلا لاستقبال موجات اللجوء من القرن الأفريقي وآخرها المهجرين من تيغراي بسبب نزاع الحكومة مع المتمردين في الإقليم الإثيوبي هذا.

وعلى صعيد مقاومة الانقلاب، لم تتوقف الاحتجاجات منذ سيطر الجيش حيث قتل أكثر من 116 محتجا على يد قوات الأمن، إلى جانب الكثير من الجرحى والمعتقلين. ومن هنا كان رد لجان المقاومة الشعبية على الاتفاق الإطاري بمزيد من المسيرات والاحتجاجات. ولم تتغير مطالب المتظاهرين وشعاراتهم منذ الثورة على البشير وهي «الخبز والحرية» والتعليم والصحة والعمل والسكن، وبدون تحقيق هذه المطالب فستظل الثورة مستمرة. ورغم دعوة بعض الممثلين السودانيين للتمعن مليا في بنود اتفاق وقعت عليه مكونات سياسية سودانية إلا أن تصرفات الجيش بعد ثورة 2019 وحرصه على حماية مصالحه ومملكته التجارية التي تضم شركات وتصنيع وتنقيب عن المعادن التي يذهب معظمها للخارج، تجعل من رفض مكونات التعامل معه شرعية.

أمل

ويبدو أن الراغبين بالتعاون مع الجيش يأملون بالعودة إلى ترتيبات ما قبل 25 تشرين الأول/اكتوبر وقف الانقلاب والتصدي للتدهور الاقتصادي، حسب المتحدث باسم قوى الحرية والتغيير الذي تحدث لموقع «ميدل إيست آي» (2022/12/4). ويتهم المعسكر الرافض للاتفاق الموقعين عليه بأنهم منحوا الجيش مخرجا من أجل الحفاظ على مكتسباته. ومن هنا اعتبرت اللجان الاتفاق مجرد «حبر على ورق» كذلك الاتفاق الذي وقعه حمدوك مع الجيش في تشرين الثاني/نوفمبر 2021. ومن ناحية القوى الخارجية التي دعمت الاتفاق، فيبدو أنها مدفوعة بمنع فشل السودان أو اندلاع حرب أهلية واسعة. ويرى محمد بدوي، الباحث السوداني أن الاتفاق هو نكسة لمطالب الشارع والمسار الديمقراطي، فهو سيعطي الجيش اليد العليا في السياسة والاقتصاد ويمنح الحصانة للمتورطين في قتل المدنيين، بل وقد يؤدي إلى عودة رموز من النظام السابق. وقال إن الاتفاق يحمل عددا من التناقضات، فدعم الدول الغربية والأمم المتحدة لا يستطيع منح الحصانة للجنرالات نظرا أنها ضد القانون الدولي. وفي النهاية سيكون الخيار للشارع الذي بيده خلط أوراق الموقعين في الداخل والداعمين بالخارج ما سيحد من مجال تنفيذ ما اتفق عليه. أي العودة للدوامة نفسها، وطالما لم يظهر الجيش أي حسن نية للتخلي عن السلطة فإن الوضع سيظل متوترا، تظاهرات ومسيرات وسط انقسامات في قوى المعارضة.

وبانتظار تحقيق شعار البرهان «العسكر للثكنات والأحزاب للانتخابات» فربما كان الاتفاق الإطاري هروبا للوراء للبرهان وجماعته، فهو من ناحية سيخفف الضغط الدولي والقوى الخائفة على مسار السودان ومصيره، ومن ناحية أخرى سيورط قوى الحرية والتغيير في مسار سياسي مفتوح النهايات ما سيعزز الشق في داخل قوى المعارضة السياسية. وربما أنهى البرهان آثار انقلاب العام الماضي وتوصل لتسوية سياسية ستظل مخرجاتها مرهونة برؤية الجيش. وقد تفضي تجربة البرهان الحالية إلى خلع البزة العسكرية لاحقا وبعد ترتيب الأوضاع وتحييد معارضيه وإدخال شركاء جدد، حتى لو كانوا من أعضاء النظام السابق، ويرتدي بدلة مدنية كما فعل جنرال مصر من قبله. كل هذه تظل سيناريوهات محتملة وبانتظار نتائج الإطار التنسيقي.

حوار

الأسيرة الفلسطينية إسراء جعابيص:
كل شيء صعب في المعتقل والحل هو استرداد الحرية

حاورها من معتقل الدامون: عبد الحميد صيام

من أكثر القصص مأساوية وألما حكاية الفتاة إسراء جعابيص، بنت جبل المكبر القريب من القدس. حكايتها توجع القلب وتفتح جروحا عميقة على مدى الظلم الذي لحق بها وبعائلتها من دون أن تأخذ حكايتها الاهتمام الذي تستحق. وهي تقبع الآن في زنزانة بسجن الدامون مع 32 إمرأة أخرى بمن فيهن ثلاث قاصرات.

ولأن إسراء تحفظت في رواية تفاصيل الحادث يوم 11 تشرين الأول/أكتوبر 2015 حتى لا يستخدم ما تقوله ضدها، حاولت جمع تفاصيل القصة من والديها أبو جميل وأم جميل، وأختها منى ومحامي الأسرى والمعتقلين الذي رافقني خلال الزيارة لبيت إسراء في جبل المكبر قرب القدس.

لقد أثير حول عملية حرقها كثير من الروايات الغريبة والتي تحاول أن تجعل منها أسطورة وبطلة خارقة للعادة، لكن بطولتها الحقيقية في بساطتها وصدقها وعفويتها وحبها للأطفال لأنها أم عادية وتحب طفلها معتصم. وقد تم ترتيب زيارتي لبيت والدي إسراء مع اتصال هاتفي محدود يمنح للأسرى مرة في الأسبوع بحيث يتم الاتصال على هاتف أرضي فقط موافق عليه من سلطات السجون.

اقتصر حديثي مع إسراء حول حياتها في المعتقل بعد الحادث لا عن الحادث نفسه قائلة: أما حكاية قارورة الغاز التي اتهمتها قوات الاحتلال بالعمل على تفجيرها فسنأخذ القصة من أختها منى وكذلك ما يتعلق بحياة إسراء قبل الحادث.

كانت إسراء تدرس في الجامعة (الكلية الأهلية في بيت حنينا) وكانت تحب أن تضفي روح المرح على الأطفال ويسمونها «بابا نويل» الذي يوزع الهدايا، حيث كانت توزع الهدايا على ظهرها للأطفال. كانت تقوم بدور المهرج وتسمي نفسها «سوسو المهرج» وتقوم بفعاليات في المدارس والمستشفيات.

وكانت إسراء تقوم بأعمال خيرية وتطوعية كثيرة وتتقمص دور المهرج لإسعاد الأطفال وكل ذلك على نفقتها الخاصة. كونت فرقة مع طلاب الجامعة للأعمال التطوعية وكانوا يجمعون تبرعات يقدمونها لتغطية رسوم طلاب لا يتمكنون من ذلك. وكانوا يشترون بالتبرعات أدوات وأثاثا للناس الفقراء ويتركونها أمام بيوتهم بدون أي توقيع أو إشارة للمتبرعين.

كانت إسراء قد اكترت بيتا في القدس وتريد أن تنتقل إليه من أريحا. وكانت تحمل أغراض البيت في سيارة السوبارو القديمة. وفي ذلك اليوم 11 تشرين الأول/أكتوبر 2015 كانت تنقل أدوات المطبخ بما في ذلك قارورة غاز فارغة.

الحادث حصل قبل حاجز «زعيّم» بـ 1300 متر. تعطلت سيارتها ووقفت على جانب الطريق. الطريق مخصص للحافلات والسيارات العمومية وسيارات الإسعاف وليس للسيارات الخاصة. اضطرت إيقافها على هذا المسلك. جاء شرطي (إسرائيلي) كان مارا في سيارته، توقف قربها وطلب منها أن تفتح الشباك ليكلمها. قالت له الشباك لا يفتح، وقالت له أكاد أختنق من رائحة تنطلق من داخل السيارة. طلب منها مرة ثانية أن تفتح السيارة وهي لا تستطيع وقالت أكاد أختنق. حاولت الخروج بعد أن تمكنت من فتح الباب، لكن الشرطي رمى بها داخل السيارة وأطبق الباب على يدها الشمال فبقي نصف يدها في الخارج ونصفها في الداخل وفجأة اشتعلت النار من داخل تابلو السيارة وأكياس الهواء دون أن يكون أي مسبب خارجي للحريق. تفاقمت النيران. لم يكن هناك إطلاق نار. لم يكن هناك جنود. الضحية الوحيدة كانت إسراء. كانت تحمل أدوات المطبخ. لم تنفجر قارورة الغاز كما ادعى الصهاينة. والنار آتية من مقدمة السيارة لا من خلفها. والسيارة لم تنفجر، والزجاج ظل سليما.

في المستشفى قيدوا يديها ورجليها وقد أعدوا السيناريو تماما. فقد كان الحكم قد صدر ضدها. كانت تحس بأصابعها تماما وعندما كانت تريد أن تحرك شيئا ما كانت تستخدم أصابعها. وعندما أرادوا بتر الأصابع قالوا لها إنها عملية بتر طرف بسيط من الأصابع. وعندما صحت من التخدير كانت أصابعها ملفوفة بالشاش الأبيض. فاكتشفت أن بتر الأصابع كان شبه كامل. تصور أنهم أحضروا لها إمرأة ذات أصابع جميلة ومزينة بالطلاء الأحمر وسألت إسراء ما رأيك بأصابعي فقالت لها إسراء جميلة جدا. فقالت لها: «أنت ما عندك أصابع». فقالت لها بل أنا عندي أصابع. فحاولت النظر إلى أصابعها لكن كانت مربطة بالسرير. فقالت لها المجندة: «تستاهلين بتر أصابعك».

بقيت ثلاثة شهور وعشرة أيام، ثم نقلوها إلى سجن الرملة الذي يسميه الأسرى «المسلخ». إسراء تعاني من الإهمال الطبي مثلها مثل الآلاف من أبناء وبنات هذا الشعب المناضل الذين يعانون من الإهمال الطبي الذي أودى بحياة ما يزيد عن 280 أسيرا.

الحوار من الزنزانة فقد اتصلت إسراء بوالديها وأختها بعد ترتيب مسبق لأكون في البيت ساعة الاتصال. وهنا نص الحوار.

○ أحب أن أسمع رواية ما حدث منك مباشرة فقد أثير كثير من اللغط حول حقيقة ما جرى يوم 11 تشرين الأول/أكتوبر 2015.

● نحن نتحدث عبر هواتف مراقبة تماما. وسأظهر في المحكمة يوم عشرين من الشهر الحالي وقد أتطرق لكثير من التفاصيل. الآن من الصعب أن أذكر بعض الأمور والتي قد تستخدم ضدي.

○من البداية، هل تأخرت سلطات الاحتلال في إطفاء الحريق؟

● ليسوا هم من أطفأ الحريق. الذي أطفأ الحريق شاب كان في حافلة خلفي. وهو الذي ساعدني في الخروج من السيارة الملتهبة. ما بدر منهم هو رفع السلاح علي. هددوني باستخدام السلاح. صرخت في وجوههم. قال أحدهم: إرمي السكين. فقلت لهم: «بلا هبل (غباء)». أنا أحترق فكيف يمكنني أن أمسك بيدي السكين؟ عندئذ أمرهم الضابط بإنزال السلاح. لم أستطع حمل جسمي. ارتميت على الأرض، وجسدي يحترق.

○ كيف كانت معاملتهم لك عندما خرجت من السيارة وأنت تحترقين؟

● أنت تعيد لي ذكرياتي المريرة التي حدثت قبل سنين، وهذا يترك أثراً نفسيا عندي.

○ أنا أريد أن أنقل آلامك وأحاسيسك كي تصل إلى الناس وتنتقل مشاعرك وآلامك للجمهور العريض في الوطن العربي. كيف تعاملوا معك بعد إخراجك من السيارة المشتعلة؟

● الحقيقة أن معاملتهم لي كانت في منتهى الحقارة. تمت تعريتي وتصويري وأنا أحترق والناس حولي. ونفس الشاب الذي أنقذني خلع جاكيته وغطاني به فاعتدوا عليه وضربوه وطلبوا منه الرجوع. حتى المسعف في سيارة الإسعاف كان يشتمني بكلمات بذيئة.

○ هل فقدت وعيك في سيارة الإسعاف؟

● لا. لم أفقد وعيي في سيارة الإسعاف. في مستشفى عين كارم فقدت الإحساس بالوقت واختلط علي الأمور ولم أعرف أين أنا ولم أعرف الدنيا كانت ليلا أم نهارا.

وبتروا أصابعي. كانت يداي سليمتين، ولم يكن هناك خطورة على يديّ وأصابعي. ما بترت الأصابع في وقت الحادث. رايتها وأنا في الشارع مصابة بالحروق لكن ليس لدرجة تتطلب البتر. أؤكد أنني رأيتها سليمة. وأؤكد أن بتر أصابعي كان متعمدا. لكن عندما تكون في مستشفى إسرائيلي يثبتون روايتهم.

○ وماذا عن العمليات التي تمت أو أنجزت؟

● عملوا لي عمليات بسيطة في ظهري وأكتافي ويدي اليمنى وأصابع يدي اليسار أول إصبعين منفصلان وهو ما يساعدني على الشرطي الذي غير أقواله واتهمني أن أمسك الهاتف وأتكلم معك. والثلاثة الأخرى في اليسار ملتصقة بمفصل واحد من تحت.

○ وماذا عن الوجه؟

● الحروق بالوجه كاملة درجة أولى وثانية وثالثة. نصف الوجه فيه حروق بسيطة من جهة ومن جهة حروق بليغة درجة ثانية وثالثة.

○ على أي أساس تمت محاكمتك وإصدار حكم بالسجن لمدة 11 عاما؟

● في المحاكمة أخذوا بكلام الشرطي الذي غير أقواله واتهمني بما لم أقم به «لمن أشكو والقاضي غريمي». ألبسوني تهمة أنا بريئة منها تماما.

○ وماذا عن حياتك في الأسر؟ كيف تتدبرين أموركِ من يوم ليوم؟

● بالنسبة لحياتي في المعتقل فكل شيء صعب بدءا من الحمّام. ليس في المعتقل أي نوع من الخصوصية. فالحمام للنساء خارجي، ولو حدث مع أسيرة طارئ في الليل لا تستطيع أن تصل الحمام. لا أستطيع أن أخرج للتعرض للشمس وخاصة أنني محجبة ولا أريد أن أنكشف أمام الجنود والجنديات، ما أدى إلى انتشار الفطريات على جسدي. وضعت كاميرات منذ 2018 في السجون ألغت أي نوع من الخصوصية. أما بالنسبة للمساعدة فصديقتي في المهجع، عائشة الأفغاني، هي التي تقدم لي كل العون من بين الـ32 أسيرة. تشرفت بالتعرف عليهن.

○ كيف تتعاملن مع بعضكن البعض داخل المعتقل؟

● استطعنا أن نتأقلم مع الظروف داخل السجن. الأسيرات القديمات تأقلمن مع الوضع أكثر وقدمن لنا المساعدة وخاصة لبنت مثلي تواجه صعوبة في حياتها اليومية. لكن الصعوبة عندما تصل قاصرات. وقد وصل أخيرا ثلاث قاصرات. واحدة منهن لا تستطيع أن تنظر إلي أو تتحدث معي. وأنا أتفهم رد فعلها كأسيرة جديدة. لكن بشكل عام أهم شيء نعمة العقل، ولو لا العقل لذهبت الروح وذهب الجسد.

○ هل حاولت الاستفادة من ظروف الاعتقال بالكتابة أو الرسم أو الإبداع مثل كثير من السجناء الذين أنتجوا ما يسمى «أدب السجون»؟

● نحن نموت ولكي نحيى في السجن، نتحدى الظروف. كثير من الأسرى كتبوا أوجاعهم ومعاناتهم سواء بإنتاج الأدب أو الرسم، مثل الفنان خالد حوراني، أسير وفنان تشكيلي وعبر عن معاناة الأسرى من خلال الرسم. الظروف ساعدتني في صقل كينونتي. أخرت إصداراتي كي تنضج أكثر. كتبت عن الإهمال الطبي، ونصوصا أدبية وقصائد شعر ورسومات فنية وستخرج في كتاب قريبا تحت عنوان «موجوعة» خلال كانون الأول/ديسمبر.

○ قضية الإهمال الطبي قضية كبيرة داخل السجون الإسرائيلية. أنت شخصيا عانيت من هذه الظاهرة وما زلت تنتظرين عددا من العمليات الجراحية المهمة. حدثيني عن هذه الظاهرة.

● أنا بحاجة إلى ثماني عمليات والباقي عمليات تجميلية، أهمها عمليات فصل الأصابع ثم عمليات في الأنف والفم. هناك كتلة داخل الفم لازم أستأصلها. هناك مشكلة في الأذن. المخرج من هذا المأزق أن أسترد حريتي. لا أمل منهم في القيام بهذه العمليات. لا أنتظر منهم شيئا. ما دمنا نواجههم هنا في الأسر فالعلاج غير متاح، وهذه مشكلة تشمل كل الأسرى.

○ هل هناك زيارات منتظمة لابنك معتصم؟

● هو يحمل هوية ضفة غربية تبعا لوالده. وكانت زياراته نادرة عامي 2015 و 2016. آخر مرة ضممت ابني معتصم عام 2016 في سجن شارون. كانوا يؤخرون زياراته كثيرا. لكنه حاليا يزورني بانتظام ويرفع من معنوياتي هو ووالداي. باقي لي من المحكومية ثلاث سنوات ونصف ولكن أشعر أنها ثلاث دقائق ونصف وستمر بسرعة. وأقول أخيرا التضامن لا يكفي، يجب أن يصل صوتنا خارج أسوار السجون والمعتقلات.

كتب

«على رصيف العمر» رواية الفلسطيني حسن سامي يوسف: استعادات آسرة للطفولة ملتبسة حول الفقر والحرب

المثنى الشيخ عطية

لا يسع القارئ حقاً سوى الوقوف مع الكتّاب الذين وقفوا مع قضايا الإنسان، وأدانوا الأنظمة التي تنتهك حقوقه الإنسانية، وتعرّضوا للتهجير أو الاعتقال أو الموت، من قبل هذه الأنظمة؛ وليس بوسعه حقاً سوى الشكّ والاحتقار والإدانة لمواقف الكتّاب الذين وقفوا مع أنظمة الاستبداد ضد الإنسان، أو الذين زيّفوا الحقائق بتصريحاتهم وكتاباتهم الملتبّسة حول ما يحدث أمام أعينهم بحقّه دون لَبْس سوى ما خلقوا بأنفسهم عامدين من لَبس. غير أن من الغبن حقاً إدانة الكتّاب الصّامتين أو الذين يكتبون عن الإنسان خارج ما يحدث من مآس أمامهم، من دون أن يرتكبوا جرائم التزْييف، خوفاً على أنفسهم وعائلاتهم، لكونهم يقيمون في المناطق التي تُسيطر فيها أنظمة الاستبداد وتُرتكب الجرائم والمجازر بحق المعارضين؛ ومن الغبن مطالبتهم أن يتخذوا موقفاً خارج طاقاتهم. ويبقى الأمرُ المربك هو التعامل مع أعمال أدبية تتحدث عن مرحلة الثورة أو الانتفاضة السورية وتثير الريبة برماديتها رغم نجاحات صنعها النسبية، وبالأخص حين تتحدث عن موضوع الرمادية نفسها، كما تفعل رواية «على رصيف العمر» للروائي والسيناريست الفلسطيني حسن سامي يوسف، المقيم في دمشق المسيطَر عليها من النظام وتنتشر فيها معتقلاتُه وسجونُه ومجازره، بحق المعارضين والمدنيين غير الآمنين من لصوصية وانتهاكات رجاله، بجمل محورية من مثل: «هل نستحق بؤسنا»، و«كيف تصالحت مع العار»، وضعها يوسف في تصدير روايته على الغلاف الأخير كجمل مقتطفة منها وتوجز طبيعتها وأهدافها وغاياتها: «هل نستحق بؤسنا؟/ الفقر ليس عيباً. كلام سمعناه آلاف المرات بوصفه حكمة غير قابلة للطعن، أو حتى غير قابلة للنقاش. لكنْ هل حقاً أن هذا الكلام صَحيح؟ وإذا كان الفقر ليس عيباً كما ندعي فلماذا كان عليٌّ، كرّم الله وجهه، يريد أن يقتله لو كان رجلاً؟ وأنا أصدّق عليّاً الحكيم، ولأنني أصدّقه فإنني أؤمن بأن الفقر أكبر العيوب على الأرض. يكفي أنه يجعلنا نشعر بالهبَاة صباح مساء. ورغم أن هذا الشعور الذي يتملكنا مقيت جداً فإننا نعيش معه في رباط سرّي من الوئام، وفي التالي فإننا نستحق بؤسنا وقد تصالحنا مع العار. وإن كانت لا تعجبكم صيغة الجمع التي أكتب بها، فإنني لا أمانع أبداً الكتابة بصيغة المفرد المتكلم وأقول: أنا تصالحت مع العار، وسوف أروي لكم بعد قليل كيف حدث ذلك».

وخارج التساؤل عن الفقر إن لم يكن رجلاً فعلاً، على لسان الراوي بصيغة المفرد المتكلم أمجد، وتطويرها بالدمج مع صيغته كراوٍ عليم، للتناغم مع صنع وكشف الثنائيّات التي تحكمه؛ يروي يوسف عبر 31 فصلاً موضوعةً بأرقام، تجربة بطله المحوري وشلّة الطفولة والمرَاهقة والشباب التي ترافقه في حيّهم العشوائي، مع ما يتداخل من جيران ونساء بحياة هذه الشلّة، والمصائر التي يؤول إليها الجميع وتتكثّف بين تاريخين وضعهما يوسف عناوين لفصليه الأول والأخير هما مدة تاريخ كتابة الرواية كما يبدو بين 7 يناير 2018، و27 أبريل 2019. واختار حلّ وضع أمجد في حالة الضياع بين اليأس والأمل تحت ظلال مكان هو مدينة دمشق في زمن سبع سنوات يشملها يوسف رمادياً بتسمية «سنوات الحرب»، منذ بدء الثورة السورية واقعاً خارج الرواية في آذار (مارس) 2011، بالمظاهرات السلميّة التي لا علاقة لها إلا بجَزْر النظام لها بكل أنواع الأسلحة، وحتى قراره الرحيل إلى إسبانيا بعد تحوّل هذه المدينة إلى جثة، بفعل شياطين غير محدّدين. و ذلك رغم طبيعة التوثيق الذي يلجأ إليه خلال سرد حياة أبطاله قبل هذا التاريخ منذ طفولتهم في الحي العشوائي ومصائرهم خلال السنوات السبع، حيث يقول أمجد: «الحرب انتهت/ نعم انتهت. ولكن كيف انتهت؟/ وكيف يمكن لمدينة كبيرة أن تكون بلا وقود ولا كهرباء؟/ أي سيناريو شيطاني هذا الذي حاكوه لدمشق؟/ ومن الذي حاكه؟/ من الذي كتبه؟/ من الذي صاغ فيه مشاهد البؤس هذه وتلك؟/ أي شيطان يقدر على كتابة هذا السيناريو المرعب؟».

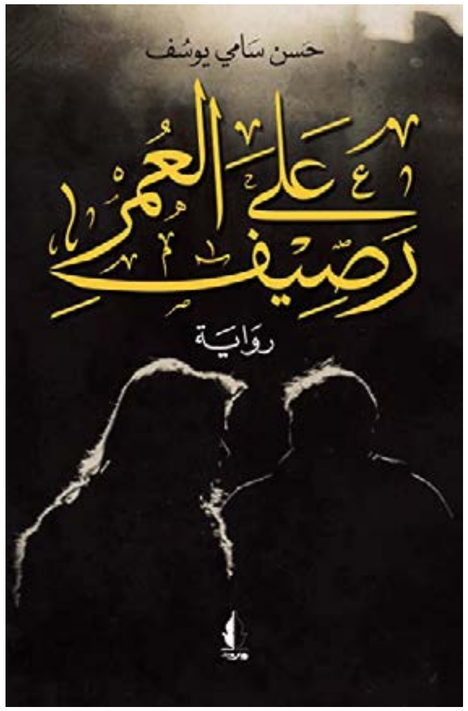

وحيث يجد يوسف لهذه الشياطين موقعها في عرض رأي بطله أمجد المبلور بانتقام الغرب من الوليد بن عبد الملك، باني الجامع الأموي، الآمر بحملة فتح الأندلس حتى الوصول إلى فرنسا، الأمر الذي يوجه تفكير القارئ، كاستنتاج، إلى تصدير أنظمة الاستبداد في تغطية مجازرها مقولة مؤامرة الغرب في صناعة ثورات الربيع العربي لتدمير أنظمة الممانعة.

ويختار يوسف حلّ توجيه خطاب بطله أمجد في منظومة سرده المركبة ثنائياً عن هذه التجربة برسائل يكتبها إلى صديقة روح اسمها سيدرا، تعيش في مصر، من دون أن ينقل، كمثال، روايته إلى الواقعية السحرية في استخدامٍ رمز «سدرة المنتهى» أو «شجرة الحياة» الأبدية، ورمزياتها لدى كتّاب الخيال العلمي. وهذا رغم تطرّقه داخل الرواية إلى رغبة بطله الأولى في أن يكون عالم فيزياء، ومعالجة الزمن علميّاً، وفتح عوالم الأحياء على عوالم الأموات وعوالم الكهول إلى عوالم الأطفال في فصول محاولة استعادة أمجد للطفل «ليفاز» الذي يسكن داخله ولا يفارقه على امتداد الرواية، ويظهر له في نهايتها واقعاً أقرب إلى ما يراه المنفصم إلى ذاتين.

في معالجة الفقر والتصالح مع العار، بولوج عوالم متشابكة يتوّجها عالم الحب الذي يشمل الرواية بمعالجة التباساته وأقنعته، يتوغّل يوسف بخبرته الروائية وإغراءات خبرته المتضادة مع هذا في كتابة سيناريو المسلسلات التلفزيونية، في الطريق الذي ينفتح صراطاً محفوفاً بمخاطر الوقوع في أحد جانبين لا يعلم القارئ أشرّهما من أخيرهما. ليس على صعيد تسمية بدايات الثورة بالحرب، وإخفاء أسماء أطراف الحرب، ومستخدمي الطائرات والصواريخ، فيما عدا ذكر رجل البادية اللاجئ إلى أمان دمشق، القلق على مصير أسرته، مع طفله الذي يقضم سندويشة الفلافل مع الدموع، والقادم: «من مناطق داعش والأمريكان»، وذكر الصيدلي العجوز الذي ساعده في منطقة القصّاع المحاذية لمناطق المعارضة في الغوطة، والذي يموت بقذيفة هاون توحي بأنها قادمة منها فحسب. وليس على قِصَر ذكر عمليات «التعفيش» الشهيرة الخاصة بجيش النظام وميليشياته، على مجموعة لصوص يتمّ التلميح الخجول بتبعيتهم له فحسب. وليس على صعيد تركيب موت أحد أهم شخصيات الرواية التي تمنحها قوة الحبكة والتشويق، سامر، صديق أمجد الأول، وحامل أوهامه عن حب زوجته وداد له، بالموت شنقاً في المعتقل، إثر اعترافه بقتل معتقل آخر، يتضح أنه خلصه من آلامه، في ظل تكشّف واقع مصير عشرات آلاف المعتقلين بالموت تجويعاً وتعذيباً وإنهاء للحياة بجميع أصناف القتل (خارج الرواية) فحسب، وإنما أيضاً على صعيد بلورة الشخصيات، مثل شخصية وداد التي ينصف يوسف بعرض حقّها في المساواة بطلبها ملاحقة مستقبلها مثلها مثل زوجها الرجل، غير أن عرضها كشخصية متعددة الأبعاد بما فيها أبعاد الحرية والرغبات، مقابل شخصية زوجة أمجد الثانية سلمى ذات البعد الواحد الخيّر، والمصير المختلف الذي تنتهيان إليه، مع تصوير أمجد لنفسه كضحية حبّ لوداد، رغم إيراد معالجات الندم، يخفي عن القارئ أبعاد الذكورية التي تعالج فيها الشخصيات. ويُبقي على طيف الثواب والعقاب الذين يتعلّق بهما مشاهدو مسلسلات الدراما السورية النظامية التي تتابع على الصعيد الاجتماعي تزييف وجه دمشق وحاراتها الشعبية والمدن السورية على حساب تمجيد الريف في مجزرة تربيف المدن، وسحق الريف والمدن لمجرّد الخروج في مظاهرات احتجاج على الفقر ودوس الكرامة. وعلى الصعيد السياسي خداع مسرحيات دريد لحام والمسلسلات التي تمتصّ وعي المشاهد وتُوجّهه إلى لوم المخابرات تحت الضوء بتعتيم من هو صانع وآمر المخابرات. كما يُبقي على تسرمن هذه الجماهير حتى الإفاقة بدقّ حوافر البرابرة أبوابَ مدننا.

وعلى رصيف العمر، خارج الجدل حول الرمادية والريبة التي طرح الروائي معالجتها بمعالجة رؤيته للفقر والعار مراهناً على كشف داخله، ولا يعرف القارئ مدى نجاحه في ذلك؛ يُنتج يوسف رواية ضخمةً واسعة الطيف يعالج فيها قصة حبّ متعددة المرات؛ وقصة استعادة آسرة للطفولة بين ممرات الأحياء العشوائية التي تنمو فطراً ساماً على جوانب المدن الظالمة؛ وقصة ممارسة الكتابة ازدواجيتها بين الرواية التي تستطيع ممارسة الحرية، والمسلسلات التلفزيونية المحكومة بسياسات الأنظمة وتجارة شركات الإنتاج؛ وقصة الإدخالات الثقافية العالمية الجميلة مثل محاكاة رسم المخرج العظيم فيلليني لروماه، والإدخالات التراثية الغنية مثل أغنية فيروز التي تتخلل الرواية: «يَمّا الحلو ناسي الهوى يَمّا» وليل الحلو طير وعبر يَمّا» كذلك إدخالات قصائد الجد العظيم المتنبي وآراء جوهر طموحه الذي كاد يقتله شاعراً لو تحقق بالولاية؛ وقصة كتابة الرواية داخل الرواية، وبعض إخفاقاتها بدخول السيناريو التجاري مقنّعاً إلى خلاياها، بدلاً من أكسجين الحرية، حاملاً ألوان ذهب إغوائه، وفاتحاً أبواب الإخفاءات وإطالة الحوارات وتبريدها باللغة الفصحى. ثم النوسان بين كلاسيكية اللغة في بدايات الرواية، وانطلاقها الحديث عند دخولها بمعالجة الزمن وانفتاح الأكوان داخل بوتقات العلم؛ وقصة انكشاف تمظهرات وجوه الرواية ووضوح ملامحها أكثر في مستقبل أيّامها، حيث أعلن يوسف البدء بتحويل روايته إلى سيناريو مسلسل تلفزيوني يحدّد إحياءه للحرية أو قتلها رجلُ الرقابة داخل رأسه، وشركاتُ الإنتاج، ومسدساتُ أنظمة الاستبداد.

حسن سامي يوسف:
«على رصيف العمر»
ورد للنشر والتوزيع: دمشق 2020
408 صفحة.

«رام الله» رواية الفلسطيني عباد يحيى سرد يستنطق العتبات وينطق بالوجع الإنساني

شريط عيسى شرف الدين

لقد درجنا عادة، مطلع كل عمل روائي، أن نجد إهداءً. ولأن «رام الله» رواية الكاتب الفلسطيني عباد يحيى تنوء عن العادي والعادة فهي دونه تزجنا مباشرة منذ أول صفحة فنجد أنفسنا داخلها. يدرج عباد يحيى كاستهلال لعمله، ما سيجعلنا نلهث طيلة 700صفحة لنعرف صحته، إذ يتذكر عماد العايش بعيد وفاة زوجته ما سمعه من أمه بأن الله يتلطف بعاشقين حرما العيش معاً فيُميتهما في اليوم نفسه. هذه الفكرة بما تحمله من خبث، ستتحول إلى وساوس حارقة تلتهم كل أوقات الدكتور، حتى أنها ستجعلنا كقراء للعمل نتجرأ على التفكير بأن مجرد الشك بريما هو خيانة لها. ثم حين يتعاظم الصراع الداخلي يتفاقم شعور الإدانة ذاك؛ أي إدانة الدكتور لما يقترفه من تشكيك في حق زوجته لمجرد الأسطورة التي قالتها أمه والصدفة التي جعلت مسلما يدفن في نفس اللحظة التي تدفن فيها زوجته. يتولد لدينا يقين أن ريما لم تخن زوجها، أنها الأسطورة وأن عباد سيحطمها. ثم تصعقنا الحقيقة، حين نكتشف أن ما ظننّاه شكا، وما ظنه الدكتور انقيادا لجعل الأسطورة حقيقة؛ هو الحقيقة نفسها: فيتشكل لدينا مفهوم جديد للحدس، أو لصدفه.

وتحت خدر الوساوس يصلنا العمل، عبر سلسلة من الرواة بشرا وجمادا. بشرا على غرار عماد العايش وبطرس النجار وخليل وسالم وهيلانة، وجمادا كالعتبات التي تتكلم مفجوعة من غياب أهلها.

نسمع أن «التاريخ يكتبه المنتصرون» ولأن «رام الله» تحيد عن المألوف فليس مستغربا أن يكتب تاريخها المنهزمون. ففي مدينة من بلاد تلقت هزمات متتالية؛ احتلالا إثر آخر كانت تلقى الهزائم كما الملاكم المحشور في الزاوية. من عثمانيين تركوها منهكة لتواجه بريطانيين متسلحين بالراحة والعتاد ثم إلى إسرائيليين مدعمين بعالم خلف ظهرهم. فأنى لهذه المدينة أن تنجب منتصرا واحدا ليدون تاريخها؟

عبر نسل آل النجار يقص عباد لنا تاريخ المدينة، أو تاريخ البلاد. من حروب وتهجير ودمار ومؤامرات وخيانات، من انتفاضات وتهاون وانكسارات وخسائر، من حب وهجر وفقد وموت، من أديان ومعتقدات وتقاليد راسخة ونبوءات، ومن أراض وأشجار ومواسم حصاد. حتى أننا مع انتهائنا من الرواية يختلط علينا الأمر فلا نعرف أيها كنا نعرفه قبلا وأيها عرفناه من الكتاب، هذا التساؤل يبلغ الدكتور عماد، ذلك أنه ما عاد قادرا على التمييز بين ما عرفه عن رام الله من العتبات وما كان يعرفه أصلا.

لعل قدر رام الله، بل فسطين كلها أنها ما تكاد تتخلص من محتل حتى تفاجأ بآخر. أن شعبها ما يكاد يحفل فرحا بعدو راحل حتى يفاجأ بآخر غاد. أن الحرب التي يهللون لانطفائها ما تلبث أن تعاود الاشتعال تحت لواء محتل جديد. حتى أن سالم يندهش من الأمر فيتساءل: «كيف أشعر حينا أن كل شيء قد تغير، وفي الوقت نفسه أشعر أن لا شيء تغير؟».

ربما أنطق يحيى العتبات ليقول لنا بأن ما تَلاحق على هذه المدينة/ الدولة من حروب ومجازر وهجمات، من قتل وتنكيل، من هدم وتخريب؛ كل هذا الأسى إن جعل إنسانا يفرغه بحكيه فهو المألوف، لكن وفي رواية اللامألوف ستنطق العتبات، سينطقها الوجع.

لكن الرواية مليئة أيضا بالحب، كما الحياة. «هل يمكن فهم المدينة دون الحب؟ دون ما يمنحها عمقها، ويحولها من خريطة إلى حقيقة؟». إلا أنه حب ناقص دوما، وفي عرفه «ثمة ضحية بعد حب عارم لم يكتمل بدوام عيش المحبين معا؛ أحد الحبيبين». فنلحظ من تتبع قصص الحب في الرواية أنها مبتورة، أحدهم تظل حبيبة صغره مجرد حلم بعيد، وآخر يرفضها بعد أن جاءته ركضا لقبول عرض زواجه، ثم لدينا من يرجئ حبها الخوف من رد فعل زوجها، من يموت حب حياتها على سرير المرض فتموت هي بعد سنوات طوال حين يَعْلق بحبها رجل آخر على سرير المرض قبل أن ينال منها قبلة... الحب دوما مبتور وكأن يحيى يقول لنا أن قصص الحب المكتملة لا توجد في الواقع ولا الروايات.

ثم هي رواية النبوءة، الأسطورة التي تجعل عماد العايش يركض خلف الحقيقة لتكذيبها، فإذا ما توصل إلى الحقيقة صدق بها أكثر. يقول: «تكذيب الأسطورة أوصله للحقيقة، والحقيقة أوصلته لتصديق الأسطورة». نلمس في العمل أيضا اجتهادا في نقل الثقافة السائدة خلال كل فترة، سواء تعلق الأمر بالغذاء أو العمران أو حتى الهيئة؛ نرى تبدل هيئات الناس تزامنا مع تغير المحتلين، ونجد التمييز العنصري المبني على أسس دينية. فالعسكر يتخيرون من يسوقونه للتجنيد. والتجنيد أو الأخذ عسكر كما عرف وقتها لم يكن إلا موتا محتما لمن سيق له. لذلك ربما «انشدهت هيلانة... كأن ما جاء به بطرس هو خبر موت خليل لا طلبه المرقوب للحاق بالعسكر العثماني». حتى اللهجة، نشهدها تتغير، كما لو أنها تجاري العصر، تركض خلفه، فلا تتركه يبتعد عنها. تركض لتجاري أسماء الحرب المغلفة «وجود وانتداب وحماية واحتلال وأخيرا كيان صهيوني». ثم الهجرة التي تحولت من كلمة مرهبة، تحيط بكل من يفكر فيها هالة من الخوف عليه والتخوف منه، إلى كلمة ممضوغة صارت مألا للجميع، حتى ما عاد الناس يسألون عن دوافع كل من يفكر فيها. يقول الراوي: «وتوقف أهل رام الله عن السؤال عن أسباب الهجرة، صار الأمر عاديا لا يستدعي سؤالا، ثم صار قدرا واضحاً». الرواية تذكرنا بالفوضى التي تحدثها الحروب، فبعض العائلات تُهَجّر وبعضها الآخر يرحل قبل أن يطردوه، البيوت يُستولى عليها، عمال يطردون وآخرون ينالون مناصب في الدولة الجديدة، محكومون يخلى سبيلهم وآخرون يتم القبض عليهم. لكن رام الله تحافظ على نفسها، حتى تصير ملجأ للوافدين من يافا والقدس، ومن اللد وحيفا وغيرها. وفي ظل التمنع الذي تبديه رام الله يكثر راغبوها؛ فمتى ما وجد التمنع والصد وجدت الرغبة. لكن الرغبة لوحدها لا تكفي، ذلك أن وقود كل رغبة في احتلال أرض هو انبطاح أهلها، ومتى ما رفعوا أيديهم معلنين استسلامهم تجد المدينة وقد سلمت نفسها لغاصبها الجديد. «هذه البلاد المتقلبة من حكم إلى حكم، وحال إلى حال، ينتهز فيها الناس الأوقات البينية بين عهد وآخر، يثبتون وقائع كما ثبتت عليهم».

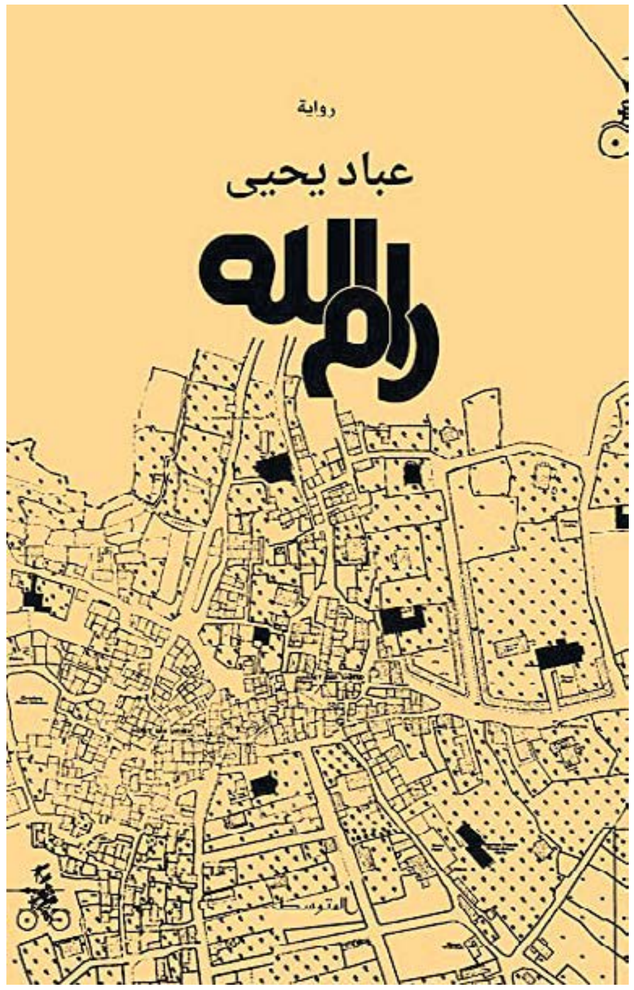

وتلك الدار، التي بدأت من تصدع في جدار إلى مطعم رفيع لا يرتاده إلا كبار مسؤولي الدولة، ألم تمت؟ لعلها ظلت حية دائما، تتجدد دائما دون أن تتبدد لكنها وفي اللحظة التي تموت فيها هيلانة صاحبتها تفقد ألقها، فيبدو السور الذي يبنيه سالم حولها ليكفها عن أعين اللصوص كما الشاهد الذي يزين قبر صاحبتها. ذلك أن الدار ماتت مع هيلانة، ألا تموت الدور مع موت أقدم ساكنيها؟

حين تنتهي من قراءة «رام الله»، أنت لن تكون نفسك. ستكون عماد العايش واقفا مذهولا ومتسائلا: أيّ ما يدور برأسي الآن أعرفه قبلا وأيّه عرفته من الرواية. أنت ستمتلئ بفلسطين؛ برام الله وحيفا والقدس، بعكا وغزة ويافا واللد، بالخليل والرملة وبئر السبع، عقلك سيتفجر بما ورد فيها من شخصيات وقصص من تاريخها الحافل. ولكن رغم حجمها الكبير، رغم الفترة الزمنية الطويلة التي تغطيها، رغم الشخوص الكثر، رغم جزالة الوصف، رغم الحروب، رغم حكايات الحب العديدة الخائبة، رغم ملايين المهاجرين، رغم مئات الشهداء الذي يزفون كل يوم للدفن؛ إلا أنها ليست سوى سيرة مختصرة؛ مختصرة جدا من الوجع الفلسطيني.

ومع ذلك فإن يحيى لا يكتبها باكيا أطلاله، وإنما يكتب الرواية كما ينبغي لها أن تكتب. بحبكة محكمة، وسرد آسر، بشخوص حقيقيين تتملكهم العقد والمخاوف، وتستحوذ عليهم الآمال، تسري بهم الأفكار المتناقضة. شخصيات بها كل ما يسم كائنا بالإنسانية. وبتأثيث يصعب خلقه روائيا؛ كل ذلك ليضعنا أمام الصورة. ومن خلال جهده في هذا العمل نراه أحيانا مؤرخا، وفي أحيان أخرى فنانا، نراه عالما، ونراه رجل دين، نراه عاشقا، ونتوصل في الأخير أنه متيم بالجمال؛ ولا يصدر عن متيمه إلا عمل جميل ومتقن، كهذا العمل.

يرى ماركيز بأن «الكتب الجيدة تصبح أقل يوما بعد يوم»، وقد كدت يوما أن أقول بأنها لم تعد موجودة أساسا، كان ذلك قبل أن أقرأ رام الله، متسائلا: أليس كتابا جيدا لنجدها. إنها بالتأكيد نصر إضافي لفن الرواية الذي يموت مضمونا، رغم أننا نراه يتكاثر شكلا على أغلفة الكتب. وهي إضافة إلى كل ذلك العمل الذي سيجبرنا على قراءته مرات ومرات، كلما استبد بنا الشعور الزاعم بأن الروايات الجيدة غير موجودة. سنقرؤها لنعيد إحياء ذوقنا الفني، لنعيد تذوق الرواية.

عباد يحيى: «رام الله»
منشورات المتوسط، ميلانو 2020
736 صفحة.

إبراهيم السعافين: «عرس البرّ والبحر»

قبل هذه المجموعة كان الشاعر والناقد والأكاديمي الفلسطيني د. إبراهيم السعافين قد أصدر المجموعات الشعرية التالية: «أفق الخيول»، 2005؛ «حوار الحكايات»، 2013؛ «فتنة الناي»، 2017؛ «مقام النخيل»، 2019؛ و«شمس تائهة»، 2021. المجموعة الجديدة تضمّ 58 قصيدة، متباينة في عدد السطور وأغراضها تتنوّع على جري عادة السعافين، وثمة قصائد وطنية وأخرى تتغزل بالمرأة والأرض وطـراز ثالـث يجمع بـين التأمل الفلسفي والإبحار العميق في الذات وأغوار النفس، كما لا تغيب عن هذا المزيج الحيوي شـذرات من السيرة تستحثّ الذاكرة مثلما تكرّم أطوارها وأمكنتها. وإذْ يواصل الشاعر وفاءه لخيار التفعيلة، فإنه في هذه المجموعة أيضاً يتخفف من أثقال الوزن الرتيب والقافية الترصيعية، ويُطلق الإيقـاع الشعري في فضاءات أكثر مرونة وأشدّ طلاقة.

هنا قصيدة هبّت رياح الجنون:

«ونقطفُ أحلامنا من ربيع الحكاياتِ
والشوقُ فينا
نداعبُ غُمراً تقضّى على مفرق الدرب،
والساهرون على لغة من بقايا الرياحِ
حَيارى،
لا تكفّ الرياح عن الصمت،
واللوز يُخفي ابتسامة دهر عن العابرين،
لماذا ينادي المنادون في كتف الدرب
كلّ الثعالب تسطو على الكرم في الصُبحِ
ماذا دَها الرَبْعَ يأسى؟
كأنّ جموع النواطير في الربع
باتوا سكارى.
نقول لهم: خفّفوا الوطء
يا أيها الطارئون على ضفّة
الليل خَلْسا،
يقولون كنّا نشيد البدايات،
نحن الشعار، ونحن المدار
ونحن نُدير هوى الكون حين نشاء
وفي أيّ صوبٍ، إذا ما استدار

تراقصت السحبُ، هبّت رياح الجنون
تساقطت الشُهب،
يا للمُرابين! كم ينشرون المواعظ، والناسُ
جوعى، وكلّ الحقول قفارْ!
نقول لهم:
ليس في الأفق إلا ارتعاش المواويل تندى،
وكلّ السلال معبأة بالنذور وقمح الهدايا،
ورفّ النوارس يهوي إلى البحر في لعبةِ
الشوق،
والبحرون يغنّون: يا بحر، هذي بلادي،
وغير بلادي هوى مستعار».

الأهلية، عمّان 2022

وائل فاروق: «الاختباء في النور»

العنوان الفرعي لهذه الدراسة يسير هكذا: «تجـارب مـا بعد حداثية من المسرح المعاصر». وفصول الكتاب الثلاثة، بعد مقدّمة محكمة، تتناول ما بعد الحداثة لجهة حضور المصطلح وغياب المعنى، وجماليات مسرح ما بعد الحداثة، ومناقشة عروض مختارة من المسرح المعاصر. جليّ، استطراداً، أنّ كتاب فاروق ينشغل بمناقشة ثقافة ما بعد الحداثة من زاويـة غير مـألوفـة، ولكنها بالغة الأهمية، تخصّ حقيقة أنها «ثقافة مشبعة بالصور والكلمات والشعارات والإعلانات والاصـوات»، كما يشير الناشر على الغلاف الأخير. وهي، بـذلـك، «تشكّل ذاكـرة الإنسـان ما بعد الحداثي كما تشكّل أحاسيس ومشاعر الإنسـان المعاصر المتخم بالصورة والإعلان والعفوية».

تجدر الإشارة إلى أنّ وائل فاروق ناقـد وأكـاديمـي وشـاعـر ومترجم مصـري، يعمل أسـتـاذاً للدراسات العربية والإسلامية في كلية العلوم اللغوية والآداب الأجنبية وكلية العلوم السياسية والاجتماعية بالجامعة الكاثوليكية للقلب الأقدس في ميلانو. نشر العديد من الكتب والأبـحـاث باللغة الإنكليزية والعربية والإيطالية، وهو منسّق اللجنة العلمية للمهرجان الدولي للغة والثقافة العربية في ميلانو.

هنا فقرات من الكتاب:

«السمة الأساسية الأولـى التي تميـز مسـرح مـا بـعـد الـحـداثـة، أو مسرح ما بعد الدراما، هي التباعد بين الجانب الأدبي المتعلق بالنص، والجانب الأدائـي. وعن هذه السمة تتفرع كل السمات الأخرى. في المسرح التقليدي، أو «المسرح الدرامي»، كان النص العمود الفقري الذي ينبني عليه العرض المسرحي، والعنصر المركزي الذي يقوم عليه الأداء. كانت المسرحية في الأسـاس عبارة عن تمثيل للنص على خشبة المسرح، أمام الجمهور. وكـان هـنـاك تسلسل هـرمـي بين «لغات» المسرح، أو الوسائط المختلفة المستخدمة في العروض المسرحية، وكـان النص على رأس الهـرم، يليه الصورة والصوت والضوء والرقص والغناء والحركة وغيرها من وسائط –لغات– لتعبير.

في مسرح ما بعد الحـداثـة، فقد النـص أوليـتـه وأولـويـتـه وأصبح عنصراً من عناصر العرض، أهميته لا تزيد عن أهمية العناصر الأخرى. وفـي بعض الأحـيـان يُعتبر النص «أداة» مثله مثل أدوات العرض. وعلى سبيل المثال يمكن عرض أجـزاء من النص على شاشات، كأنه صورة، أو يمكن للممثلين إلقاء الحـوار معاً في آن واحد، فيصبح الحوار، أي النص، مجرد خلفية صوتية للمسرحية.

ولأن مصطلح «نـص» في المسرح يحمل أيضًـا معنى «الـدرامـا»، أي قصة درامية بكل مراحلها – البداية، التطور، النهاية – فإن فقدان النص لمركزه يعني تراجع القصة وفقدانها لأهميتها، لصالح الأداء. وهو ما يعني إعـادة تسليط الضوء على الجوانب غير النصية للمسرح، لضمان تعددية اللغات في الفضاء المسرحي، ويطلق على هذه العملية «مسرحة» المسرح، أي تخليصه من كل يشدّه إلى نوع فني وجمالي مختلف وهو الأدب».

المتوسط، ميلانو 2022

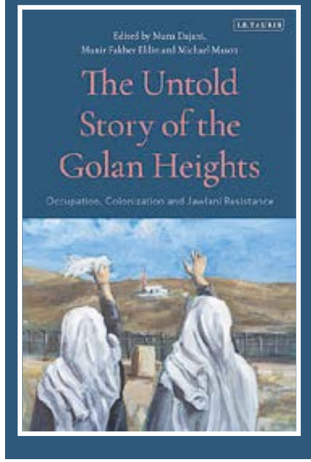

Michael Mason, Munir Fakher Eldin, Muna Dajani, eds: “The Untold Story of the Golan Heights”

في الوسع ترجمة عنوان هذا الكتاب إلى «مرتفعات الجـولان: قصة مسكوت عنها»، بدل الذهاب إلى معنى حرفي يفيد قصة التي لم تُروَ أو تُحكى أو تُسرد؛ وذلك بالنظر إلى ما تحتويه مساهمات الكتاب الـ16، فضلاً عن المقدّمة الوافية والخاتمة المركبة، من حقائق ومعطيات وخلاصات ليست في المتناول العـامّ، البحثي والأكـاديمـي والإعـلامـي، فحسب؛ بل يلوح مراراً أنها خافية/ مخفية ومحجوبة عن سابق قصد وتصميم، الأمر الذي يحيلها تلقائياً إلى نطاق المسكوت عنه. العنوان الفرعي يشير إلى الثلاثي المحوري: «احتلال، استيطان، ومقاومة جولانية»، مع إمكانية منهجية مشروعة في استبدال مفردة «استيطان» إلى «استعمار» كلما اقتضى الأمر تحميل السياق معنى أوسع وأكثر اشتمالاً.

التعريف بمحرّري الكتاب الثلاثة يقود إلى تلمّس أبعاد إضافية أكثر خصوصية ومغزى ربما، لأنّ مايكل ماسون بريطاني يدير مركز الشرق الأوسط في مدرسة لندن للاقتصاد، ومنى دجاني فلسطينية تدرّس تاريخ المياه وتبدلات المناخ في جامعة لانكستر، ومنير فخر الدين سوري جولاني وعميد كلية الفنون في جامعة بير زيت حيث يـدرّس الفلسفة والـدراسـات الثقافية. وهـذا الطـراز غير الشائع من التلاقي بين الجنسيات وحقول الاختصاص الأكاديمية منح الكتاب فُرص تحرير عالية المرونة، لجهة تسخير المناهج البحثية بِحُسْن توظيف مساهمات الكتاب وثراء النُظم الدراسية؛ هذه التي تتوزع على أقسام خمسة لافتة في تنوّع مواضيعها وتـعـدّد مقارباتها: استيطان/ استعمار الحياة اليومية، سياسة المحكوم، سياسة الفنّ الجولاني، سياسة الشباب الجولاني والتربية، إيكولوجيا سياسية جولانية.

الكتاب، إذن، وكما يقول الناشر على الغلاف الأخير، «يركّز على جماعة أقـوام أصلية تُعرف باسم الجولانيين، وبصفة خاصة على تجربتهم مع الاحتلال في واقع الحياة اليومية وسياسة المقاومة في وجه الاستعمار الاستيطاني (...) ولتصوير طرائق الاحتجاج على النظام الراهن للحكم الإسرائيلي، هنالك مساهمات حول إضراب 1982 الذي دام ستة شهور، وتعبئة الشباب في الجـولان المحـتـل، وحـركـات التضامن الفلسطينية، والفنّ والكتابة في الجولان، وترسيم الخـرائـط الجـولانـي المضـاد، ثمّ التاريخ السرّي لمنتجع التزلج الإسرائيلي».

كتاب فريد في محتوياته ومناهجه، ويسدّ أكثر من ثغرة واحـدة في نطاق دراسـات جولانية تظلّ، حتى الساعة، محدودة أو مبتسرة، فضلاً عن كونها خاضعة لعراقيل الدراسات المسكوت عنها.

I.B. Tauris, London 2022

رأي

كاريكاتير: فهد

المونديال القطري: زغاريد وأبواق

سعيد يقطين

بعد نهاية المقابلة الأولـى التي أجراها المغرب، وتعادل فيها مع كرواتيا، وجدتني أستعيد حزيران (يونيو) 1986. كنت وقتها منشغلا بالبحث في تحليل الخطاب الروائي، وكانت تصلني أصداء المقابلة وأطوارها، من المقهى، فأتبين أجواء الفرحة الغامرة، وأنا منشغل عن متابعة المباراة. هذا هو الإحساس الذي كان يراودني، وأنا في سطح البيت أتابع مقابلات الفريق الوطني من خلال ما يتناهى إلى مسامعي من الصرخات المهولة، من المقاهي المجاورة، فأتبين من خلالها الفوز الذي يحققه المنتخب على نظرائه من الفرق التي تقابل معها، فأنزل إلى الطابق الأرضي كي لا تفوتني الفرحة بالتعادل، أو الإصابات المسجلة، أو نهاية ركلات الترجيح. فأشارك الأهل فرحتهم. وكلما خفت تلك الأصداء، أجدني متوجسا مما لا تحمد عقباه. لا أخفي أنني لا أستطيع مشاهدة الفريق الوطني في أي مقابلة حاسمة. لكن كل أحاسيسي تظل معلقة بالمباريات التي يلعبها.

خرجت من البيت بعد ركـلات الترجيح الموفقة للفريق الوطني رغـم أنني أتوجس منها، وجدت شارع عبد الكريم الخطابي غاصا بالوطنيين من كل الأعمار، والفئات. كان الكل في فرح لا نظير له بحيث لا يستطيع التعبير اللغوي نقله بالقياس إلى ما تفعله الصورة، وهي توثقه بالصوت الذي لا يمكن نقله مهما كانت دقة الوصف: كانت الزغاريد بكل الأصوات، وأبواق السيارات، والطبول تملأ الفضاءات الخاصة والساحات العامة. أوحت لي صورة الجماهير في عفويتها وفرحها اللامحدود، وهي تصرخ، وتغني، وترفع الراية المغربية، بالكثير من الملاحظات، وجعلتني أطرح الكثير من الأسئلة. كان كل من يلقاني، يحييني، تعلوه ابتسامة عريضة نفتقدها في الأيام العادية التي ترى فيها من يريد تجاوزك بسيارته يكشر في وجهك لأدنى حلت بينه وبـين السرعة التي كان يقود بها. وحتى نادل المقهى التي لم تنقل المباراة، بالأحضان، والضغط، يعانقني، وكأنه حقق حلما ظل يحمله منذ أزمان. إنه الفرح الشعبي العميق والصادق.

ذكرتني الحشود بمظاهر الاحتجاجات التي لم تكن تخلو منها ساحة البرلمان، في أي وقت، وهي ترفع مطالبها العادلة، ولكنها لم تكن في مستوى هذه الفرحة العارمة والعفوية. لم تدع إلى الخروج الشعبي الجماعي نقابة، ولا حزب، ولا مقدم أو شيخ. لم تساهم وسائل التواصل الاجتماعي في النفير إلى الخروج لإعلان الفرح. بل لم يتردد ملك البلاد، وأفراد من أسرته عن الخـروج والانخراط وسط الجماهير وإعلان مشاركته فرحة الشعب. إنه الالتحام التاريخي بين العرش والشعب في كل ما يخص قضايا الوطن والمواطنين. وإن الحدث عظيم.

لا يمكننا إلا أن نتساءل لماذا كل هـذه الزغاريد والأبواق بعد تأهل المغرب على حساب إسبانيا؟ لماذا لا نتحدث عن مباراة في كرة القدم بضمير الغائب العائد على المنتخب الذي يبذل أقصى ما في جهده لتحقيق التقدم على الفريق الخصم في لعبة؟ فنقول، مثلا: فاز المنتخب المغربي بضربات الترجيح على نظيره المنتخب الإسباني. ولـماذا نستعمل ضمير المتكلم الجمعي الذي يتعدى الوطن إلى الأمة؟ ولماذا لا نتحدث عن الفوز، ونستعمل بدله النصر، وكأننا لا نعيش مباراة في كرة القدم، ولكن نشارك في معركة «حقيقية» بين دولتين، أو بين معسكرين؟ ولماذا نعتبر هذا الفوز، وتأهل المنتخب المغربي فخرا للأمة العربية جمعاء، وننظر في انتصار المغرب رفعا لرأس العرب وترى فيه كل الشعوب العربية، والإسلامية، وبعض الدول الأفريقية نصرا مؤزرا في محفل دولي؟

كرة القدم ليست مثل أي لعبة أخرى، سواء كان فردية أو جماعية؟ إنها لعبة شعبية وجماهيرية، ولا يمكن لأي فرد من أفراد أي مجتمع حديث ألا يكون قد مارسها في شطر من حياته. إن جماهيريتها وشعبيتها أكسبتها بعدا شموليا وكليا جعلها تختزل كل المجالات الحيوية في المجتمعات. فإذا بالغني والتقني، يتداخل فيها بما هو جمالي ولعبي، وبما هو سياسي واقتصادي واجتماعي. لذلك كانت ممارستها ذات طابع «وجـودي»، ولا سيما حين تتخذ بعدا عالميا مثل «كأس العالم» الذي تتنافس للتأهل على خوض مبارياته كل الشعوب. ولما كانت كل مباريات التأهيل للنهائيات دائما من نصيب الدول الاستعمارية سابقا، أو المتطورة «كرويا»، مثل البرازيل والأرجنتين، كان تأهل فريق عربي، أو آسيوي، أو أفريقي للدور الثاني انزياحا على قاعدة «الهيمنة» التي تفرضها الدول الغربية. لذلك كنا نجد التضامن والمساندة من لدن الشعوب التي لم تكن قادرة على فرض وجودها في «المنافسة» مع الغرب المسيطر.

إن للشعوب ذاكراتها التي لا تنسى القديم ولا الحـديث. ومـا استعمال ضمير المتكلم الجماعي، ومشاركة الفرح العفوي، والمساندة التي تتعدى الـعـرق، والـفـروقـات اللغوية والثقافية، وحتى المنـاوشـات المجانية، والـصـراعـات المفتعلة، إبـان انتصار المغرب على إسبانيا، من لدن الشعوب المقهورة قاطبة، سوى تعبير عن لا شعور جمعي يؤكد إمكان ممارسة المغالبة، والانتصار على الخصم التاريخي العنيد، وكل ما خلفه من آثار سلبية مستدامة. وما استحضار التاريخ القديم، والحديث في الرسومات الكاريكاتورية، ومختلف الخطابات التي أنتجت في مختلف الوسائط، سوى تذكير بأن زمن الوصاية والهيمنة قابل لأن يتحقق ولو من خلال لعبة كروية، بل وإلى تأكيد أن ما يتحقق في مجال الكرة قابل لأن يتحقق في مستويات أخرى اقتصادية، وسياسية إذا ما تم تجاوز كل معيقات وإكراهات ممارسة المغالبة بوعي مختلف يتجاوز الذهنيات المنغلقة والمتخلفة.

كان الفرح العفوي، عربيا وأفريقيا، تعبيرا عن رفض تاريخ من المغالبة مع الغرب الذي فرض نفسه علينا منذ أكثر من قرنين من الزمان. وكان تعبيرا عن رفض أنظمة تسوم شعوبها الذل والهوان، وهي تتغنى بأمجاد وهمية، وتغسل أدمغة شعوبها بشعارات لا قيمة لها. وبعض من يستكثر على الشعوب فرحتها، هم من يفرقون بينها، ويزرعون العداوة، وينشرون الكراهية، بادعاءات إيديولوجية لا ترى الأمور إلا بمنظورات عدمية وطفولية.

إن ما يمكن استخلاصه من مونديال قطر 2022 يتجلى في خلاصتين اثنتين. الخلاصة الأولى: لقد أبان التنظيم للعالم أجمع أن دولة عربية قادرة على رفع التحدي، وتنظيم تظاهرة عالمية بمواصفات استثنائية، سواء على مستوى التنظيم، أو على مستوى خلق الأجواء الإنسانية الرائعة لمتابعة المباريات في مناخ طبيعي وصحي، من جهة. ومن جهة أخرى، أبانت للعالم الغربي خاصة أن قيمهم وثقافتهم مختلفة جذريا عن ثقافة وقيم الأمة العربية والإسلامية، وعليهم أن يمارسوا قيمهم في فضاءاتهم، ويحترموا قيم ومبادئ البلد المضيف كما يفعلون عندما يفرضون على غيرهم التقيد بأخلاقهم. لقد أبانت قطر على أنها بإرادتها، وقدرتها، وجرأتها أن تكون في مستوى يليق بأمة ذات تاريخ وأمجاد وتمارس الفرح العربي بامتياز.

أما الخلاصة الثانية فتبرز من خلال منجزات المنتخب الوطني المغربي. لقد أيقظ الحس العربي العميق والمشترك، والذي ساهم في تغييبه وطمسه كل من عملوا على نشر الطائفية، والعرقية، والظلم والعسف، وعلى تقسيم أوصال الوطن العربي، وإدامة الفرقة واستدامة العداوة بين الشعوب العربية، أن هذه الشعوب، وإن فرقتها الأنظمة الغاشمة تحمل حلما واحدا، يبدو في جسد واحد، يفرح لما يفرح له غيره. أما من يقولون إنهم: لا يفرحون لما يفرح له الأعداء فلا علاقة لهم بالشعب العربي، ولا بالفرح العربي الممكن، لأنهم سبب الحزن الشعبي العربي العميق.

كاتب من المغرب

يوم جيابو في كاتماندو

يحتفل آلاف النيباليين من مجموعة جيابو بانتهاء موسم الحصاد في 8 كانون الأول/ديسمبر من كل عام. والجيابو سادس أكبر مجموعة عرقية في البلاد، وهم مزارعون تقليديا وغالبيتهم يقطنون داخل وادي كاتماندو.

وتقام الاحتفالات عبر مواكب تضم مجموعة كبيرة من النساء والأطفال يرتدون الزي التقليدي ويؤدون رقصات تراثية على أنغام الأغاني الشعبية التي تمجد الزراعة والحصاد، ويتم في الاحتفال توزيع الحلوى والمأكولات الشعبية. وجعلت الحكومة النيبالية يوم الاحتفال عطلة وطنية اعترافًا بمجتمع جيابو.

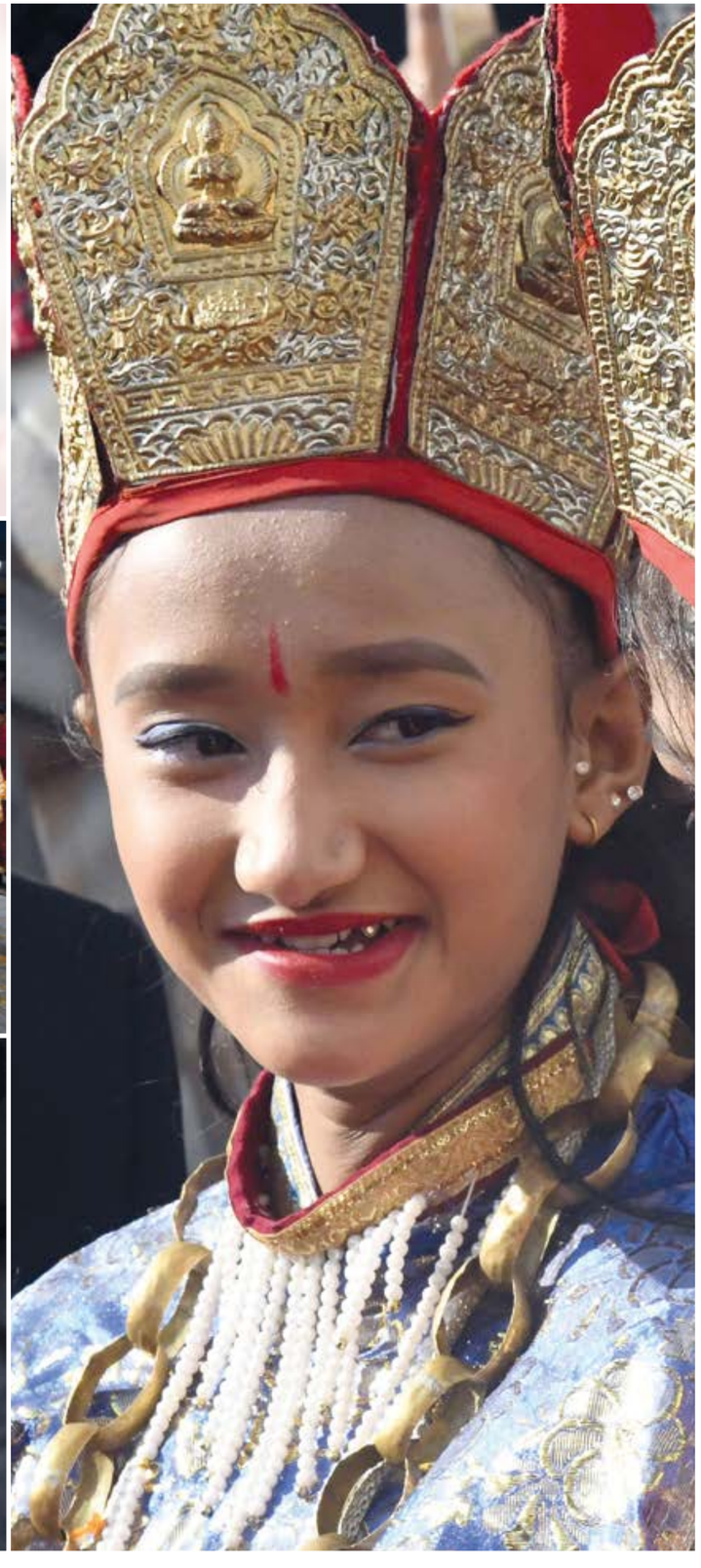

حريات

العراق: قانون الجرائم المعلوماتية لحماية المجتمع أم تقييد الحريات؟

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

قوبل طرح مشروع قانون الجرائم الإلكترونية في الدورة الحالية لمجلس النواب العراقي، بموجة واسعة من الانتقادات والاعتراضات على العقوبات القاسية التي يتعرض لها منتقدو الأشخاص والقوى السياسية والأداء الحكومي، عبر مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، بما يجعل جميع المعارضين والمدونين تحت طائلة القانون.

وقد طرح مجلس النواب، الأسبوع الماضي، مشروع قانون جرائم المعلوماتية للقراءة الأولى، حيث يقضي النظام الداخلي للبرلمان بأن يحصل أي مشروع قانون على ثلاث قراءات تشتمل على مناقشات لبنوده، قبل التوجه إلى جلسة التصويت عليه.

وفي أعقاب طرح مشروع قانون الجرائم الإلكترونية، تفجرت موجة انتقادات سياسية وشعبية واسعة للتنديد بإصرار بعض القوى السياسية الحاكمة على تمرير القانون الذي سبق رفضه مرارا، كونه يخالف الدستور ويقيد حرية التعبير والرأي.

وعقد 36 من نواب قوى التغيير والمستقلين، مؤتمرا صحافيا في مبنى البرلمان، أعلنوا فيه رفض قانون الجرائم المعلوماتية المعروض في البرلمان، لكونه يتعارض مع الدستور ويقيد حرية الرأي والتظاهر.

وأعلن النائب المستقل هادي السلامي، رفضه مع عدد من النواب للمشروع، مبيناً أن مسودة القانون تضم العديد من المخالفات. وقال في تصريحات للصحافة، إن «رئاسة مجلس النواب انتهكت النظام الداخلي للمجلس من خلال إدراج قانون الجرائم المعلوماتية ضمن جدول أعمال الجلسة دون علم النواب». وأضاف «هناك تحفظ ورفض لقانون الجرائم المعلوماتية، على اعتبار ان القانون يتعلق بـ41 مليون عراقي ولا يمكن إقراره بصيغته الحالية». وأشار إلى انه في الدورة البرلمانية السابقة، تم جمع تواقيع النواب وإرسال كتاب إلى رئيس الوزراء السابق، لسحب مشروع القانون لاحتوائه على مخالفات كبيرة، لأن المادة 38 من الدستور تنص على حرية الرأي والتعبير والتظاهر السلمي وكذلك المادتين 5 و20 من الدستور.

وتابع السلامي «كل دول العالم تطورت في مجال حقوق المواطن والحصول على المعلومة، إلا نحن فإن قانون الجرائم المعلوماتية يحتوي على مخالفات ونرفض إقرار القانون بمجلس النواب». داعيا رئاسة مجلس الوزراء لسحب القانون من البرلمان وتعديله وفق الدستور العراقي.

ويتضمن قانون جرائم المعلوماتية أكثر من 20 مادة أدرجت تحتها فقرات عدة، نصت جميعها على عقوبات متفاوتة تصل للحبس 30 عاما، وغرامات مالية تصل إلى 100 مليون دينار عراقي (حوالي 69 ألف دولار) وعدت تلك الفقرات المعلومات الإلكترونية، ضمن دائرة الخطر والمساس بأمن الدولة والمجتمع.

مشروع قانون الجرائم الإلكترونية يخالف الدستور ويقيد حرية التعبير والرأي

مبررات دعاة القانون

ومن أجل تمرير القانون، قدمت الحكومة وأحزاب السلطة التي طرحت القانون، عدة مبررات لاقراره وتخفيف الاعتراضات الواسعة ضده.

فقد ادعت لجنة الأمن والدفاع النيابية، ان إقرار قانون الجرائم المعلوماتية سيحد من جرائم الابتزاز والتحريض، ويستهدف ملاحقة صفحات ومواقع التطرف والإرهاب التي تدار من قبل جهات «معادية» للمجتمع العراقي.

وقال عضو اللجنة أحمد رحيم الموسوي إن «لجنته عازمة على إقرار القانون خلال الدورة البرلمانية الحالية لحماية المجتمع من الأفكار الإرهابية والتطرف المعادي وصفحات ومواقع تواصل داعمة لداعش والعصابات الإرهابية والإجرامية الأخرى».

وادعى النائب، ان «القانون لن يستهدف حرية التعبير عن الرأي أو تقييد الآراء والأفكار الشخصية» من دون ان يذكر مبررات الاعتراضات الواسعة على القانون.

وأضاف الموسوي أن «الكثير من مواقع التواصل باتت تشكل خطرا كبيرا أشد من الإرهاب والقتل والجريمة المنظمة ما أثر سلبا على شرائح اجتماعية واسعة أبرزها المراهقين والصبية ودفعهم إلى سلوكيات مرفوضة أبرزها الانتحار والمخدرات وغيرها».

ويرى الكثير من المراقبين والنشطاء، ان بعض أحزاب السلطة تتبع أسلوب دس السم بالعسل، لتمرير القانون، من خلال تعمد الخلط بين الجرائم الإلكترونية مثل الانتقادات والتشهير والابتزاز للأشخاص، التي توجد فقرات رادعة لها في القوانين السابقة، وبين الفعاليات التي تعبر عن حرية الرأي والتظاهر والانتقاد التي كفلها الدستور. علما بان نفس القانون، قد تم رفضه من قبل «تحالف المادة 38 من الدستور» وهو تحالف يعنى بحرية التعبير والصحافة، ويضم طيفاً واسعاً من منظمات المجتمع المدني.

أبرز الانتقادات للقانون

ومن أبرز المؤاخذات على القانون المطروح هي منح السلطات والقضاء، حرية محاكمة الناشطين والمعارضين والمدونين على قضايا مثل انتقاد المسؤولين والحكومة والشخصيات السياسية والدينية، وكذلك تقييد الوصول للمعلومات وحق نشرها، خاصة في ما يتعلق بقضايا الفساد. كما وضعت مسودة هذا القانون، عقوبة السجن من (7–10) سنوات والغرامة لمن يقوم بكتابة تغريدة على وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، تحت فقرة فضفاضة تسمى «الاعتداء على المبادئ والقيم الدينية أو الأسرية أو الاجتماعية» من دون وضع حدود لهذه المفاهيم. لذا يؤكد المراقبون انه لم يحظ أي مشروع قانون في البرلمان بهذا الكم من الاعتراضات والانتقادات.

وذكرت عضو مجلس النواب سروة عبد الواحد في لقاء متلفز، ان هذا «المشروع جرى طرحه منذ الدورة الثانية للبرلمان، وفي كل دورة يتم إعادة طرحه ويتم

رفضه، ويفترض بالحكومة سحب القانون وإجراء تعديلات جديدة على بنوده، لأن وقت تشريع القانون كنا ذاهبين إلى الحرب الأهلية والمشاكل الطائفية والتهجير، فتم طرح مشروع القانون آنذاك وفيه إجراءات قوية للسيطرة على الأوضاع، أما اليوم فالوضع تغير، فالمواطن العراقي يريد ان يكون مراقبا على أداء الحكومة والبرلمان، وان تكون هناك فسحة لقوى المعارضة من خلالها يستطيع ان يعترض وان يعبر عن رأيه».

وبدوره، قال النائب السابق والقيادي الشيوعي جاسم الحلفي لـ«القدس العربي» إن قانون الجرائم الإلكترونية، «من حيث التوقيت جاء ضمن صفحات الثورة المضادة على انتفاضة تشرين من أجل تصفيتها». وعن الجهة صاحبة المصلحة من القانون، أكد «ان القانون يعكس تمسك طغمة الحكم بالسلطة ومصالحها، وترسيخ حكم الأقلية المستبدة التي تضمر العداء للرأي المعارض».

وانتقد الحلفي «الصياغات المختلة غير الواضحة في القانون، كونها عمومية وغير محددة تتحمل التأويل ومن أمثلتها، الجرائم التي تمس الأمن القومي أو اقتصاد البلد» كما أشار إلى وضع مفردات للتغطية في القانون مثل «جرائم الإرهاب والإتجار بالبشر والابتزاز» بينما تلك الجرائم لها قوانين خاصة بها. مؤكدا ان القانون يتعارض مع المادة 38 من الدستور التي تسمح بحرية الرأي، وفقرات حق الوصول إلى المعلومة. واتهم الحلفي، أحزاب السلطة بـ«المضي في الانحراف عن الديمقراطية وتجاوز قيم حقوق الإنسان وضمانها. وهم ينطلقون من وهم قوتهم والسلطة التي وفرت لهم المال والنفوذ، لذا يحاولون اليوم تمرير هذا القانون لتحقيق نصرهم الموهوم على تشرين التي هزت أركان نظامهم، نظام المحاصصة والفساد».

وفي السياق ذاته، تحدثت الإعلامية والناشطة أمل صقر، إلى «القدس العربي» عن تقييمها لقانون الجرائم الإلكترونية «ان هذا القانون يلاقي اعتراضات كثيرة من القوى المدنية ومنظمات المجتمع المدني المعنية بالتعبير عن حرية التعبير، لأن هذا القانون فيه الكثير من الخروقات والعبارات الفضفاضة مثل الآداب العامة والرموز الدينية من دون تحديد المقصود بها، وبالتالي فإن أي موضوع يخص رجل دين سيكون جريمة يعاقب عليها القانون، وهو أمر مرفوض لأن كل عراقي له الحق في التعبير عن رأيه وفق المادة 38 من الدستور». وقالت صقر «لا أرى في القانون سوى بنود عقابية ولا تنتفي عنه صفة تكميم الأفواه منذ طرحه وإلى الآن، لذا لا أعتقد ان القانون سيمرر لأنه اذا تم تمريره وفق الصيغة الحالية فانه سيكون هناك اعتراض شديد قد يمتد إلى تنظيم وقفات رافضة للقانون بالإضافة إلى استخدام ضغط المنظمات الحقوقية، إذ ان القانون لن يلاقي اعتراضا من منظمات المجتمع المدني داخليا فقط، بل سيلاقي اعتراضات من منظمات دولية تتحفظ على اقرار العراق مثل هذا القانون، في ظل النظام الديمقراطي الذي تدعيه الحكومة، والتزامها باقرار القوانين التي تراعي التعبير عن حرية الرأي، خاصة وان المجتمع الدولي ما زال مراقبا من هذه الناحية».

رئاسة مجلس النواب انتهكت النظام الداخلي من خلال إدراج قانون الجرائم المعلوماتية دون علم النواب

ويذكر ان المنظمة الحقوقية الدولية «هيومن رايتس ووتش» ربطت بين كتابة مجلس الوزراء العراقي مسودة القانون عام 2011 وبين «جهد أوسع يهدف لقمع المعارضين العراقيين» خاصة وأن كتابته جاءت بعد تظاهرات عراقية تزامنت مع تظاهرات الربيع العربي وهددت رئيس الوزراء آنذاك، نوري المالكي، بالإقالة. وفي أيار/مايو 2021 أصدرت المنظمة، بيانا قالت فيه إن مجلس النواب قرر عدم المضي في عرض مسودة قانون جرائم المعلوماتية، وذلك بعد لقاء رئيس البرلمان محمد الحلبوسي مع عدد من سفراء الدول الأجنبية وممثلي منظمات دولية وحقوقية مختلفة، واعتبرت المنظمة ذلك بأنه «يمثل انتصارا لحرية التعبير على الإنترنت في العراق».

ملاحقة الرأي المعارض متواصلة

وتأتي هذه التطورات بالتزامن مع ملاحقات قضائية وحكومية مستمرة، لدعاة حرية الرأي حتى بدون قانون الجرائم الإلكترونية ، لكل من يوجه النقد لسلبيات المسؤولين في الحكومة والبرلمان.

فقبل أيام أصدر القضاء على النائب السابق والسياسي مثال الآلوسي، حكما بـ7 سنوات حبس، على خلفية اتهامه بـ «الإساءة للقضاء» بعد إصداره تصريحات انتقد فيها الأحزاب الحاكمة وتسييس القضاء العراقي.

كما أصدر القضاء، الاثنين الماضي، حكماً بالسجن ثلاث سنوات على الناشط التشريني الشاب حيدر الزيدي، بتهمة «إهانة مؤسسات الدولة» على خلفية انتقادات وجهها إلى القيادي السابق في الحشد الشعبي والمقرب من إيران، ابو مهدي المهندس، الذي اغتالته طائرة مسيرة أمريكية في بغداد عام 2020. وقد رد رئيس حزب البيت الوطني المنبثق عن «حراك تشرين» حسين الغرابي، على القرار قائلا: «أهلاً بكم في الديكتاتورية، هذا الشاب حيدر الزيدي حكم عليه اليوم 3 سنوات بسبب تغريدة ينتقد فيها أحد آلهة السياسة في العراق... كلّا لخنق الحريات».

وفي نفس السياق أكد بيان لمركز النخيل للحقوق والحريات الصحافية، مؤخرا «ان الصحافيين في محافظة الأنبار باتوا يعانون كثيرا في أداء واجباتهم الإعلامية والصحافية بسبب تصاعد حالة تكميم الأفواه الذي أدى إلى تقييد العمل الصحافي في المحافظة».

يتضمن قانون جرائم المعلوماتية أكثر من 20 مادة أدرجت تحتها فقرات عدة

ونوه المركز إلى تعرض مدونين وصحافيين للاعتقال والسجن وتلفيق تهم ضدهم وفق «المادة 4 إرهاب» بسبب منشور أو تعليق على مواقع التواصل الاجتماعي ضد رئيس إحدى السلطات الثلاث، داعيا الحكومة لحماية الصحافيين من الملاحقات التعسفية والجائرة.

ويرى أغلب المراقبين، ان إعادة طرح قانون الجرائم المعلوماتية في هذا الوقت يعد صفحة جديدة إضافية في سيناريو صراع الإرادات بين الأحزاب والقوى السياسية المتنفذة المتهمة بالفساد والفشل، وبين القوى الساعية للتغيير والإصلاح وأبرزها قوى تشرين ودعاة التغيير المدني، حيث يمنح القانون، مجالا واسعا للقوى المتنفذة في قمع الرأي المعارض وأية نشاطات ضدها مثل التظاهرات والاعتصامات، بما يؤدي إلى تكميم الأفواه وتقييد الحريات التي أقرها الدستور.

أداب وفنون

النقد الأدبي بين المنهجية والممارسة النصية

عادل ضرغام

لعل أهم سؤال يؤرق الناقد الأدبي خاصة إذا كان صادقا مع نفسه سؤال المنهج، ويتجلى القلق في السؤال التالي: كيف ندرس النص الأدبي؟ والإجابة عن هذا السؤال تختلف بالضرورة طبقا لطبيعة الوعي بوظيفة الناقد الأدبي، هل تقف عند حدود الوساطة بين القارئ والنص أم تتعاظم على حدود تلك الوساطة محاولة بناء إطار معرفي يتجاور مع أفق النص ويحاول أن يكون سابقا عليه. فمحاولة التعاظم التي ترتبط بإسدال إطار معرفي سابق على النص تحمل في طياتها بعضا من التعالي، وكأن الارتباط بمقاربة النصوص رجوع عن الهيمنة وعن الصورة المرسومة للناقد الذي لا يكتفي بدور تفسيري، فأي متأمل للأسماء الكبيرة المؤسسة في مجال النقد الأدبي سيدرك بسهولة هذه الصورة لبعض الأشخاص الذين حاولوا ترسيخ ملامحها، والعمل عليها لتشكيل ملامح فارقة، لا تقنع بهذا الدور التفسيري، طمعا في الجمع بين الإبداع والتفسير وتشكيل حضور مزدوج في ظل حضور فكرة مقررة في الدرس الأدبي، تعطي الحضور اللاهث لمحاولة التسامي التي أشرنا إليها.

والنظرة المتأنية لفترات الفاعلية لدور الناقد الأدبي، الكاشفة عن وظيفة الوسيط بين القارئ والنص الأدبي لا تظهر – لو استعرضنا بعض التجارب النقدية الممتدة في بدايات القرن الماضي – على هيئة واحدة، فطه حسين ورفاقه على سبيل المثال يقدمون شرحا للمعاني إلى القارئ، ولكن ذلك الشرح أو التفسير–على حد تعبير أحد النقاد– محدود بجزئيتي الصواب والخطأ، والمحمود والمذموم، دون اهتمام كبير بالقيم الجمالية المرافقة لعملية إنتاج المعنى والمضامين.

والمتأمل للمناهج السياقية (الخارجية) يدرك أنها تشكل مرايا معرفية تطل من خلالها على اكتشاف المشهد وعيا للمحيط، الذي تتحرك فيه أدبية الأدب. وبداية من استخدام هذه المناهج ظهرت سمات العنف في التعامل مع النص، ذلك العنف الذي دفع بعض الباحثين في عقد مشابهة بين ما يقوم به النقاد من إسدال رؤية جاهزة على النص، وما كان يقوم به بروكست قاطع الطريق، مع أناس وعدهم بالضيافة وقطع أرجلهم وشدها، لكي تتناسب مع ما لديه من أسرّة. فالناقد الذي يطبق معياره المنهجي الجاهز ليس بناقد مبدع، وإنما شبيه إلى حد ما ببروكست بمنهجه القائم على معالجة كل المرضى بدواء وحيد، وإن كان لا يناسبه.

وكرد فعل على هذه المناهج السياقية الأيديولوجية، جاءت المناهج التي اصطلح على تسميتها باسم (المناهج الداخلية)، لتكشف عن محاولة إقامة دوائر نقدية مرتبطة بالنص ذاته، كاشفة عن البنية المهيمنة في حضورها وغيابها، فإذا كان النقد– كما يقول نادر كاظم– في يوم من الأيام أيديولوجيا محضا، إلا أنه أصبح اليوم وكرد فعل على ذلك شكليا محضا، وأصبحت هذه الشكلانية بمثابة متطلب أساسي من متطلبات علمية النقد وانضباطه المنهجي، وصرامته وموضوعيته.

إن هذه المناهج التي تفترض العلمية، بداية من الشكلية الروسية والنقد الجديد، مرورا بالبنيوية تحاول تخليص الممارسة النقدية من الشوائب العالقة بالطبيعة الأدبية والجمالية للنصوص الأدبية، وذلك من خلال غض الطرف عن كل الاهتمامات الخاصة بالظروف والمؤثرات الاجتماعية والسياسية. لقد فقد النقد الأدبي مع هذه المناهج القدرة على التدخل والاشتباك مع الخارج الحياتي، سواء أكان اجتماعيا أم سياسيا، وبدأ الاشتغال على موضوعه الأساس، وهو الأدب، وبنيته النصية كاشفا عن ضروب ترابطها وتكونها، وارتباطها بالنمطي، وابتعادها عن هذا النمطي في تجليها الإبداعي.

تعرض النقد في ظل سيطرة التوجه شبه العلمي على النقد، وارتباطه بالمناهج الداخلية – كما يقول تودوروف – لاختزال عبثي، بعد أن صار النقاد يتعاملون مع أدواتهم ومناهجهم التحليلية على أنها غاية بحد ذاتها، لا مجرد وسيلة من بين وسائل أخرى عديدة لفهم الأعمال الأدبية، بحكم طبيعة النقد الانضباطية، وخضوعه لسيطرة المؤسسة وأغراضها.

إن هذه الفترة هي الأكثر خصبا في تاريخ النقد العربي المعاصر، فقد شهدت فورة التجريب المنهجي، كما عرفت – على حد تعبير سعيد يقطين – مشاريع نقدية كبرى، كتلك المتصلة بالتراث السردي، استنادا إلى نتائج الألسوبيات والتأويل، أو نقد التمركز الذكوري في الثقافة العربية ارتكازا على منجزات النقد الثقافي.

المناهج النقدية تجاور أم تعاقب

إن النظرة المتأملة إلى التوجهات المنهجية السابقة، وهي مناهج متعاقبة زمنيا للوهلة الأولى، تثبت أن بينها بالضرورة مساحات كبيرة من الاختلاف، وأن بينها أيضا مساحات من التشابه، وأن بينها حضورا دوريا لبعض هذه المناهج في أشكال مختلفة وبتجليات مختلفة تشير إلى أهمية طرح بعض الأسئلة.هل تلغي هذه المناهج بعضها بعضا؟ أم أن هذه المناهج تتجاور فيما بينها، ويتم تطبيقها بدون وعي من الناقد الأدبي؟ وإذا كانت تتجاور هل هي دعوة للتوفيق؟

البنيوية تنظر إلى النص على أنه وثيقة لغوية مغلقة ومكتفية بذاتها، بينما تذهب مناهج النقد الثقافي إلى معاينة الأنساق السوسيوثقافية على حساب أدبية النص.فأحادية الجانب الذي يقف عنده توجه منهجي معين، تشير إلى نقص ما في جانب، وإلى حاجة ملحة لاستخدام إجراءات مناهج أخرى مترسبة في الذاكرة النقدية للباحث، وهذا يجعلنا نشير– كما يشير بسام قطوس–إلى أن المناهج الحديثة لا تلغي المناهج القديمة، كما أن المناهج الأحدث لا تلغي الحديثة، فالمناهج لا تموت، ولكن يتم تجاوزها، وتنبعث في مناهج أخرى.

وهنا قد يلح علي الذهن سؤال: هل هذا التجاور يكشف عن تعدد منهجي أم عن تعدد في استخدام الإجراءات التي قد تنتمي إلى مناهج متجاوبة أو متباينة؟ خاصة إذا أدركنا أن هذه المناهج لها حدود سواء أكانت حدودا زمانية أم حدودا إجرائية، ولكل منها جانب قوة، وجوانب قصور تتمثل في آثار سلبية ناتجة عن إهمال ما، أو ناتجة عن تركيز ما، وربما يفسر هذا القصور طبيعة التحول والانتقال إلى منهج آخر.

فالتعدد الذي نمارسه في النقد الأدبي، هو تعدد ناتج ومرتبط بالخبرة المنهجية، ويتمثل في التعدد المرتبط بالإجراءات التي لها قدرة على الاستمرار والوجود، وقد يستند هذا التعدد في وجه من وجوهه العديدة بفكرة الممارسة النقدية المستندة إلى النقد التطبيقي. فهذه الممارسة تكشف عن الآلية التي يتم من خلالها تحويل إجراءات منهج محدد إلى فاعلية قراءة، ومن خلالها يتم الاستناد إلى العنصر الفاعل، الذي يأتي بوصفه خيطا تتشكل الجماليات الفنية حوله، ويرصد الناقد من خلال هذا العنصر الفاعل فاعلية الاضطراد والانتظام، وفاعلية كسر هذا الاضطراد.

تودوروف

المنهج والممارسة النقدية

السؤال الملح لأي ناقد أدبي: ماذا يفعل الناقد عندما يراد منه الاشتغال التطبيقي على نص ما؟ هل عليه أن يتبنى منهجا دون سواه، ليكون بمثابة البوصلة التي يهتدي بها أم أنه يدخل إلى النص عاريا من أي منهجية مسبقة، بانتظار إشارات النص ذاته؟ والسؤال السابق يمكن أن يطرح بشكل آخر–كما يقول سعيد يقطين – هل النص الأدبي هو الذي يفرض علينا المنهج الذي بواسطته نتعامل معه ؟ أم أن تصورنا المشكل عن الأدب في ضوء تصورات أخرى متصلة بالإنسان هوا الذي بواسطته ندخل عالم النص؟

إن الإجابة عن الأسئلة السابقة ليست سهلة، لأننا لو تبنينا منهجا دون سواه يخشى الوقوع في جاهزية النسق والإطار، ومن ثم يؤدي ذلك إلى ممارسة العنف، ولو دخلنا النص مبتعدين عن أي منهجية، يخشى ضياع المنهج المعرفي الذي ننتظره أوجدها من الماضي، ولكنه يظل حاضرا من خلال هذا الإجراء المترسب في الوعي النقدي.

وعلى هذا فالتعدد الذي نمارسه في الممارسة النقدية ليس تعددا منهجيا بقدر كونه تعددا إجرائيا، يحاول التعاظم على نمطية المنهج الساكنة، ويحاول أيضا التعاظم على فكرة الاستلاب المنهجي التي يقع فيها بعض الباحثين، فيشعر القارئ في إطارها بنمطية مميتة في التناول والتبويب، ويفقد الفن معها حضوره الفاعل، وقيمته المشدودة في التفريق بين مبدع وآخر.

والممارسة النقدية لا تكفل هذا التعدد فقط، وإنما تكفل أيضا تعاملا خاصا أقرب إلى الهدهدة مع النصوص الأدبية بعيدا عن التوجه القائم على التشريح أو المنهجية في تجليها المثالي، الذي يمكن أن يكون سببا في القضاء على الفن برهافته الخاصة، التي تحتاج نظرة حانية للاقتراب منها، والإمساك بجوهرها المتلفت.

حدود الحركة الدائمة بين ثقافة الناقد ومعطيات النص الأدبي في تجليه المباشر والعميق، فالحركة الدائمة بين ما يتيحه النص من إشارات وما يختزنه الناقد من ثقافة وتجارب إنسانية لا تحصى ربما تكون الأساس الحقيقي الذي يستند إليه أي إجراء منهجي حتى لا نقع في قبضة الانطباع المباشر.

ومن هنا تأتي قيمة الممارسة النقدية، لأنها تختلف باختلاف الناقد، وباختلاف ثقافته، فهي تقيم أو توجد تعددا لأشكال التجليات المنهجية لمنهج نقدي واحد في التعامل مع النصوص. وربما كان من الصواب أن نشير إلى أن هذه الممارسة النقدية لا توجد تعددا منهجيا بقدر فاعليتها وارتباطها بتعدد إجراءات منهجية يتم الاركتان إليها واستخدامها. والناقد حين يستند إلى هذه التعدد في الإجراءات المنهجية، قد لا يكون مدركا لهذا التعدد أو واعيا به، لأن التحولات المنهجية التي مر بها النقد في السنوات الأخيرة تحولت سريعة ومهمة، ويتبقى منها إجراءات لها سمة الفاعلية والنفاذ حتى لو أصبح المنهج الذي

طه حسين

العود السوري على قائمة اليونسكو للتراث غير المادي: آمال بازدهار المهنة ودعم ممارسيها

زينة شهلا

على مدار الأيام الفائتة، احتفى سوريون كثر داخل البلاد وخارجها بإعلان اليونسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، عن إدراج صناعة الأعواد الموسيقية والعزف عليها، كعنصر جديد على قائمة التراث الثقافي غير المادي السوري. ولقي الخبر اهتماماً من كثيرين من صنّاع وصانعات العود والعازفين والعازفات على هذه الآلة، التي تحتل مكانة هامة جداً في المشهد الموسيقي السوري.

وفي الإعلان الذي صدر الأسبوع الفائت، والذي تضمن إضافة قرابة 40 عنصراً جديداً للقوائم التمثيلية للتراث اللامادي حول العالم، بعضها من بلدان عربية كالأردن ومصر والسعودية، قالت المنظمة إن «التراث اللامادي يعني الممارسات والتقاليد والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، والتي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي» منوّهة إلى أن العنصر الجديد المرتبط بآلة العود تسجّل بشكل مشترك بين كل من سوريا وإيران، على اعتبار أنها آلة موسيقية تقليدية تعزف في البلدين، وتصنع باستخدام نفس المواد الأولية وبممارسات متطابقة تقريباً.

وأشارت آراء عديدة بأن هذا الإدراج على قائمة اليونسكو يمكن أن يساهم بمزيد من الاعتناء بآلة العود بكل تفاصيلها وتسليط الضوء عليها، وأيضاً رفع الوعي بأهمية التراث غير المادي وكل ما يرتبط به من ممارسات لا بد من حفظها واستمرار الاهتمام بها كجزء من الهوية السورية، خاصة وأن عناصر عدة من هذا التراث باتت اليوم تحت خطر الاختفاء والزوال نتيجة الحرب وتداعياتها، ولا بد من إجراءات عاجلة وحاسمة لصونها والحفاظ عليها.

إبداع سوري منذ عقود

من داخل محله في سوق المهن اليدوية بالتكية السليمانية بدمشق، يتحدث صانع الأعواد أنطون الطويل بكل حب وشغف عن الحرفة التي يتقنها منذ عقود، وقد ورثها عن والده وجده، وعلّمها لابنته أيضاً، وهي اليوم «شيخة كار» بهذا المجال.

يقول الحرفي في لقاء مع «القدس العربي» متحدثا عن هذه الآلة التي عرفها الإنسان منذ مئات السنين، وتطورت صناعتها بشكل متعاقب حتى يومنا هذا: «يعود تاريخ صناعة العود في سوريا لأكثر من مئة وأربعين عاماً، وكان النجار وحفار الخشب عبده النحات، هو أول من صنع عوداً في دمشق وأواخر القرن التاسع عشر، وتحديداً عام 1879 في حي القيمرية داخل المدينة القديمة، بناء على طلب من سيدة دمشقية تدعى ماري».

ويصف الطويل ذلك العود وفق ما تناقله الحكايات بأنه كان قطعة فنية ذات صوت جميل للغاية، وأوتاره مصنوعة من أحشاء الخاروف، ولشدة جماله ونقاء صوته حاول النحات الاحتفاظ به لنفسه، إذ بعد أن انتهى من صناعته، بدأ جاره الحلاق بالعزف عليه، فانطرب النحات وبدأ بالرقص في السوق رابطاً الإزار على خصره، رغم أنه معروف بشخصيته الجدية ووجهه الذي بالكاد يمكن أن يبتسم، أو كما يقال بالعامية السورية «ما بيضحك للرغيف السخن».

سليمان مصطفى

علّم النحات أسرار صناعة العود لأولاده حنا وروفان وتوفيق والياس وجرجي، وجابت أعواده العالم واستقرت العشرات منها في تركيا وفرنسا وغيرها من البلدان، وبعدها بدأت عائلات وممارسون آخرون في سوريا باحترافها رويداً رويداً، على الأخص في دمشق وحلب، فاشتهرت عائلات منها سكر ودير بدروسيان وصافي والطويل وغيرها، وأكسبت هذه الحرفة السورية شهرة على مستوى العالم، إلى جانب بلدان أخرى لا تقل صناعة العود فيها أهمية، وعلى رأسها العراق ومصر وإيران وتركيا.

«العود السوري معروف بإتقان تصنيعه وجماليته ومتانته، إذ يمكن أن يعمّر لأكثر من مئة عام من دون أن يحتاج لأي صيانة، وهو السبب الذي كان يدفع كثيرين للقدوم خصيصاً إلى دمشق والسؤال عن هذه الآلة المصنعة محلياً ويدوياً» يقول الطويل، شارحاً بأن لصناعة العود مراحل متعددة تتطلب وقتاً وكثيراً من الصبر والتأني، من تقطيع الأخشاب وتجفيفها لمدة قد تصل حتى عام كامل، وخشب الجوز هو العنصر الأساسي فيها، إلى تشكيل جسد العود وزنده وفق مقاييس دقيقة للغاية، ووضع التزيينات المستوحاة من تصاميم شرقية عليه، ومن ثم شد الأوتار وربطها بالمفاتيح. وكمحصلة تستغرق صناعة العود الواحد ما بين أسبوعين إلى ثلاثة وأحياناً أكثر. يأمل صانع الأعواد الستيني بأن يكون إدراج حرفته على قائمة اليونسكو لعناصر التراث اللامادي السوري بمثابة حافز لدعم هذه المهنة التراثية وسط صعوبات كبيرة يعانيها الحرفيون السوريون اليوم، أهمها ارتفاع تكاليف المواد الأولية والشحن الخارجي، وانخفاض الطلب داخلياً مع تردي الأوضاع الاقتصادية وتراجع وتيرة السياحة، ما دفع ببعض حرفيي صناعة العود لإغلاق محالهم والسفر، فانخفض عدد الورشات تقديرياً من قرابة اثني عشر ورشة في دمشق لست أو سبع اليوم. إلى جانب ذلك، يضطر الطويل وغيره من حرفيي التكية السليمانية حالياً لتحمل أعباء إضافية مع صدور قرار بإخلاء سوق المهن اليدوية بهدف الترميم، والحاجة لتأمين مكان بديل مناسب لهم.

أفق لدعم عازفي العود السوريين

يتشارك عازف العود السوري سليمان مصطفى هذه الأمنيات مع أنطوان الطويل، ويقول لـ«القدس العربي» بأن وجود هذا العنصر اليوم على القائمة التمثيلية للتراث اللامادي سيفتح المجال لتعريف العالم على تاريخ هذه الآلة في سوريا وأصالتها وتقديم صورة إيجابية وحقيقية عن الثقافة والفن السوريين.

يضيف مصطفى وهو خريج المعهد العالي للموسيقى في دمشق ومدرّس آلة العود في عدد من المعاهد الموسيقية السورية: «تتميز مدرسة العزف على العود في سوريا بالمنهجية والأكاديمية الفريدة، ومحافظتها على تراث الآلة وسعيها في الوقت نفسه لتقديمه بأسلوب علمي مدروس من حيث الكتابة الموسيقية والأداء».

قدمت هذه المدرسة إنجازات عدة وفق حديث مصطفى، لعل أهمها رباعي العود السوري الذي تأسس في المعهد العالي للموسيقى بدمشق، ويتألف من أربع آلات عود تمثل الطبقات الصوتية الموسيقية الرئيسية أي الباص والتينور والألتو والسوبرانو، ويؤدي أعمالاً تمتاز بالتعددية الصوتية والانسجام الهارموني بناء على قواعد الكتابة الموسيقية العلمية، وهو بذلك يخرج آلة العود من نمط اللحن الواحد الارتجالي أو الاستعراضي أو المرافق للغناء، ويفتح المجال لإظهار إمكانياتها الكبيرة في أداء أعمال عالمية تمتاز بالبناء الموسيقي الرصين والنسيج اللحني متعدد الأصوات.

ويتوقع العازف، وهو أيضاً خريج كلية الطب البشري في دمشق، بأن يساهم تثبيت العود كعنصر تراثي سوري، برفع سوية الوعي الثقافي لدى السوريين حول إرثهم الفني الحضاري، وزيادة الاهتمام بهذه الآلة العريقة وتعليمها للأطفال بشكل خاص، وفتح الباب أمام مزيد من الدعم الإعلامي والمادي لعازفي العود، خاصة مع العقبات التي يعانون منها مؤخراً، فالموسيقى أصبحت ترفاً بالنسبة لشريحة واسعة من الناس في زمن الحرب والأزمة الاقتصادية، وعازفو العود يجدون صعوبة في العثور على أعواد بنوعيات جيدة وأسعار مقبولة في الأسواق، إلى جانب ندرة فرص العمل وتعسّر المشاركة في المهرجانات والمسابقات الدولية بسبب عوائق السفر المفروضة على السوريين، ما يمنع الكثير من المواهب من الظهور والتطور.

مقدمة نحو اهتمام أكبر

يتخذ إعلان اليونسكو أبعاداً أكثر أهمية سواء بالنسبة لآلة العود بحد ذاتها أو للتراث السوري ككل، وذلك وفق آراء عدد من الخبراء بمجال التراث الشعبي في سوريا، والذين تحدث إليهم «القدس العربي».

فإلى جانب هدف اليونسكو المتمثل بإبراز عناصر التراث اللامادي لدى مختلف المجتمعات، سيكون إدراج العود وهو جزء هام من الثقافة السورية المسموعة للقائمة العالمية، إبرازاً للثقافة السورية عموماً، ومثالاً مشجعاً لتسجيل عناصر سورية أخرى، والتأكيد على وجود تراث وحضارة ومجتمعات تمارس ثقافاتها الخاصة في سوريا بعيداً عن الحرب والمعاناة اليومية. وكون العنصر مشتركاً مع بلد آخر هو إيران، فإن ذلك يعكس من وجهة نظر اليونسكو تنوعاً ثقافياً أكبر وحواراً بين المجتمعات، ويوصل رسائل عن ممارسات عابرة للحدود وعلاقات قائمة على التراث، ويمكن أن يفتح الباب لعناصر مشتركة أخرى مهمة موجودة في المنطقة ككل.

أنطون الطويل

وبعد هذه الإضافة، هناك مجموعة من المعايير التي يتوقع أن تطبق اليوم في سوريا لحماية العنصر الجديد وضمان استمراريته، ومنها زيادة نقل المعارف عن طريق مناهج أكاديمية، وتنظيم ورش وتدريبات خاصة للشباب والأطفال، واستقطاب العنصر النسائي خاصة بمجال التصنيع، وزيادة الأنشطة الخاصة بتوثيق كل ما يخص آلة العود بالتعاون مع الخبراء والممارسين، وتنظيم معارض ولقاءات دورية بين الحرفيين والموسيقيين لتبادل الخبرات والمعلومات، خاصة مع انعزال بعض صناع الآلة عن الوسط الموسيقي وحاجتهم ليكتسبوا معرفة أكبر ضمن هذا المجال، إلى جانب الاهتمام بالإطار القانوني لضمان دعم أكبر للحرفيين كي يتمكنوا من الاستثمار أكثر بمهنتهم.

أما فيما يخص التراث السوري ككل، فإن توثيق عنصر معين والعمل على صونه وزيادة ممارسته وإبرازه ضمن محافل محلية أو عالمية، يمكن أن يشجع أشخاصاً آخرين للاهتمام بعناصر تراثية يملكونها، والوعي بأهميتها وضرورة الحفاظ عليها كجزء من الهوية السورية. كما أن عمليات التسجيل في اليونسكو يمكن أن تنعكس على شكل مبادرات فردية أو مؤسساتية، خاصة لدعم العناصر التي باتت مهددة بشكل جدي بالاندثار بعد الحرب. تجمع الآراء على أن التسجيل في اليونسكو لا يكفي، فهو عملية بطيئة مقارنة بالخسارات الكبيرة التي حدثت بعد الحرب، لكنه يمكن أن يكون مقدمة لمزيد من الاهتمام سواء من المجتمع أو المؤسسات والجهات المعنية على اختلافها.

تحقيقات

تصادم مصالح دولية على الأرض السورية: إصرار تركي على اجتثاث «قسد» من الشريط الحدودي والأسد ينتظر المكاسب

حسام محمد

مقاتل من الجيش الوطني السوري

بات الشريط الحدودي السوري– التركي من أبرز الملفات الساخنة على الساحة السورية، حراك سياسي وضغوط تركية لطرد قوات سوريا الديمقراطية «قسد» من مدن منبج وتل رفعت في الشمال السوري، وهو ما أكده الرئيس التركي رجب طيب اردوغان في أوقات سابقة، أن بلاده «ستكمل الخط الأمني على حدودها الجنوبية مع سوريا» مشدداً على أنه «لا أحد يستطيع عرقلة هذه المساعي».

في حين قال متحدث الرئاسة التركية خلال لقاء مع قناة «الجزيرة» الناطقة بالإنكليزية: تركيا لا تطلب الإذن من أحد عندما يتعرض أمنها القومي للخطر، وإنما تكتفي بالتنسيق مع الحلفاء.

وأشار إلى أنه بموجب التفاهم التركي الأمريكي في 2019 كان يجب أن ينسحب عناصر «واي بي جي» مسافة 30 كم عن الحدود التركية باتجاه العمق السوري، وأن ذلك لم يحدث في انتهاك للتفاهم.

لكن الجهود التركية التي تضاعفت مؤخرا تصطدم بفيتو أمريكي–روسي لأي عملية تركية عسكرية برية، وهو ما أدى إلى طروحات ومفاوضات دولية تجريها موسكو مع أنقرة لثنيها عن العملية البرية مقابل حلول، يرى فيها مراقبون التفافا روسيا على المطالب التركية واستخدامها لتحقيق مكاسب أكثر، خاصة من ناحية الجغرافية والتمديد لصالح موسكو ودمشق معا.

وكانت قد أطلقت تركيا خلال شهر تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، عملية عسكرية في شمالي سوريا والعراق تحت مسمى «المخلب – السيف» وهي عملية نفذت من خلالها طائرات حربية تركية حملة قصف مكثّف على عدة مواقع لـ «قوات سورياً الديمقراطية» و«حزب العمال الكردستاني» في سوريا والعراق.

العزم التركي على تحقيق مكاسب بما يخص تحجيم تمدد قوات «قسد» في الشمال السوري، وخاصة على الشريط الحدودي، يدفعها إلى تحقيق معادلات جديدة على الساحتين الميدانية والسياسية، لعل أبرز تلك التطورات ما قاله عمر جيليك المتحدث باسم حزب «العدالة والتنمية» في تركيا، إن تركيا قد تتعاون مع النظام السوري لمواجهة التهديدات «الإرهابية».

وقال جيليك في تصريحات للصحافيين من مقر الحزب في أنقرة، نقلتها صحيفة «يلي صباح» التركية: تركيا والنظام السوري «قد يتعاونان في نطاق إزالة التهديدات الإرهابية تجاه تركيا، وكذلك الحفاظ على وحدة الأراضي السورية».

تطورات وملفات ساخنة تحمل في جعبتها ملامح متغيرات قد تطرأ على الساحة السورية، وصراع دولي لا تحمل الجولة الحالية له مؤشرات على توقفه عند هذا الحد، خاصة مع كثرة الأطراف الفاعلة في الملف السوري، وتعقيدات المشهد واختلاف وجهات النظر والرؤى المستقبلية.

فيتو أمريكي–روسي

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا عن رفضهما لأي عملية عسكرية برية تركية في الداخل السوري تستهدف قوات سوريا الديمقراطية «قسد» المدعومة من التحالف الدولي وأطراف دولية أخرى.

الرفض الأمريكي، لم يخف أحقية تركيا في الدفاع عن نفسها في مواجهة الهجمات الإرهابية، إلا أن موقفها من العملية العسكرية التركية كان بـ «الرفض» إذ قال منسق الاتصالات في مجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض جون كيربي «لا نريد أن نرى عمليات عسكرية تُجرى في شمال غرب سوريا، والتي ستعرض المدنيين لخطر أكبر مما هم عليه بالفعل وتهدد جنودنا وأفرادنا في سوريا وكذلك مهمتنا في مكافحة تنظيم الدولة».

وأضاف المسؤول الأمريكي: «ندرك الخطر الذي يتعرض له الشعب التركي لكننا لا نعتقد أن فكرة العمليات العسكرية في شمال غرب سوريا هي أفضل وسيلة لمواجهة ذلك الخطر».

الموقف الأمريكي من العملية العسكرية التركية، واكبه رفض روسي أيضا، حيث قال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف: «سنعمل بحزم لضمان منع أي اعتداءات على وحدة أراضي سوريا».

لتعود موسكو للحديث مجددا عن اتفاقية «أضنة» بين تركيا وسوريا، الموقعة عام 1998 والتي تمنح أنقرة الحق في ملاحقة «الإرهابيين» داخل الأراضي السورية وصولا لعمق 5 كيلو مترات فقط، واتخاذ الإجراءات الأمنية اللازمة حال تعرض أمنها القومي للخطر.

في حين أن القائد العام لقوات سوريا الديمقراطية «قسد» رفض المقترح الروسي القائم على تسليم النظام السوري مناطق حدودية مع تركيا في الشمال السوري، لتجنيب المنطقة عملية عسكرية لوحت بها أنقرة.

ونقلت وسائل إعلام كردية عن مظلوم عبدي قوله إن قواته «لم تستلم هذه المناطق لتسلمها، إنما حررتها من تنظيم الدولة» الإسلامية.

وأضاف عبدي أنه لا يمكن تفكيك قواته في حال التوصل إلى أي تسوية سياسية بشأن الأوضاع في سوريا، معتبرا أن هذه القوات تستطيع أن تكون جزءا من المنظومة الدفاعية السورية مستقبلا.

النظام السوري يتنظر المكاسب

الأكاديمي والباحث في العلاقات السورية–الروسية محمود الحمزة، رأى من جانبه، أن واشنطن وموسكو تتفقان في غالبية المواقف التي تخدم النظام السوري ولا تلبي المطالب التركية، مشيرا لوجود دعم روسي–أمريكي لقوات سوريا الديمقراطية «قسد» وينسقان معها، وهو ما أدى إلى تصعيد الحراك والضغوط التي يقودها الرئيس التركي اردوغان على الدول الضامنة في مسار أستانا «روسيا وإيران» بالإضافة للولايات المتحدة لطرد قوات سوريا الديمقراطية من الشريط الحدودي السوري المحاذي لتركيا إلى مسافة 30 كم عن حدود بلاده.

إبعاد قوات سوريا الديمقراطية عن الحدود السورية–التركية يصب وفق ما قاله الحمزة لـ «القدس العربي» في صالح النظام السوري، وهو رغبة تركية أيضًا، معتبرا قوات «قسد» ذراعا لدمشق ولموسكو وواشنطن وطهران معا، وبأنها هي التهديد الأكبر للأكراد السوريين ومساعيها الانفصال يقودها حزب العمال الكردستاني.

الضغوط متعددة الجبهات التي يقودها الرئيس التركي حول هذه القضية، أدت إلى تحرك روسي عاجل رغم انشغال موسكو الكبير بحربها على أوكرانيا، بغية منع عملية عسكرية تركية برية تستهدف مواقع سيطرة قوات «قسد» على الشريط الحدودي، وهو ما أدى لطرح مبادرة روسية لتركيا، عنوانها سحب قوات قسد لقواتها العسكرية لمسافة 30 كم، مقابل الإبقاء على القوات الشرطية الكردية، وقوات النظام السوري، وهو ما رأى فيها المتحدث، التفافا روسيا على المطالب التركية، حيث أن قوات «قسد» من السهل أن تبقى في المنطقة بعد استبدال ملابسها العسكرية بالشرطية.

في حين لم يستبعد الحمزة في النتيجة النهائية، انسحابا أمريكيا وروسيا من منبج وتل رفعت في الشمال السوري لتصبح ضمن المناطق الخاضعة للسيطرة التركية وانحسار جديد في خريطة تمدد قوات «قسد» مستبعدا في ذات الوقت اضطرارا تركيا لعملية عسكرية برية.

قوات أمريكية في سوريا

تصادم مصالح على الأرض السورية

مصدر عسكري فضل حجب اسمه، قال لـ «القدس العربي»: فكرة الاجتياح البري للجيش التركي للمدن والبلدات الخاضعة لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية «قسد» في الشمال السوري تواجه برفض أمريكي وروسي وتأييد لضربات جوية تركية محدودة ومحددة الأهداف على أهداف عسكرية لـ «قسد» في عين العرب وعين عيسى وتل رفعت.

وأشار المصدر، إلى طلب واشنطن إبلاغها عبر غرفة العمليات قبيل تنفيذ ضربات ضد مواقع «قسد» وأن الأطراف الدولية المنخرطة في ملف قوات «قسد» لا تمانع بتنفيذ اغتيالات باستخدام الطيران التركي المسير.

كما رأى أن واشنطن من الصعب أن تتخلى عن مشروع قيام الحكم الذاتي بقيادة قوات «قسد» في الشمال السوري، معتبرا أن أصل ذلك يعود لفكرة ومشروع إسرائيلي–أمريكي، وأن الغاية منه، الإبقاء على سوريا بدون مقومات دولة وذات بنية هشة وضعيفة.

في حين أن روسيا، تسعى لاستغلال حالة الفوضى الحاصلة لنشر ميليشيات الفيلق الخامس في المنطقة، أما تركيا تحاول استغلال الأوضاع الدولية، خاصة ما يفرزه الغزو الروسي لأوكرانيا، لتحقيق أهداف أمنها القومي من خلال السيطرة على كامل الشريط الحدودي مع سوريا، في حال تمكنها من دخول المدن الخاضعة لسيطرة قوات قسد.

كذلك ستكون تركيا قد نجحت أيضا بتقليل مستوى الهجمات التي تنفذها قوات سوريا الديمقراطية «قسد» ضمن المدن والبلدات التركية.

المصدر، أرجع رفض النظام السوري للعملية العسكرية التركية لعدم امتلاك الأسد لأي ملفات يمكنه تقديمها لأنقرة، وأن دمشق تتمسك بموقفها لعدم منح تركيا أوراق قوة قبيل الانتخابات الداخلية.

وأن الوضع الراهن في الشمال هو عبارة عن تصادم مصالح دولية على الساحة السورية، حيث استبعد المصدر، أن يؤدي ذلك إلى إحداث متغيرات جوهرية في خريطة الصراع الحالية، خاصة مع حالة التحالف القوية التي تربط «قسد» بالأمريكان كقوى محلية في سوريا، وتمتلك خبرة ميدانية في قتال تنظيم «الدولة».

كما أن قسد تمتلك سجونا سرية لقيادات التنظيم، ممكن أن تطلق سراحهم في حال تم التخلي عنها، وبالتالي تشكيل ضغط على الأطراف الدولية لإعادة التنسيق معها.

مكاسب تركيا

مدير وحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري محمد سالم، رأى أن تركيا ستظفر بنتائج مهمة فيما لو دخلت إلى مدينتي منبج وعين العرب في الشمال السوري، وأن تغير خريطة الصراع لصالحها سيحمل في جعبته العديد من التطورات، لعل أهمها نجاح أنقرة في

تركيا قد تتعاون مع النظام السوري لمواجهة التهديدات «الإرهابية»

عروض روسية لتحقيق مكاسب لموسكو ودمشق من هذا الأمر من خلال توسيع مناطق النفوذ الروسية ونفوذ نظام النظام السوري، وهذا ما ظهر أيضا في العرض الروسي الأخير، حيث ستصبح المنطقة تحت سيطرة قوات دمشق، مع اندماج قوات الأسايش الخاصة بقسد في المنظومة الأمنية الخاصة بنظام الأسد، الأمر الذي قد لا يكون مريحا للأتراك، لكنهم قد يقبلوه على مضض مرحلياً، وقد لا يقبلوه لصعوبة تطبيقه.

وفي دراسة، أعدها مركز «جسور» للدراسات، يظهر أن التصعيد الحالي في الموقف يمثل إحدى مراحل التفاوض بالقوة بين الفاعلين الدوليين في سوريا، ويهدف إلى وضع قسد تحت الضغط الأقصى، بحيث تكون أمام خيارين، إما سيطرة تركيا على عدّة مناطق، لا سيما تل رفعت وعين العرب (كوباني) وعين عيسى، أو سيطرة النظام عليها من دون أي عمليات قتالية. وستكون قسد في كِلا الحالتين الطرف الخاسر.

وأن السيناريو الأمثل بالنسبة لتركيا، هو ذلك الذي يخول المعارضة السورية من السيطرة على مناطق نفوذ قوات سوريا الديمقراطية.

في المقابل، فالنظام وحلفاؤه يرغبون بإنهاء جيب تل رفعت شمال حلب، والذي أُنشئ في ظروف لم تعُد قائمة حالياً، كما أن لديهم رغبة في إنهاء موقف قسد المتعنّت خلال التفاوض مع النظام. وقد ينظَر في هذا الصدد إلى استخدام تركيا للقوة بمثابة فرصة لإخضاع قسد للشروط المقبولة من قِبل إيران وروسيا.

واشنطن وموسكو تتفقان في غالبية المواقف التي تخدم النظام السوري

مقاتلون أكراد من قسد

ميديا

«الأردن مش بخير»:
حملة شعبية تنتقد اعتقال خبير يبلغ من العمر 87 عاماً

لندن – «القدس العربي»:

أطلق نشطاء أردنيون حملة على شبكات التواصل الاجتماعي للاحتجاج على اعتقال أحد أشهر وأكبر وأقدم النشطاء في البلاد، وهو الخبير المائي والمعارض الأردني الدكتور سفيان التل البالغ من العمر 87 عاماً، والذي سرعان ما تبين أنه أكبر معتقل سياسي في العالم من حيث السن، حيث لا يوجد شخص أكبر منه سناً أو بعمره مسجون على خلفية سياسية في أي بلد آخر.

واعتقلت أجهزة الأمن الأردنية الأسبوع الماضي الدكتور سفيان التل، وهو معارض أردني وأكاديمي معروف، وسبق أن شغل مناصب حكومية عليا، كما اعتقلت معه اثنين من النشطاء السياسيين في البلاد، وأحالتهم الثلاثة إلى محكمة أمن الدولة، وهي محكمة عسكرية لطالما وجه لها الحقوقيون ونشطاء حقوق الإنسان الكثير من الانتقادات.

وحسب المعلومات المتداولة فإن اعتقال التل ومعه اثنين من رفاقه تم على خلفية مبادرة أطلقوها لتأسيس «هيئة شعبية للرد على خطاب العرش» وهو خطاب الملك عبد الله الثاني الذي يلقيه بصورة دورية عند افتتاح الدورات البرلمانية، وهو أحد المهام التي يقوم بها الملك بموجب الدستور وبصفته رئيس السلطة التشريعية في البلاد.

وسرعان ما أثار اعتقال التل موجة من الغضب الشعبي في الأردن، حيث أطلق النشطاء حملة واسعة على شبكات التواصل الاجتماعي تحتج على اعتقاله، وتُذكر السلطات بأن الرجل كان قد شغل مناصب عليا في الدولة، كما أنه في أواخر الثمانينات من العمر، ما يعني أن اعتقاله يُشكل أصلاً تهديداً لحياته.

وأطلق نشطاء على شبكات التواصل الهاشتاغ «الأردن مش بخير» والذي سرعان ما تصدر قوائم الوسوم الأوسع انتشاراً والأكثر تداولاً على «تويتر» لأكثر من يومين، كما أطلقوا الوسم «#سجن_سفيان_التل_عار» والذي استقطب أيضاً عدداً كبيراً من المعلقين الذين شاركوا في استنكار اعتقال الرجل الثمانيني المعروف والذي يُعتبر أحد أبرز خبراء البيئة في الأردن.

واعتبرت الهيئة الموحدة للحراك الشعبي في بيان لها أن اعتقال الدكتور سفيان التل ورفيقيه «إشارة مباشرة على الانقلاب ضد مسار تحديث المنظومة السياسية واستمرار القوانين في محاكمات مبالغ فيها، وقالت إن «عودة المحاكم الاستثنائية يتصدر في مرحلة تكميم الأفواه».

كما أصدر حزب جبهة العمل الإسلامي، وهو الحزب الأكبر في الأردن والذراع السياسي لجماعة الإخوان المسلمين، بياناً أعرب فيه عن استنكاره لاعتقال التل ورفيقيه.

وأصدرت عشيرة «التل» وهي واحدة من أكبر وأبرز العشائر الأردنية في مدينة إربد شمالي المملكة، بياناً أعربت فيه عن غضبها من اعتقال الدكتور سفيان، وقالت إنه «تعرض للاعتقال بتاريخ 5 كانون الأول/ديسمبر 2022 عن طريق مداهمة بيته وترويع كريماته، واستخدام العنف خلال الاعتقال».

وقالت العشيرة إنها لا تعرف سبب الاعتقال ولكنها تستنكر الطريقة التي تم بها الأمر، وقالت إنه «كان بالامكان طلب الدكتور عبر الهاتف أو تسليمه مذكرة أمنية لمراجعة الجهات المختصة» وتابعت: «لم يفعل الدكتور سفيان التل وقت اعتقاله ما يدعو إلى استخدام العنف وترويع أهل بيته ومصادرة ما تم مصادرته، ومعلوم أنه تجاوز سن السادسة والثمانين ويتوجب على الجميع احترامه وتقدير علمه وخدمته الطويلة للوطن».

وغردت الناشطة هديل البطوش تقول: «أين الكُتاب والأدباء وأصحاب كلمة الحق وأصحاب الضمير الحيّ؟.. للأسف في السجون» فيما علق علي الطراونة: «من أوصلنا لهذه الحالة؟.. إبحثوا عمن مُنحوا لقب (رجالات الدولة) تحت قبة مجلس الأعيان، أولئك الذين نالوا الثقة السامية وأقسموا دون أن يُسألوا أو يُحاسبوا.. لن تجدوا بينهم سفيان التل وعمر أبو رصاع وعبد الطواهية وحمد الخرشة».

وأضاف الطراونة في تغريدة ثانية: «عمر أبو رصاع، سفيان التل، عبد الطواهية.. من يعرف تلك الشخصيات يُدرك مقدار ما يمتلكون من العلم والثقافة والحس الوطني، لكن غول الاستبداد يفترس حريتهم كما افترس حق الأردنيين بوطنهم، فاستبدل الذين هم خير بمن هم أدنى من جوقة التسحيج وأراجوزات السلطة.. لك الله يا أردن».

أما علاء الحياري فغرد يقول: «اعتقال أصحاب المواقف الوطنية هو انحراف عن كل أسس العدالة وأبسط معاني احترام الحرية والكرامة الإنسانية، وإلى متى يسكت الكثيرون عن هذه السلوكيات بشكل مريب والذي مؤداه أنهم يبررون هذا السلوك المنحرف ويقبلون به».

وكتبت ملك الروسان: «كيف يُعتقل الدكتور سفيان التل الذي شارف على التسعين ربيعا بهذه الطريقة اللاأخلاقية؟ وما هي الأدوات التي يمتلكها لتقويض نظام الحكم؟ أم إنها تهم جاهزة يتم الصاقها كالعادة بكل من يحاول ممارسة حقه الدستوري بالتعبير عن رأيه؟».

وغرد المعارض والناشط المعروف أنس الجمل: «مساء الخير على شيخ المعتقلين السياسيين وكبيرهم الدكتور المهندس سفيان التل. هذه القامة التي لا تلين ولا تنحني أمام الاستبداد والترهيب ولا المغريات والمناصب».

وكتب المعلقين ساخراً: «إلى جميع السوداويين المشككين بانجازات الدولة والحكومة الأردنية، ها هو الأردن يدخل التاريخ بعد اعتقال وسجن أكبر سجين رأي في العالم عمره 87 سنة. إنجاز ده ولا مش إنجاز يا سوداويين يا بتوع التشكيك.. الحرية للدكتور الحر الشريف سفيان التل».

ونشرت ساجدة آل سيف صورة للتل وكتبت معلقة عليها: «بلد مافيها خير لمثقفيها وعلماءها، تنكّل بكل ما هو شريف ونزيه وصاحب مبدأ».

وغرد هيثم نبيل العياصرة: «سجن سفيان التل عار على جبين الدولة ليس لكبر السن فقط، ولكن لأنه قامة علمية كبيرة وأيضاً مبدأ الاعتقال لتكميم الأفواه مرفوض. حمد الخرشة يصارع الموت ومستمر بالاضراب لليوم 100 على التوالي إحتجاجاً على سلب حريته وهناك العشرات من معتقلي الرأي في سجون السلطات الأردنية».

وغردت رزان العمد: «صانع القرار متعنت، جاهل، يفتقر لمهارة إدارة الأزمات وأعيد وأكرر انا لا أقول حل الأزمة ولكن مهارة إدارتها لانه لسة بكير عليكم توصلوا لحل الأزمات وفضها».

وكتب الناشط علاء الملكاوي: «قصة قديمة تتجدد: سجين عربي طلب كتاباً معيناً للمطالعة من إدارة السجن، وأعطاهم اسم الكتاب، فجاءه الرد: الكتاب غير موجود ولكن المؤلف عندنا إن أردت.. الحرية للمفكر الدكتور سفيان التل».

ودعا عبد الرحمن شديفات إلى نشر مؤلفات التل على أوسع نطاق، وقال: «مطلوب منا اليوم نشر كتاب (الأطماع الصهيونية في الأردن) الذي قام بتأليفه الدكتور سفيان التل، ونشر مقابلاته ومقالاته، لكي يبقى حراً وصوته لا تخفيه الزنان».

وعلق عبد الوهاب أبو نواس: «حكومة ضائعة فاقدة للوعي تسجن مفكراً يفتخر به أبناء الوطن يبلغ من العمر 87 عاماً قضاها في خدمة وحب الأردن».

وكتب أحد المعلقين: «أنا ما بصدق إنه رجل بلغ من الكبر عتياً، وفي الفصل الأخير من عمره، مشهود له بالعلم والفهم والأدب والثقافة والخبرة بتم اعتقاله وسجنه، بينما كبار الفاسدين لم تصلهم يد العدالة. لله درك يا سفيان التل اتعبتهم بالتفكير بك. طوبى لك أيها الفارس».

وغرد الإعلامي مالك عبيدات: «استمرار العقلية الأمنية بالتعامل مع أصحاب الرأي سيؤدي إلى أزمة عميقة ولن تستطيع أي حكومة تحمل فاتورة الفوضى». وأضاف في تغريدة ثانية على «تويتر» يقول: «لن نقبل استمرار سياسة القبضة الأمنية واعتقال الأحرار والشرفاء». وتابع: «أين العقلاء وأين رجال الدولة الذين كان لهم دور في وضع الحلول وامتصاص الغضب الشعبي وصمام الأمان لهذا الوطن».

وغردت الدكتورة سعاد جابر: «إن حرية التعبير حق أساسي من حقوق الإنسان على النحو المنصوص عليه في المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: (لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية التعبير دون أي تدخل؛ وبناء عليه لا يحق اعتقال المرء على رأيه ووجهات نظره)».

وقال عبيدة النصيرات في تغريدة يستنكر فيها اعتقال التل: «وصل المواطن الأردني مرحلة من المذلة والمهانة لا أجدادنا ولا آباءنا ولا الأنباط ولا اللي اقدم منهم وصلوها، يجب أن يرضخوا لمطالب الناس رغم أنوفهم، الحقوق تنتزع من السفلة، حسابات سويسرا والملاذات الآمنة الدليل».

يشار إلى أن مدعي عام محكمة أمن الدولة (محكمة عسكرية) وجه تهمة «تقويض نظام الحكم وإثارة النعرات» لكل من الدكتور سفيان التل وعبد خليفة طواهية وعمر أبو رصاع، وذلك حسب ما صرح المحامي عاصم العمري الذي أفاد أنه تم إيقافهم على ذمة التحقيق.

واعتقل التل أثناء تصويره لحلقة تلفزيونية لصالح الحراك الأردني الموحد (تحالف حراكات معارضة) وقالت عائلته إن قوة أمنية اقتحمت المنزل في منطقة ابو نصير شمالي العاصمة عمّان، واقتادوا الدكتور التل إلى مكان مجهول دون إبلاغهم بأي تفاصيل أو أسباب لهذا الاعتقال.

وأضاف ذوو التل إنه يعاني من عدة أمراض في القلب، ولم يتم إبلاغهم بوضعه الصحي ولا الظروف التي يتم احتجازه بها، موضحين أن «رجال الأمن قاموا بمصادرة هواتف زوجته وبناته المتواجدات في المنزل ولم يقوموا بإعادتها ولا إبلاغهم بمكان تواجدها».

شبكات التواصل العالمية
استهدفت المحتوى الفلسطيني 72 مرة خلال شهر

لندن – «القدس العربي»:

تعرَّض الفلسطينيون إلى 72 انتهاكاً على مواقع التواصل الاجتماعي وشبكة الإنترنت خلال شهر تشرين الثاني/نوفمبر الماضي وحده، حيث تم حذف الكثير من المحتوى الفلسطيني بما في ذلك حذف حسابات بأكملها، حسب ما رصد تقرير صدر عن مركز متخصص بمراقبة هذه الانتهاكات.

وقال مركز مركز «صدى سوشال» إن الفلسطينيين تعرضوا لـ72 انتهاكاً أصابت المحتوى الفلسطيني عبر منصات التواصل الاجتماعي خلال شهر تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، منها 40 حذفاً لحسابات وصفحات بشكل كامل عن الفضاء الرقمي.

ولفت المركز في بيان صحافي حصلت «القدس العربي» على نسخة منه إلى أن الصحافيين والمؤسسات الإعلامية لا يزالون الأكثر عرضة للانتهاكات الموثقة، بمعدل 79 في المئة من الانتهاكات، حيث تم توثيق 32 انتهاكاً بحق صفحات تابعة لمؤسسات إعلامية وحسابات لصحافيين، منهم من حُذفت حساباتهم بشكل كامل، و25 حساباً لناشطين فلسطينيين كتبوا في القضية الفلسطينية.

وتوزعت الانتهاكات التي رصدتها «صدى سوشال» عبر منصات التواصل الاجتماعي المختلفة كما يأتي:

جاءت المنصات التي تديرها شركة ميتا في مقدمة المنصات ارتكابا للانتهاكات (61 انتهاكاً، 41 على «فيسبوك» و20 على «إنستغرام») تنوعت ما بين حذف المنشور، تبعه تقييد الوصول ومنع النشر ومنع استخدام بعض الخصائص، مثل البث المباشر والإعلانات والمشاركة في المجموعات لفترة زمنية معينة وحذف الحساب كلياً.

ثلاثة انتهاكات رصدها المركز عبر تطبيق واتساب، وخمسة انتهاكات عبر موقع «تويتر» وانتهاك واحد عبر موقع يوتيوب، وانتهاك واحد عبر تطبيق تيك توك.

أما عن توزيع الانتهاكات حسب نوع الحساب، فرصد المركز 36 حساباً شخصياً تعرض أصحابها للانتهاكات الرقمية (34 صفحة عامة، ومجموعتان على «فيسبوك»).

وحول طبيعة المحتوى المنتهك المتعلق بالقضية الفلسطينية، رصد مركز «صدى سوشال» الآتي:

– 25 في المئة كان عبارة عن نصوص وكلمات تتعلق بالقضية الفلسطينية.

– 40 في المئة محتوى يتضمن صوراً فلسطينية لشهداء أو أحداث تصف اعتداء الاحتلال.

– 32 في المئة من الانتهاكات كانت لمقاطع فيديو تضمنت في أغلبها تشييع الشهداء الفلسطينيين الذين ارتقوا خلال الشهر الماضي، حيث تعتبر الخوارزميات هذه المضامين إشادة بأشخاص ومنظمات تصنّفها «ميتا» بأنها «خطيرة».

وأكد مركز «صدى سوشال» ضرورة الإبلاغ عن أي انتهاك لحرية النشر، أو خطاب كراهية أو تحريض ضد الفلسطينيين على الفضاء الرقمي، وأهمية توثيق هذه الانتهاكات انطلاقاً من أهمية الحضور على المنصات الرقمية ونقل الرواية الفلسطينية، واحترام حرية التعبير كحق تضمنه المواثيق الدولية كافة.

صحافيون تونسيون يضربون عن العمل في يوم الانتخابات البرلمانية

لندن – «القدس العربي»:

أعلن الصحافيون والإعلاميون العاملون في الإذاعة والتلفزيون في تونس تنفيذ إضراب عن العمل يومي الـ17 والـ18 من شهر كانون الأول/ديسمبر الحالي، وذلك بالتزامن مع الانتخابات البرلمانية التي ستشهدها البلاد، وهي الأولى التي تجري منذ الإجراءات التي اتخذها الرئيس قيس سعيد صيف العام الماضي، والتي يصفها البعض بأنها «انقلاب».

وأعلنت الجامعة العامة للإعلام، وهي جزء من الاتحاد العام التونسي للشغل، أن العاملين في الإذاعة والتلفزيون سينفذون إضراباً عاماً عن العمل يومي 17 و18 من الشهر الحالي.

ويتزامن هذا الإضراب مع الانتخابات البرلمانية التي سيتم تنظيمها في البلاد، وهو ما دفع الكثير من المعلقين السياسيين إلى القول إن الإضراب له بعد سياسي، ويندرج في إطار الصراع بين الاتحاد العام التونسي للشغل والحكومة التونسية الذي تزايدت حدته في الفترة الأخيرة. وقالت صحيفة «الشعب» الصادرة عن الاتحاد العام التونسي للشغل إن النقابيين يطالبون بإصدار الأمر بمراجعة النظام الأساسي للمؤسسات الإذاعية والتلفزيونية، وفق اتفاقية تم توقيعها في 28 حزيران/يونيو 2021.

إلى ذلك، طالبت منظمات وجمعيات تونسية الأسبوع الماضي بسحب المرسوم 54 ودعت القضاء إلى «التصدي لضرب الحريات وعدم اعتماد النصوص المعادية لحرية التعبير والفكر والصحافة وعدم الخضوع لضغط السلطة السياسية على استقلالية أعمالهم القضائية».

ووقع على البيان الاتحاد العام التونسي للشغل، والهيئة الوطنية للمحامين، والجامعة التونسية لمديري الصحف، والنقابة الوطنية للصحافيين التونسيين، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان.

وحسب البيان فإن الإصرار على إحالة مديري الصحف والصحافيين على القضاء بموجب المرسوم عدد 54 هو ضرب ممنهج لحرية التعبير والصحافة، وحلقة جديدة في مسار تكميم الأفواه، وتوجه يهدف إلى خنق المؤسسات الإعلامية اقتصاديا واجتماعيا ودفعها إلى التوقف عن العمل.

وأضاف البيان أن في ذلك تصعيدا خطيرا يرمي إلى الحد من حق المواطنين في الحصول على المعلومات الدقيقة وفي النقاش العام حول سياسات إدارة الأزمة الراهنة مقابل التوجه المكشوف إلى خدمة أجندات السلطة السياسية الحاكمة، كما جاء في البيان. ورأت المنظمات أن هناك امتناعا من السلطة عن «التعامل مع العاملين في القطاع وتمكينهم من المعلومة، وخنق المؤسسات الإعلامية وإحالة العاملين فيها على البطالة».

وطالبت بسحب المرسوم عدد 54 تماما باعتباره مناقضا لأهداف ثورة 17 كانون الأول/ديسمبر 2010 و 14 كانون الثاني/يناير 2011 ولما يحتويه من تهديدات مسلطة على كل من يبادر بإعلان رأي مخالف للسلطة، فيما أعلنت إطلاق حملة وطنية في سبيل سحبه.

كما حثت الصحافيات والصحافيين وأصحاب المؤسسات الإعلامية وكل نشطاء المجتمع المدني والسياسي إلى التصدي لمحاولة ضرب حرية التعبير والصحافة والفكر البناء في نقد السياسات العامة ولمحاولة تدجين الإعلام وتدعوهم إلى المشاركة الفاعلة في الحملة الوطنية للتصدي للمرسوم 54 وللمطالبة بسحبه.

ودعت المنظمات القضاة إلى التصدي لضرب الحريات العامة والفردية من خلال عدم اعتماد النصوص المعادية لحرية التعبير والفكر والصحافة وعدم الخضوع لضغط السلطة السياسية على استقلالية أعمالهم القضائية.

وجدد الموقعون التذكير بأن «مقاضاة الصحافيين وبقية العاملين في القطاع لا تتم إلا عبر المرسومين عدد 115 و116 المؤرخين في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 2011 وأن محاولة منع أي منهم من التعبير عن رأيه، إنما تدخل في خانة حصار الشعب التونسي وحجب المعلومات والآراء المخالفة عنه والتراجع المكشوف عن مكسبي حرية التعبير والصحافة اللذين حققتهما ثورة 17 كانون الأول/ديسمبر 2010 و 14 كانون الثاني/يناير 2011».

صحافيو «نيويورك تايمز» ينفذون أول إضراب عن العمل منذ 40 عاماً

لندن – «القدس العربي»:

نفذ الصحافيون والموظفون والعمال في جريدة «نيويورك تايمز» الشهيرة إضراباً عن العمل يوم الخميس الماضي هو الأول من نوعه منذ أكثر من 40 عاما، واستمر لمدة 24 ساعة فقط، وذلك في أعقاب فشل مفاوضات بين ممثليهم وبين إدارة الصحيفة.

وقال موظفو غرفة الأخبار وأعضاء آخرون في نقابة العاملين في الصحف في نيويورك إنهم سئموا من المساومة حول أوضاعهم المالية والاجتماعية التي طال أمدها منذ انتهاء آخر عقد لهم في آذار/مارس 2021.

وكانت النقابة أعلنت سابقاً أن أكثر من 1100 موظف سيتوقفون عن العمل مدة 24 ساعة بدءاً من الساعة 12:01 من يوم الخميس ما لم يتوصل الجانبان إلى اتفاق، وهو ما حصل بالفعل ولجأ العاملون إلى الاضراب عن العمل لمدة يوم كامل.

وقالت النقابة صباح الخميس الماضي في تغريدة على «تويتر» إن العمال «توقفوا حالياً بشكل رسمي عن العمل، وهو الأول على هذا النطاق في الشركة منذ 4 عقود. لم يكن قراراً سهلاً أبداً. ولكن أعضاءنا على استعداد لفعل ما يلزم لتوفير غرفة أخبار أفضل للجميع».

وجرت المفاوضات الثلاثاء الماضي لكن آراء الطرفين ظلت متباعدة بشأن القضايا العالقة بينهما، بما فيها زيادة الأجور وسياسات العمل عن بعد.

ومساء الأربعاء أعلنت النقابة عبر «تويتر» أنها لم تصل إلى أي اتفاق مع الإدارة، وقالت: «كنا مستعدين للعمل للتوصل إلى صفقة عادلة، لكن الإدارة انسحبت من طاولة الحوار قبل 5 ساعات من انطلاقه».

وقالت المتحدثة باسم «نيويورك تايمز» دانييل روردس ها، في بيان، إن المفاوضات كانت جارية عندما أعلنت النقابة عن الإضراب. وأضافت: «من المخيب للآمال أن يتخذوا مثل هذه الإجراءات المتشددة في وقت لم نكن قد وصلنا إلى طريق مسدود بعد».

وعلى الرغم من أن العمل على موقع الصحيفة استمر يوم الخميس، فإن عدداً كبيراً من العاملين في غرفة الأخبار المباشرة والعاجلة شاركوا في الإضراب.

وأوضحت روردس ها إن المؤسسة لديها «خطط ثابتة وراسخة» لمواصلة إنتاج المحتوى، بما في ذلك الاعتماد على المراسلين الدوليين والصحافيين الآخرين من غير أعضاء النقابات.

وفي مذكرة أرسلتها الإدارة إلى الموظفين الممثلين النقابة داخل الصحيفة ليل الثلاثاء، وصف نائب مدير التحرير كليف ليفي الإضراب المخطط له بأنه «محير» و«مربك» في الوقت الذي تتواصل فيه مفاوضات حول عقد جديد.

لكن في رسالة وقعها أكثر من ألف موظف، قالت نقابة الأخبار إن الإدارة تباطأت بشكل كبير خلال المفاوضات المستمرة منذ حوالي عامين و«الوقت بدأ ينفد للتوصل إلى عقد عادل» بحلول نهاية العام، علماً أن الإدارة أبلغت الموظفين المشاركين في الاحتجاج العمالي أنهم لن يتقاضوا رواتبهم عن فترة الاضراب.

وكان آخر اضراب عن العمل نفذه صحافيو «نيويورك تايمز» في آب/أغسطس سنة 1981 عندما أضرب العاملون فيها لمدة نصف يوم، لكن الصحيفة لم تعرف وقفاً للنشر منذ اضراب الصحافيين والموظفين عام 1978 الذي استمر 88 يوماً.

علوم وتكنولوجيا

«آبل» تكشف أسرار الأجهزة:
إصلاح هاتفك يُمكن أن تقوم به بنفسك في المنزل

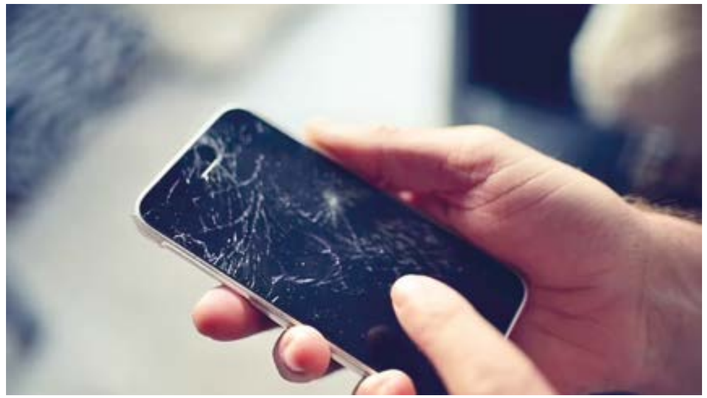

لندن ـ «القدس العربي»:

طرحت شركة «آبل» العالمية العملاقة التي تتنج الهواتف الذكية الأوسع انتشاراً في العالم «آيفون» طرحت خدمة الإصلاح الذاتي في عدد محدود من دول العالم من بينها بريطانيا والولايات المتحدة، ما يسمح للمستخدمين بإصلاح أجهزتهم الخاصة واستعادتها وهم في المنزل، ومن دون الحاجة إلى الذهاب إلى أقسام الصيانة في الشركة والانتظار طويلاً من أجل إصلاح بعض مواطن الخلل.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» إن برنامج الإصلاح الذاتي للخدمة العملاقة للتكنولوجيا يقوم بشحن قطع الغيار والأدوات إلى منازل الناس مقابل رسوم حتى يتمكنوا من إصلاح أجهزة «آيفون» وأجهزة الكمبيوتر المحمولة «ماك» المعطلة.

وتم إطلاق هذه الخدمة أخيراً من قبل شركة «آبل» وهي نقطة تحول بالنسبة لحركة «الحق في الإصلاح» والتي لطالما ضغطت على عمالقة التكنولوجيا لجعل إصلاح الأجهزة أسهل والمساعدة في تقليل النفايات الإلكترونية.

ومع ذلك، صرحت شركة «آبل» بأن «أي ضرر يسببه العميل خلال فترة الإصلاح لا يشمله الضمان الذي تقدمه الشركة لمنتجاتها» وهو ما يعني أن عملية الإصلاح الذاتي ستتم على مسؤولية المستخدم، وفي حال أحدث خللاً بعد ذلك في الجهاز فلن تتولى الشركة إصلاحه ولا استبداله بموجب الضمان المعتاد.

وتم إطلاق «إصلاح الخدمة الذاتية» بالفعل في الولايات المتحدة في وقت سابق، ولكنه أصبح متاحاً الآن في ثماني دول أوروبية، وهي: بريطانيا وبلجيكا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبولندا وإسبانيا والسويد.

وفي الوقت الحالي، لا تتوفر ميزة «Self Service Repair» إلا لهواتف «آيفون 12» و«آيفون 13» بالإضافة إلى أجهزة الكمبيوتر المحمولة «ماك» المزودة بشرائح «آبل» السيليكونية.

ويمكن للعملاء إجراء إصلاحات تتراوح بين استبدال شاشة محطمة ووضع بطارية جديدة، ولا تشمل كافة أنواع الخلل الذي يمكن أن يصيب الأجهزة.

وقال جيف ويليامز، الرئيس التنفيذي للعمليات في شركة «آبل»: «نعتقد أن أفضل تقنية لعملائنا ولكوكبنا هي التكنولوجيا التي تدوم، ولهذا السبب نصمم منتجاتنا لتكون متينة ونادراً ما تتطلب صيانة أو إصلاحا».

وأضاف: «ولكن عند الحاجة إلى الإصلاح، نريد أن يكون لدى العملاء العديد من الخيارات للإصلاح الآمن والموثوق».

وتابع: «لهذا السبب نحن متحمسون لإطلاق خدمة الإصلاح الذاتية في أوروبا، ما يتيح لعملائنا الوصول المباشر إلى قطع غيار وأدوات وأدلة آبل الأصلية».

وحالياً، يمكن لعملاء «آبل» إرسال أجهزتهم الخاصة إلى الشركة أو نقلها إلى متجر «آبل» لإصلاحها، على الرغم من أن العديد من الإصلاحات الأساسية مثل الشاشات المتصدعة واستبدال البطارية ليست مجانية.

ويوجد أيضاً بالفعل أكثر من خمسة آلاف مقدم خدمة معتمد من شركة «آبل» وهي شركات مستقلة عن آبل لكنها معتمدة توفر خدمات الدعم والإصلاح لمنتجات الشركة.

وكبديل لهذه الخيارات، يوفر متجر الإصلاح الذاتي للخدمة الوصول إلى أكثر من 200 قطعة وأدوات فردية يمكن طلبها مقابل رسوم مالية، بالإضافة إلى أدلة الإصلاح التي يمكن عرضها مجانا.

وهناك أيضاً مجموعة أدوات يمكن استئجارها مقابل 49 دولاراً (40 جنيهاً إسترلينياً) لمدة أسبوع واحد وإعادتها، وهي مخصصة لأولئك الذين لا يرغبون في شراء أدوات لإجراء إصلاح واحد فقط.

ويمكن للعملاء إرسال الأجزاء المستبدلة مرة أخرى إلى «آبل» للتجديد وإعادة التدوير، وفي بعض الحالات يحصلون على ائتمان من مشترياتهم من خلال القيام بذلك.

ومع ذلك، قالت «آبل» إن البرنامج مناسب فقط لـ«العملاء الذين لديهم خبرة في تعقيدات إصلاح الأجهزة الإلكترونية». وهذا يعني أن أولئك الذين يفتقرون إلى الفهم أو لديهم القليل من الثقة في قدرتهم على إجراء الإصلاح قد يكون الأفضل لهم أخذ أجهزتهم إلى محترف.

وقالت جريدة «نيويورك تايمز» في تقرير سابق لها إنها جربت بالفعل خدمة الإصلاح ذاتياً لهاتف من طراز «آيفون 12» لكن محاولة تغيير البطارية انتهت بـ«كارثة» وهاتف مكسور.

ووفقاً للصحيفة، فإن الحصول على البطارية جديدة كلف 96 دولاراً أمريكياً من خلال الخدمة، بالإضافة إلى 49 دولاراً لمجموعة الأدوات المستأجرة.

وتعترف «آبل» أنه بالنسبة إلى «الغالبية العظمى من العملاء» يتم تحقيق «الإصلاح الأكثر أماناً والأكثر موثوقية» من خلال متجر «آبل» أو أي من الوكلاء المعتمدون المستقلون.

وقالت الشركة «إن إصلاح الأجهزة الإلكترونية الحديثة المعقدة والمتكاملة للغاية والمصغرة ليس بالأمر السهل، وهؤلاء الفنيون لديهم الخبرة والتدريب وقطع الغيار والأدوات اللازمة لإجراء الإصلاح بشكل صحيح».

وأضافت إن الإصلاحات المنزلية تتطلب «تكوين النظام» وهي أداة برمجية تكمل الإصلاح وتضمن تثبيت جزء أصلي من آبل، ولكن حتى هذا قد يتسبب في مواجهة العميل للمشكلات.

وقال ناثان بروكتور، المدافع عن حقوق الإصلاح في الولايات المتحدة، في وقت سابق من هذا العام أنه «لا يزال هناك الكثير من الأطواق للقفز من خلالها للعملاء لإصلاح هواتفهم». وأضاف: «يسعدنا حقاً أن نرى وصول الجمهور إلى أدلة خدمة آبل لأول مرة منذ عقود».

أطباء روس يبدأون اختبارات على علاج للخرف

لندن ـ «القدس العربي»:

أنهى علماء معهد الكيمياء الحيوية العضوية التابع لأكاديمية العلوم الروسية مراحل الاختبار قبل السريري لدواء جديد لعلاج الخرف، حسب ما نقلت شبكة «روسيا اليوم» الإخبارية.

ووفقا للباحثين، يتميز هذا الدواء الذي أطلق عليه اسم «كوغنيران» عن الأدوية المستخدمة حاليا، بكونه يعتمد على أسس جديدة. وهذا الدواء يحتوي على جزيء بيتيد صغير، وهو أحد مكونات البروتين البشري «Lynx1» الذي يحفز النهايات العصبية في الدماغ (المستقبلات) والتي تتعرف على النيكوتين وبالتالي تحسن الوظائف الإدراكية.

ويقول زاخار شنكاريوف، مدير مختبر الهندسة الحيوية للأدوية المضادة للسرطان ومعدلات الأعصاب الاصطناعية بالمعهد: «عند تنشيط هذه المستقبلات، لكي تنفتح وتحمل المزيد من الأيونات، فإنها تزيد من فعالية عمليات النقل العصبي وتكوين الذاكرة في القشرة الدماغية ومناطق الدماغ الأخرى، وبالتالي تحسن الوظائف الذهنية».

ويضيف: «غالبا ما ترتبط الاضطرابات الفكرية لدى المرضى الذين يعانون من أمراض التنكس العصبي باضطراب عمل مستقبلات النيكوتين، فمثلا، في حالة مرض الزهايمر، تتراكم لويحات الأميلود في الخلايا العصبية. وهذه اللويحات تتفاعل مع المستقبلات وتثبط عملها، ما يعيق انتقال النبضات العصبية وبسبب الخرف».

ولكن بعد أن أكتشف الباحثون بروتيناً لدى الإنسان يمكنه تنشيط مستقبلات النيكوتين، فصل علماء معهد الكيمياء الحيوية العضوية الجزء المسؤول عن هذه العملية منه.

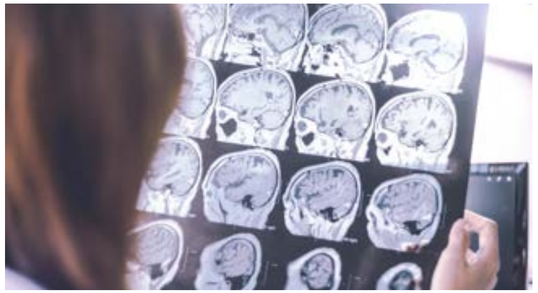

«روبوت» يزيل ورماً سرطانياً ويُنقذ حياة إنسان

لندن ـ «القدس العربي»:

أنقذ إنسان آلي «روبوت» حياة رجل يبلغ من العمر 61 عاما عن طريق إزالة ورم سرطاني من حلقه في أول عملية من نوعها أجريت في بريطانيا مؤخراً.

واستخدم الجراحون في مستشفى «غلوسيسترشاير الملكي» جيلا جديدا من الروبوتات يسمى «Versius» لإجراء عملية استئصال المريء لإزالة ورم يبلغ قطره 2.3 بوصة من مريض يُدعى مارتن نوجينت، بحسب ما ذكرت جريدة «دايلي ميل» البريطانية. وكان الإجراء الذي قام به الروبوت شكلا من أشكال جراحة الوصول إلى الحد الأدنى، والتي تخلق شقوقا أصغر وتقلل من المضاعفات والتندب وآلام ما بعد الجراحة.

وقال نوجينت: «إن الفريق في المستشفى أنقذ حياتي وسأكون ممتنا لهم إلى الأبد على فعلهم ذلك. لقد أتيحت لي فرصة رؤية أحفادي وأولادي وزوجتي ثانية وهذا يعني الكثير بالنسبة لي».

ويعود الفضل في الجهد الدقيق، الذي تضمن رفع معدة نوجينت وإعادة توصيلها بمريئه، إلى منحه فرصة للحصول على تجارب لم يكن يعتقد أنها ستكون ممكنة.

وقال نوجينت: «كنتُ أعلم أنني أول مريض في بلادنا يتلقى الرعاية بهذه الطريقة. إنه لأمر مدهش حقا أن يحدث هذا النوع من الأشياء هنا في غلوستر، خاصة عندما تقارننا بمدن كبيرة مثل لندن أو مانشستر أو أكسفورد. في العام الماضي كنتُ أشعر بألم شديد ولم أكن أستطيع تناول أي عشاء في عيد الميلاد. أعتقد أننا سنعوضه هذا العام وأنا ممتن جداً لمنحي الفرصة للاستمتاع بعيد الميلاد مرة أخرى». وتصف شركة «CMR Surgical» التي تنتج الجراح الآلي، الجهاز على موقعها على الإنترنت بالقول: «إن مجموعة الأدوات المعصمة بالكامل، إلى جانب الرؤية الثلاثية الأبعاد عالية الدقة، تمنح الجراحين مستوى عاليا من الدقة عند تنفيذ خطوات إجرائية معقدة أو العمل في ظروف صعبة للوصول إلى هذه المنطقة أو تلك من الجسم».

وتقول الشركة: «بمستويات عالية من الدقة والتحكم، يستطيع الجراحون أداء المزيد من إجراءاتهم المعقدة بالتنظير البطني».

وأوضحت آنا رادوك، المدير العام للشركة المنتجة للروبوت: «إنه لأمر رائع أن نرى فرقا من تخصصات متعددة تستخدم هذا الروبوت لعمليات استئصال السرطان المعقدة مثل هذه».

وأضافت: «نحن نعلم أن جراحة الحد الأدنى من التدخل تحسن النتائج بالنسبة للمرضى ويمكن أن تؤدي إلى التعافي أسرع، وأن الروبوتات الجراحية تساعد على التمكين من الوصول إلى هذا الحد الأدنى». وتتميز الآلة بتصميم معياري وهي خفيفة الوزن ما يسمح بنقلها بسهولة بين الأقسام. كما أنها تستخدم تقنية تسمى «v-wrist» ما يعني أنه يمكن استخدامها فعليا في أي غرفة عمليات.

وقد تم تركيب الروبوت العام الماضي وأصبح مستشفى «غلوسيسترشاير الملكي» أول مستشفى حكومي في بريطانيا يبدأ برنامج علاج الجهاز الهضمي العلوي باستخدام الروبوت.

مشروع سيارة «آبل» يتراجع: لن تكون ذاتية القيادة

لندن ـ «القدس العربي»:

أظهرت أحدث المعلومات المسربة من شركة «آبل» أن مشروع سيارتها الذي يشغل الأسواق منذ سنوات يشهد تراجعا، حيث يبدو أن الشركة ستضطر لطرح سيارة بسائق أقرب إلى المركبات الموجودة في الشوارع حالياً، ولن تكون سيارة بدون سائق بشكل كامل كما كانت تشير التوقعات والتسريبات طيلة السنوات والشهور الماضية.

وحسب تقرير نشرته وكالة «بلومبيرغ» للأنباء، واطلعت عليه «القدس العربي» فإن السيارة سوف تتأخر مرة أخرى ولن ترى النور قبل العام 2026 إلا أن الأهم من ذلك أنها ستتضمن «مقوداً ودواسات» ما يعني أنها لن تكون ذاتية القيادة بشكل كامل كما كان يسود الاعتقاد سابقاً.

وقالت «بلومبيرغ» في تقريرها إن «الشركة لا تستطيع إنتاج رؤيتها بالتكنولوجيا الحالية» وهو ما يعني أنها ستضطر إلى التخلي عن فكرة المركبة ذاتية القيادة بشكل كامل، على أنها ستصل إلى الأسواق في أفضل الأحوال بحلول العام 2026.

وستحتوي سيارة «آبل» المعروفة داخلياً باسم «Titan» على مقود ودواسات، وهو خطوة إلى الوراء مقارنة بما كان يدور الحديث عنه في السابق، حيث كان يُشار إلى أن سيارة «آبل» ستكون مستقلة وذاتية القيادة بالكامل، حسب ما أوردت وكالة «بلومبيرغ».

وترددت شائعات لأول مرة في عام 2014 بأن شركة «كوبرتينو» في كاليفورنيا تعمل على تطوير سيارة كهربائية مع جميع الملاحظات الأسلوبية والبراعة البرمجية للهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر الشهيرة التي تنتجها شركة «آبل».

وسيحتوي الإصدار الجديد من السيارة على ميزات القيادة الذاتية التي يمكن استخدامها على الطرق السريعة وسيتم تشغيلها بواسطة نظام يستخدم معالجاً قوياً مثل «حوالي أربع من أعلى شرائح ماك المتطورة من آبل مجتمعة».

ويقال إن شركة «آبل» تخطط لبيع السيارة بأقل من مئة ألف دولار، بدلاً من سعر أعلى كان يدور الحديث عنه سابقاً وهو 125 ألف دولار.

وستسمح هذه المركبة لسائقي السيارات بمشاهدة الأفلام والقيام بمهام متعددة على الطرق السريعة، لكنها ستوفر تنبيهات عندما يحين وقت التبديل إلى التحكم اليدوي في شوارع المدينة أو في الأحوال الجوية السيئة، وفقًا لتقرير «بلومبيرغ».

وشهد المشروع عدداً من التغييرات التنفيذية على مدار عمره، وهي التي ربما تسببت في حدوث تأخيرات. وفي الوقت الحالي، يترأس جون جياناندريا، رئيس قسم التعلم الآلي، مشروع «آبل كار» ويشرف كيفين لينش، المعروف بعمله على ساعة «آبل» على العمل في السيارة.

وأفاد موقع «آبل» الإخباري أيضاً أن الشركة ستستخدم تكنولوجيا التخزين السحابي لبعض عمليات معالجة الذكاء الاصطناعي، وقد يكون لديها مركز تحكم عن بُعد يمكنه مساعدة السائقين والتحكم في السيارات من بعيد أثناء حالات الطوارئ. كما قد تقدم أيضاً برنامج التأمين الخاص بها للشركات. ويبدو أن الرئيس التنفيذي تيم كوك، الذي أفادت المعلومات بأنه «نادرا» ما يزور مكاتب المشروع في «سانتا كلارا» بكاليفورنيا لا يزال مهتما بمتابعة إنتاج السيارة. وحسب ما ورد، فإن كبير مسؤولي التصميم السابق في شركة «آبل» جوني إيف، الذي لعب دوراً حيوياً في تصميم معظم منتجات الشركة الأكثر شعبية، يتشاور مع عملاق التكنولوجيا وأخير الفريق العامل على إنتاج السيارة أنه «يميل إلى تصميم غريب».

وتقول جريدة «دايلي ميل» البريطانية في تقرير لها إن فريق «آبل كار» قام بإنتاج العديد من مقاطع الفيديو التجريبية الأنيقة بما في ذلك رحلة بطول 40 ميلاً عبر مونتانا تم تصويرها بواسطة طائرات بدون طيار لإثبات تقدم المشروع في وقت سابق من هذا العام.

وعلى الرغم من التأخيرات والتقليص، فمن المحتمل أن يتبنى المستهلكون رؤية شركة التكنولوجيا لسيارة مدعومة جزئياً بالذكاء الاصطناعي.

علماء يعملون على استخراج مضاد حيوي من فم الدب

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن علماء روس من استخلاص مضاد حيوي فعال من فم الدب، في تطور علمي جديد قد يحدث طفرة في علاج الالتهابات والعديد من الأمراض التي يعاني منها الإنسان.

وقالت شبكة «روسيا اليوم» في تقرير لها إن العلماء يعتقدون أن الوقت قد حان لتغيير مبدأ يقوم عليه الطب المعاصر من «علاج الأمراض» إلى «مساعدة الناس على البقاء بصحة جيدة لفترة أطول».

وقال فاديم غوفورين مدير معهد البيولوجيا النظامية والطب في مؤسسة «روس بوتريب نادزور» (الرقابة على حقوق المستهلكين) على هامش مؤتمر العلماء الشباب في مدينة سوتشي الروسية إن الإنسان هو آلة مثالية لا تستطيع مقاومة هجمات الفيروسات والبكتيريا وغيرها من المصائب فحسب، بل بمقدورها تحقيق الإصلاح الذاتي، ويعني ذلك أن الأعضاء التي تتولى التنظيم الداخلي قادرة على منافسة أفضل الإنجازات في مجال المستحضرات وعلم الصيدلة».

ويقول غوفورين إنه على سبيل المثال، يمكن أن تساعدنا الميكروبات المأخوذة من جهازنا الهضمي، بعد أن يتم تعديلها بمساعدة الهندسة الوراثية، فمع عودة الميكروب الذكي إلى جسد صاحبه فإنه سيمنع إخوانه الآخرين عن إثارة الأمراض.

ويجري على قدم وساق العمل على تشكيل تركيبات اصطناعية من الميكروبات التي لا يمكن أن تحل محل البيئات المرضية فحسب، بل وأن تُنتج الفيتامينات والأحماض الأمينية الأساسية وبعض المركبات الشبيهة بالهرمونات. ويقول العلماء إنها ستساهم في تكوين المناعة القوية، وحتى الشيخوخة يمكن أن تتباطأ، لأن بيئة البكتيريا تؤثر على العمليات المرتبطة بالتقدم في العمر.

وخلص العلماء الروس من هذه المقدمات إلى ضرورة البحث في بيئة الكائنات الدقيقة لدى الدب عن مضاد حيوي جديد، مؤكدين أنه من الممكن التوصل إليه.

ومن المعلوم أن الدببة، شأنها شأن البشر، تأكل اللحوم والنباتات، وتشبه بيئتها من الكائنات الحية الدقيقة بيئتنا نحن. إلا أن عدوى البكتيريا لدى الدببة لا تلحق بها ضررا في حال إصابتها بشظية عظم مثلا. ويبدو أن بعض الكائنات الحية الدقيقة تعيش في تجويف فم الدببة، وتعمل كمضاد حيوي، ولا تسمح بتطور الالتهابات، حسب ما استنتج العلماء الروس.

اقتصاد

صندوق النقد الدولي يفتح النار على الفساد والرشوة العابرة للحدود في الشرق الأوسط

ابراهيم نوار

تقول دراسة أصدرتها إدارة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى في صندوق الدولي أن ظواهر الفساد وضعف الحوكمة والرشوة العابرة للحدود تؤدي إلى تضاؤل ثقة الشعب في الحكومة والمؤسسات وإلى زيادة السخط العام، وبالتالي إلى اندلاع الانتفاضات وزعزعة الاستقرار السياسي. وترى أن دول المنطقة ستواجه في عالم ما بعد جائحة كورونا، اختبارات صعبة على مستوى رسم السياسات، وسيتعين عليها كسب ثقة الشعب والحفاظ على التماسك الاجتماعي. وإذا أضفنا إلى تلك الصورة تدهور مستويات المعيشة بسبب ارتفاع التضخم وانخفاض الدخل الحقيقي للمواطنين، وشحة السلع الأساسية في عدد من البلدان التي تعاني من أزمات محلية، فإن الإصلاحات المتعلقة بالحوكمة ومكافحة الفساد تصبح من الأهداف ذات الأولوية الكبرى كما يرى الصندوق في هذه الدراسة.

الدراسة بعنوان: «إصلاح الحوكمة الاقتصادية لدعم النمو الابتدائي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وآسيا الوسطى» وجود فجوات في الممارسات الرقابية، وثغرات في أطر مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب والتهرب من دفع الضرائب، إلى درجة استخدام الرشوة بواسطة الشركات المتعددة الجنسية في تقنين هذا التهرب على حساب المصالح الوطنية للدول المضيفة، خصوصا في قطاعات النفط والسلاح والأدوية والتجارة الإلكترونية، وكذلك في صناعات أساسية مثل صناعات المشروبات غير الكحولية وصناعة المنظفات. وتقول الدراسة إن الأطر التنظيمية مفرطة التعقيد في العديد من البلدان تخلق بيئة معرضة للرشوة وممارسات السعي للكسب الريعي، أي لاستخدام الشركات للأشخاص الذين في أيديهم سلطة اتخاذ القرارات لتحقيق مكاسب استثنائية، بما في ذلك الحصول على الضوء السياسية، ومدى تخصيص الأراضي، أو الحصول على إعفاءات ضريبية وجمركية، أو حتى الحصول على دعم مستتر، مثلما هو الحال مع شركات إنتاج العصائر والمشروبات الحالة التي تحصل على السكر بالأسعار المدعمة، وترفض فرض رسوم الإغراق على السكر المستورد في الحالات التي يلزم فيها ذلك لحماية المنتجين المحليين.

مؤشرات ضعيفة للحوكمة

يرى المواطنون والشركات أن ضعف الحوكمة وانتشار الفساد يمثلان مشكلة خطيرة في المنطقة. وطبقا لرصد المؤشرات العامة فإن بلدان المنطقة تسجل درجات منخفضة فيما يتعلق بجودة الخدمات العامة، والخدمات المدنية التي تقدمها الأجهزة الحكومية، وكذلك في صياغة السياسات وتنفيذها، عن الضغوط السياسية، ومدى استقلالية الحكومات مصداقية التزامها بتنفيذ أهداف سياساتها المعلنة. وانطلاقا من هذا التشخيص المبني على الدراسة الدقيقة، فإن صندوق النقد الدولي يتبنى حاليا وضع معايير لتشجيع الحكومات المستفيدة من القروض، على الالتزام بمعايير مكافحة الفساد والشفافية والحوكمة في كيفية استخدام التمويل من خلال وضع معايير لجودة تصميم السياسات، وكفاءة التنفيذ، والرقابة لضمان إنفاق الأموال بشفافية وكفاءة في الأغراض المخصصة لها، مع التحلي بالمرونة لتعديل السياسات عند الضرورة. وضربت الدراسة مثالا إيجابيا فيما يتعلق بكفاءة إدارة قرض حصل عليه الأردن ضمن آلية التمويل السريع؛ فقد رصدت الحكومة الأردنية أموالا إضافية لاحتواء الجائحة ومعالجة المصابين، وأنشأت صندوقا للطوارئ مربوطا بحساب الخزانة الموحد يخضع للرقابة ويتم الإبلاغ فورا وبشفافية عن تحركات حساباته. كما التزمت الحكومة بنشر خطط المشتريات العامة ذات الصلة، ونشر إعلانات طرح المناقصات ونتائج ترسية العقود على موقعها الإلكتروني، بما في ذلك بيانات ملاك الكيانات المستفيدة التي فازت بترسية العقود. كذلك تم تكليف ديوان المحاسبة بالتدقيق اللاحق لجميع التدفقات الداخلة والخارجة المتعلقة بصندوق مكافحة تداعيات جائحة كورونا.

فساد في الدول المتقدمة

ويعتبر المثال الأردني حالة إيجابية فريدة في التعامل مع القروض التي حصلت عليها العديد من دول المنطقة، سواء ضمن آلية التمويل السريع أو غيرها، فقد حدث في بعض البلدان استخدام هذه القروض لحساب مصالح أجهزة حكومية أو مؤسسات خاصة متواطئة معها، خصوصا في مجالات مثل توريد الأجهزة الطبية أو وسائل التنقل أو إقامة أبنية ومنشآت جديدة، أو حتى صيانة مبان قديمة. وتعتبر العلاقات بين المسؤولين الحكوميين والمقاولين والموردين المعتمدين رسميا بوابة واسعة للفساد الريعي، الذي يحقق تربحا مشتركا لكل من المسؤولين وملاك الكيانات الاقتصادية الخاصة، التي غالبا ما ترتبط بعلاقات حصرية مع أجهزة وصناع القرار. وجدير بالذكر أن هذه الظواهر التي أشار إليها الصندوق موجودة أيضا في دول متقدمة مثل بريطانيا التي تشهد الآن حملة سياسية يقودها حزب العمال لكشف أبعاد فضيحة تربح لصالح ميشيل مون، عضوة مجلس اللوردات تربحت من إسناد توريد ملابس وقاية وأدوات حماية طبية لأطقم العاملين في مكافحة جائحة كورونا في مستشفيات وزارة الصحة. وجاء التربح بطريق الحصول على أمر مباشر بإسناد العطاء إلى شركة أسستها لهذا الغرض، وتم توريد ملابس وأقنعة وأدوات غير صالحة لأغراض الوقاية والحماية الصحية، ما أدى إلى خسارة كبيرة للمال العام. وتستنتج الدراسة أن الاقتصادات المتقدمة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تحصل في الغالب على درجات أقل من نظيراتها في مناطق أخرى من العالم في جميع مجالات حوكمة المالية العامة، خصوصا في مجالات قواعد المشتريات.

وقد سعت دراسة الصندوق إلى تحديد تلك الفجوات وتحليلها من أجل تقديم المشورة للبلدان المعنية فيما يتعلق بالإجراءات الممكن اتخاذها لتحسين الحوكمة، مع مراعاة تباين أولويات الإصلاح بين البلدان حسب ظروف كل منها. وتعتبر الشركات العامة المملوكة للدولة، بما فيها تلك التي تتولى إدارة الثروات الطبيعية مثل النفط والغاز والذهب والفوسفات والبوتاس، وكذلك الشركات التي تقدم خدمات من خلال أطر احتكارية أو شبه احتكارية مثل شركات الكهرباء والمياه والسكك الحديد، إضافة إلى الصناديق السيادية، من أهم المجالات التي تبرز فيها فجوات الفساد وانعدام الكفاءة ونقص الحوكمة. وخلصت الدراسة إلى أن هناك مجالا واسعا لتحقيق مستوى أعلى من الشفافية في أداء المؤسسات المملوكة للدولة، وذلك من خلال توسيع نطاق الفحص الدقيق لعملياتها، وهو ما يمكن أن يساعد على تحسين إيرادات المالية العامة، وزيادة قدرة الجمهور على فهم كيفية تخصيص إيرادات موارد الثروات الوطنية. وقد خلص مسح صادر عن «معهد حوكمة الموارد الطبيعية» إلى أن معظم شركات الشرق الأوسط وآسيا الوسطى التي خضعت للمسح (23 شركة) تفصح عن معلومات جزئية للغاية، وأن 8 شركات منها لا تفصح عن أي معلومات على الإطلاق. ويتسع نطاق عدم الإفصاح في شركات النفط والغاز، حيث أن شركات قليلة منها تفصح عن بياناتها المالية الحقيقية. وينطبق الأمر نفسه على صناديق الثروة السيادية، التي ما تزال هناك مساحة واسعة لتحقيق الشفافية في حساباتها، بما في ذلك قواعد السحب والإيداع والاستثمار والإبلاغ المالي. وقد بلغ مستوى انعدام الشفافية في شركات إدارة الموارد الطبيعية والصناديق السيادية وشركات المرافق الاحتكارية إلى درجة تصنيفها ككيانات اقتصادية خارج نطاق قواعد الرقابة، على اعتبار انها تتمتع ب «حصانة سيادية».

مكافحة الفساد يرفع الكفاءة الاقتصادية

ويمثل تحسين الحوكمة ومكافحة الفساد عاملين أساسيين في معالجة تداعيات جائحة كوفيد–19 وبناء مستقبل أفضل من أجل تحقيق تعافٍ مستدام واحتوائي. فالسيطرة القوية على الفساد في المنطقة، على سبيل المثال، تقترن بارتفاع الإيرادات المحلية، وزيادة كفاءة الاستثمارات العامة، وتحسُّن مخرجات التعليم. ويقترح الصندوق إصلاحات تهدف لتحقيق ما يلي: أولا زيادة الشفافية والمساءلة، وذلك عن طريق زيادة فرص الحصول على المعلومات، بما فيها المعلومات المتعلقة بالموازنة العامة والبنك المركزي، وتوخي الانفتاح والشفافية في عمليات التوريدات الحكومية، مع نشر عقودها والمعلومات المتعلقة بالملاك المنتفعين للكيانات التي تتم ترسية العقود عليها، وتنفيذ ضوابط داخلية قوية ورقابة خارجية على الموارد العامة، بما في ذلك عن طريق التدقيق المحاسبي المستقل، وزيادة المساءلة في المؤسسات المملوكة للدولة، وتعزيز نظم إقرار الذمة المالية. ثانيا: تبسيط القواعد المالية ودقة إنفاذها في أعمال المؤسسات التي ترتكز عليها المالية العامة، وما يرتبط بها من قواعد ولوائح تنظيمية للإدارة المالية العامة، ومن ثم رفع درجة كفاءتها. وتقول دراسة الصندوق أن من شأن تبسيط إجراءات الأعمال أن يساعد على الحد من الروتين الإداري ، ومواطن التعرض لمخاطر الفساد، وتحسين مناخ الاستثمار كما هو الحال بتحسين إنفاذ القواعد ووضع إطار معزز للرقابة المالية. ثالثا: تعزيز إطار مكافحة الفساد باعتماد قوانين وقواعد تنظيمية، والاستناد إلى الاتفاقيات الدولية والممارسات السليمة، وإنشاء مؤسسات فعالة لإنفاذها، وتعزيز أطر مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، وتيسير تبادل المعلومات على المستويين الداخلي والدولي. ويعد الالتزام رفيع المستوى والمشاركة من الأطراف المعنية على المستوى الوطني، لا سيما دوائر الأعمال، والنقابات، ومنظمات المجتمع المدني، بمثابة عاملين أساسيين لنجاح تنفيذ الإصلاحات الطموحة والمستدامة. كذلك بإمكان الرقمنة أن تُحْدِث تحولا في الخدمات الحكومية والعلاقات مع دوائر الأعمال والأفراد، ومن ثم زيادة الشفافية والكفاءة والمساءلة والثقة الشعبية.

ويدعم صندوق النقد الدولي بلدان منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى من خلال إسداء المشورة بشأن السياسات وتنمية القدرات بغية تعزيز الحوكمة، لا سيما في مجالات حوكمة المالية العامة، والرقابة على أنشطة البنوك المركزية والقطاع المالي، ومكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، والإحصاءات. ومع صدور الموافقة على إطار عمل الصندوق المعزز للإنخراط في أنشطة الحوكمة في عام 2018 باشر الصندوق بتوسيع نطاق أعماله الرقابية لتشمل جوانب الفساد عبر الحدود الوطنية ومنها رشوة المسؤولين الأجانب وإخفاء عائدات أعمال الفساد.

غزة: البدء بتصدير الذهب الأحمر إلى أسواق الضفة وأوروبا بعد وفرة المحصول

إسماعيل عبدالهادي

يشكل موسم جني ثمار الفراولة أو ما يسميه المزارعون في غزة بالذهب الأحمر طوق نجاة للمزارعين، كونه يوفر مصدر دخل وفيرلهم، من خلال تصدير كميات كبيرة من المنتج إلى أسواق الضفة الغربية وأوروبا. حيث تعتبر مدينة بيت لاهيا شمال قطاع غزة، موطن زراعة النبتة فالتربة الخصبة والمياه العذبة للمدينة، منحها الأفضلية عن باقي أراضي قطاع غزة في إنتاج الفراولة بجودة عالية ومواصفات عالية.

ويبدأ موسم زراعة الفراولة مطلع أيلول/سبتمبر من كل عام، ويشرع المزارعون في قطفه مطلع كانون الأول/ديسمبر وحتى أواخر آذار/مارس. ويعتمد نجاح زراعة الفراولة على عوامل عدة تتعلق بنوع البذرة والتربة، وموعد الزراعة والمياه المستخدمة، إضافة إلى طرق العناية والمتابعة منذ البداية وحتى الحصاد.

ويوجد في قطاع غزة 3600 دونم مزروعة بنبات الفراولة، وتوفر هذه المساحات الزراعية الكبيرة فرص عمل لكثير من الشباب خلال موسم الحصاد، إذ أن الدونم الواحد يحتاج لأكثر من عشرة عاملين على الأقل، وذلك يساهم في الحد من معدلات البطالة المرتفعة في قطاع غزة، والتي وصلت حسب آخر البيانات الصادرة عن مركز الإحصاء الفلسطيني إلى 53 في المئة.

وتتنوع طرق زراعة الفراولة في قطاع غزة بأشكال متعددة، حيث استحدث المزارعون قبل سنوات قليلة طرقا حديثة بأقل تكلفة في تطوير زراعة محصول الفراولة، حيث نجح مزارعون في غزة وبدعم من منظمة الفاو الدولية، في زراعة الفراولة بالطريقة المعلقة، وهذه هي التجربة الأولى التي يتم تطبيقها في القطاع وسجلت نجاحا كبيرا، بعد الحصول على منتج وفير بعكس الزراعة الأرضية، كما أن مزارع الفراولة المعلقة في غزة باتت مناطق سياحية، تجذب المواطنين إليها للتمتع بأشكال الفراولة المعلقة، فهناك إقبال واسع على زيارة المزارع من قبل المواطنين رغبة منهم في الخروج من الضغوط الحياتية، والاستمتاع بجلسات هادئة وسط طبيعة خلابة، كما يسمح أصحاب المزارع للزوار بالتقاط حبات الفراولة المعلقة من أغصانها.

ويقول المزارع عاطف ورش أغا الذي يمتلك 9 دونمات مزروعة بمحصول الفراولة في مدينة بيت لاهيا، إن المحصول هذا العام سجل إنتاجا وفيرا عن الأعوام السابقة، وهذه الوفرة في الإنتاج ساعدتنا في تجهيز كميات كبيرة، استعدادا لتصديرها إلى أسواق الضفة الغربية والأسواق الأوروبية.

وأوضح لـ«القدس العربي»: أن وزارة الزراعة في غزة ساعدت أصحاب المحاصيل الزراعية في حماية أشتال الفراولة من الأمراض الفطرية، التي تقضي على الأشتال من خلال متابعة الموسم وتزويدهم بالمبيدات الزراعية من أجل حماية المنتج، كما أتاحت الجمعية التعاونية الزراعية للمزارعين، فرصة زيادة المساحات المزروعة بعد أن مكنتهم من تجميد الفائض في ثلاجات خاصة.

وأشار إلى أن فكرة الزراعة المعلقة زادت من المساحات الزراعية، كما سببت وفرة بالإنتاج وقللت من تكلفة احتياجات الزراعة، من خلال تقليل كميات المياه التي تحتاجها طريقة الزراعة المعلقة، إلى جانب حماية المحصول من التعرض للأمراض الفطرية التي تنتقل من التربة.

ويأمل المزارع أن تسير عملية التصدير من دون أي عوائق مفاجئة قد تضعها إسرائيل على عملية التصدير عبر معبر كرم أبو سالم الإسرائيلي، فهناك فرصة جيدة للربح هذا العام لتسويق كميات وفيرة من المنتج، وتحقق لنا كمزارعين دخلا ماديا وفيرا، يعوض الخسائر التي تلقيناها خلال السنوات الماضية من جراء منع الاحتلال تصدير محصول الفراولة.

من جهته أكد المتحدث باسم وزارة الزراعة في غزة أدهم البسيوني أن محصول الفراولة هذا العام سجل وفرة في الإنتاج، حيث وصلت الكميات إلى 11 ألف طن، وهذه الكمية لم تسجل من قبل، ويعود ذلك إلى عدة عوامل أهمها، المتابعة الدائمة من قبل الوزارة للمساحات الزراعية ومكافحة الأمراض التي تصيب المحصول، إلى جانب توسيع المساحات الزراعية واستحداث طرق جديدة في الزراعة، إضافة إلى أن تجميد الفراولة ساهم في تشجيع المزارعين على توسعة المساحات المزروعة، فلم يعد المزارع لديه تخوف من تكدس الأسواق المحلية بالفراولة، وجميع هذه العوامل زادت من كمية الإنتاج.

وبين لـ«القدس العربي»: أن نصف إنتاج غزة من الفراولة مخصص للتصدير، والنصف الآخر لتغطية حاجة السوق المحلي في القطاع، ويبدأ موسم التصدير منتصف كانون الأول/ديسمبر، حيث بدأت الوزارة بتجهيز ما يقارب من 350 طنا استعداداً للتصدير إلى أسواق الضفة الغربية، ويتم تجهيز كميات أخرى لتصديرها إلى الأسواق الأوروبية خلال الأيام المقبلة.

وأوضح أن أبرز التحديات التي تواجه مزارعي الفراولة، تتمثل في إغلاق سلطات الاحتلال معبر كرم أبو سالم بصورة مفاجئة أوقات الحصاد، إذ يضطر المزارع إلى بيع إنتاجه بسعر أقل من التكلفة في السوق المحلي، ما يترتب على ذلك خسائر كبيرة تؤثر على دخل العمال الذين يعملون في هذه المهنة الموسمية.

مدن وآثار

بلدة عين وزين اللبنانية تراث حضاري عريق وتاريخ محفور بالصخر

عبد معروف

عين وزين، بلدة بيئية وسياحية لبنانية، يمتزج فيها جمال الطبيعة الساحرة مع التاريخ والتراث الحضاري والإنساني ما جعل منها منطقة مميزة يقصدها الموطنون اللبنانيون والسواح العرب والأجانب لما فيها من طبيعة خلابة ومعالم أثرية وتراثية ومؤسسات طبية.

تتنوع بيوتها بين قديمة وحديثة، ويختلط فيها فن العمارة التقليدي مع البناء الحديث، ليجمع في مكان واحد، الماضي العريق والمستقبل الواعد.

تحمل بين أزقتها تراثًا قديما وطابعا يختلف عن باقي القرى اللبنانية، ومغارتها المكتشفة حديثا واحدة من التحف الجمالية الطبيعية، التي يشتهر بها لبنان.

تقع عين وزين في قضاء الشوف، محافظة جبل لبنان، والشوف هو أحد أقضية محافظة جبل لبنان الستة، يشكل مجرى نهر الدامور حدوده الشمالية، ومجرى نهر الأولي حدوده الجنوبية، ويمتد من شواطئ البحر الأبيض المتوسط في الغرب صعودا نحو قمم جبل الباروك على ارتفاع ألفي متر لتشكل حدوده الشرقية، حيث تبلغ مساحته 495 كيلومترا مربعا أي 4.7 في المئة من المساحة الاجمالية.

وتبعد بلدة عين وزين عن العاصمة اللبنانية بيروت حوالي خمسين كيلو متراً، وعن بيت الدين مركز القضاء، حوالي ثمانية كيلو مترات، وترتفع عن سطح البحر بين ألف وألف ومئة متر، أما مساحة أراضيها فتبلغ خمسمئة هكتار (5 كيلو مترات مربعة).

أبواب خشبية وفرن على الحطب

يتنوع الفن المعماري في بلدة عين وزين بين القديم والحديث وتتزين بيوتها بتاج القرميد الأحمر، الذي يشكل مع المساحات الخضراء الواسعة تحفة فنية، وقد ساهمت الغابات الكثيفة حول البلدة باعتدال المناخ، ما جعلها مقصدا للسياحة الطبية بسبب هوائها النقي المنعش.

تتعدد الأماكن التراثية والمعالم الأثرية في بلدة عين وزين، وهي تعود إلى حقب وحضارات متعددة، ففيها عين مياه أثرية، ونواويس رومانية، مغاور وآبار قديمة، معاصر دبس وزيت الزيتون، مدافن قديمة العهد محفورة بالصخر، بالإضافة إلى بيدر الجامع وسط البلدة.

المواقع السياحية الطبيعية في لبنان التي تستحق الاكتشاف. فهي تقع في بلدة عين وزين في قضاء الشوف، وتبعد عن بيروت 54 كم، أما ارتفاعها عن سطح البحر فيصل إلى حوالي 1040 م.

وبالإضافة إلى موقعها المميز في قلب الطبيعة الساحرة، فهي تتمتع بأهمية علمية وتاريخية وجيولوجية تسمح باكتشاف غرائب العالم تحت سطح الأرض.

اكتشفت المغارة في العام 2003 عن طريق الصدفة، واستمر العمل فيها لمدة ثلاث سنوات حتى ظهرت على مساحتها الحالية التي تصل الى 425 م2. فافتُتحت حينها أمام الزوّار الراغبين باكتشاف عجائب الطبيعة في لبنان.

تضم المغارة مجموعة من الممرات والتجاويف والقاعات والأقبية المختلفة العرض والارتفاع. ولقد نتجت هذه التكوينات الطبيعية بفعل تخزين المياه وضغطها في الطبقات الجوفية للصخر. كما وتزين المغارة أشكال مختلفة ومتميزة من الصواعد والنوازل، وغيرها من التكوينات الصخرية المتدلية والتي جعلتها تبدو كلوحة فنية جميلة.

استغرق تشكيل كل سنتمتر واحد من هذه التكوينات الجيرية الطبيعية المتنوعة 500 سنة. وحسب تقدير الخبراء فلقد تشكلت المغارة منذ 25000 سنة وذلك بعد تحوّل المياه عنها طبيعياً. تحتوي مغارة عين وزين من على تكوينات جيرية جميلة في ممراتها وجوانبها. وهي تضم أقنية وسراديب ضيقة لا يتعدى عرضها مترين في بعض الأماكن بارتفاع أقصاه متر، ولقد نحتتها المياه بصمت في جوف الأرض على مرّ السنين. كما أن انهيار الطبقات الكلسية داخل المغارة أدى إلى تشكيل صالات متوسطة وصغيرة.

يؤدي بك مدخل المغارة نزولاً إلى قاعة لا تتعدى مساحتها ثلاثة أمتار، يمكن التوجه منها شمالاً عبر نفق يصل عرضه إلى مترين تقريباً بطول 26 متراً، ينتهي عند بركة ماء رائعة بطول نحو ستة أمتار وعرض متر ونصف. كما ويتفرع من النفق عدة ممرات تتسع حيناً وتضيق حيناً آخر، ويبلغ طول الممرات المخصصة للزوار 185 متراً.

يعدّ الدخول الى المغارة سهلاً نسبياً، وتستغرق مدة زيارتها نصف ساعة تقريباً. يستطيع الزائر خلالها مشاهدة التماثيل الكلسية الجميلة، والشموع المتدلية التي نحتتها قطرات المياه، والممرات والتشكيلات الصخرية وبرك الماء وذلك على أنغام موسيقى طبيعية تعزفها قطرات الماء المتساقطة من كل صوب.

دراسة التكوين الجيولوجي

تستقبل المغارة الوفود السياحية وخصوصاً طلاب المدارس والجامعات، حيث تُنظم جولات علمية تسمح بالتعرف إلى أهمية المغارة العلمية والتاريخية، حيث إن امتدادها العميق تحت الأرض يساعد في دراسة التكوين الجيولوجي المحلي. كذلك يقصد المغارة طلاب الفنون والرسامون والنحاتون للحصول على مصدر إلهام يمكنهم من إنتاج الأعمال التي تعكس روح الجمال الطبيعي للبلاد.

تعتبر مغارة عين وزين معلماً سياحياً مقصوداً في محيط طبيعي جميل إضافة إلى العامل العلمي والتاريخي وينطبق عليها مبدأ السياحة الجوفية المستدامة بما تمثله كنافذة على العالم الجوفي.

وإضافة إلى جمالها فهي إحدى المغر المعروفة حتى الآن في لبنان من ناحية تنوع التكوينات الكارستية. وتسمح تكويناتها الكلسية المتواجدة في ممراتها وجوانبها بتسيير رحلات علمية إليها لطلاب المدارس والجامعات بسبب وضوح كل العوامل الجيولوجية فيها. كما يمكن إجراء دراسات علمية حول معالمها التكوينية.

وأشار الباحث الدكتور ناجي سري الدين إلى أن تاريخ بلدة عين وزين، حتما هو مرتبط بتاريخ لبنان عامة، فما شهدته البلدة من غزوات وحضارات قديمة أو حديثة، هو ما شهده لبنان وربما المنطقة، لكن كان لبلدة عين وزين، مكانة خاصة، بسبب موقعها في منطقة الجبل، وكان أهلها دائما يندفعون للعمل والإنتاج.

وأضاف الدكتور سري الدين لـ«القدس العربي» أنه «تشير معالمها وصخورها ومغارتها إلى أن لهذه البلدة تاريخ حضاري واسع، فإلى جانب طبيعتها الجميلة فإن بيوتها القديمة وصخورها والبقايا الأثرية الموزعة في أرجائها جعلت منها بلدة تروي حكايا تاريخ قديم عاشته بشكل مميز، كما أن المباني الحديثة في عين وزين، تؤكد حسب أهلها حب الحياة والفرح والتطور».

وقال الدكتور سري الدين، إن «زائر عين وزين تدهشه معالمها وطبيعتها وأهلها الطيبين، ويتوقف عند مروره في الطرقات والساحات والأزقة أمام بيوتها القديمة التي شيدت بالصخور الضخمة منذ مئات السنين».

وختم قائلا، الأشجار الموزعة إلى جانبي الطرقات الرئيسية والفرعية، بالاضافة إلى أحواض الورد أمام المنازل والمؤسسات العامة، غابات الأشجار التي تحيط في البلدة، تمنح عين وزين جمالا مميزا يدهش الزائر.

وتشير الوثائق في مكتبة دار بلدية عين وزين، إلى تاريخ هذه البلدة وما فيها من معالم تاريخية تروي حكاية العصور القديمة، بالإضافة إلى وجود الكثير من المباني والمعالم التاريخية، واعتبر شادي سميح الحسنية، رئيس البلدية أن عين وزين هي أيضا صرح طبي لما تتمتع به من هواء نقي، ووجود مستشفى طبي عريق يعالج مختلف الحالات المرضية بما فيها معالجة المدمنين على المخدرات.

وأضاف، كما تتميز البلدة بطبيعتها الخلابة، وقال، شكلت الزراعة جزءا من تاريخ عين وزين الاقتصادي، حيث الأشجار المثمرة والبساتين المكسوة بالخضار إلى جانب المعالم الأثرية والتراثية، مؤكدا أن المغارة التي اكتشفت عام 2003 هل المعلم الأبرز داخل البلدة.

واعتبر الحسنية بلدة عين وزين من البلدات العريقة في قضاء الشوف وجبل لبنان، وعراقتها تعود إلى تاريخها القديم، التي تؤكده معالمها الأثرية، وتذكره كتب التاريخ، إضافة إلى موقعها الجغرافي المنيع والمتوسط لعدد كبير من القرى والبلدات المحيطة، ويمتاز هذا الموقع بغاباته وبمياهه الغزيرة، المتمثلة بعيون الماء المنتشرة فيها وفي محيطها والتي كانت تشكل مصدر استقطاب للسكن والإقامة، وعاملاً أساسياً في تشكيل التجمعات البشرية.

يحتوي مستشفى عين وزين الذي أصبح «عين وزين ميديكال فيليدج» مركزا لرعاية المسنين، ومركزا للتأهيل، ومركزا للعناية المنزلية، ومركزا للأمراض السرطانية، وللعناية الطبية الملطفة. إضافة إلى مركز الرعاية الصحية الأولية في بيت الدين والذي تديره المستشفى. وكذلك ينضم مستشفى الجبل إلى مستشفى عين وزين لأن العمل الصحي في الجبل يجب أن يكون في إطار التعاون والتكامل الصحي المؤسساتي. وهذه نقطة مهمة جداً فالعمل الاستشفائي لمستشفى عين وزين لا يتضارب مع المستشفيات الباقية إنما متكامل معها. أما النقطة الرئيسية الثانية: المفهوم العام للمؤسسة وهو تكامل الخدمات الطبية التي تبدأ بالعناية الصحية الأولية والطب الوقائي وتنتقل منها للعمل الاستشفائي الشائع، يضاف إليه العمل الاستشفائي المتطورالذي يتمثل بأقسام متطورة تقنياً ومهنياً منها على سبيل المثال مركز الأمراض السرطانية الذي يضم العلاج الكيميائي والعلاج بالأشعة، ومركز غسيل الكلى، ومركز جراحة القلب والشرايين والقسطرة، ومركز عناية فائقة عامة، بالإضافة للعناية الفائقة القلبية وعناية فائقة خاصة بالأطفال وحديثي الولادة.

بين حكايات وأسرار القلاع والبيوت القديمة والقصور، تبقى بلدة عين وزين في قضاء الشوف جبل لبنان، القداسة والسحر، شاهدة على تاريخ محفور في الصخر، كل ما فيه يعيد إلى الزمن الغابر، حيث تتحول الأساطير إلى حكايات مجد ما زال عبقها يفوح حتى اليوم.

عام 2003 تم اكتشاف مغارة عين وزين، وهي واحدة من المغاور السياحية العديدة التي اكتشفت حديثا في لبنان.

وورد في كتاب «أخبار الأعيان في جبل لبنان» أن أصل إسم عين وزين هو عين أوزي، وكلمة أوزي هي كلمة تعود إلى اللغة السريانية وتعني الرم، ليصبح الاسم عين الرمح، وتبدل الاسم مع مرور الزمن ليصبح عين وزين أي العز والجمال.

أما في كتاب «أسماء المدن والقرى اللبنانية» فقد أشار المؤلف الأديب أنيس فريحة، إلى أن أصل كلمة عين وزين، هو عين الوز.

مغارة عين وزين

تعتبر مغارة عين وزين من

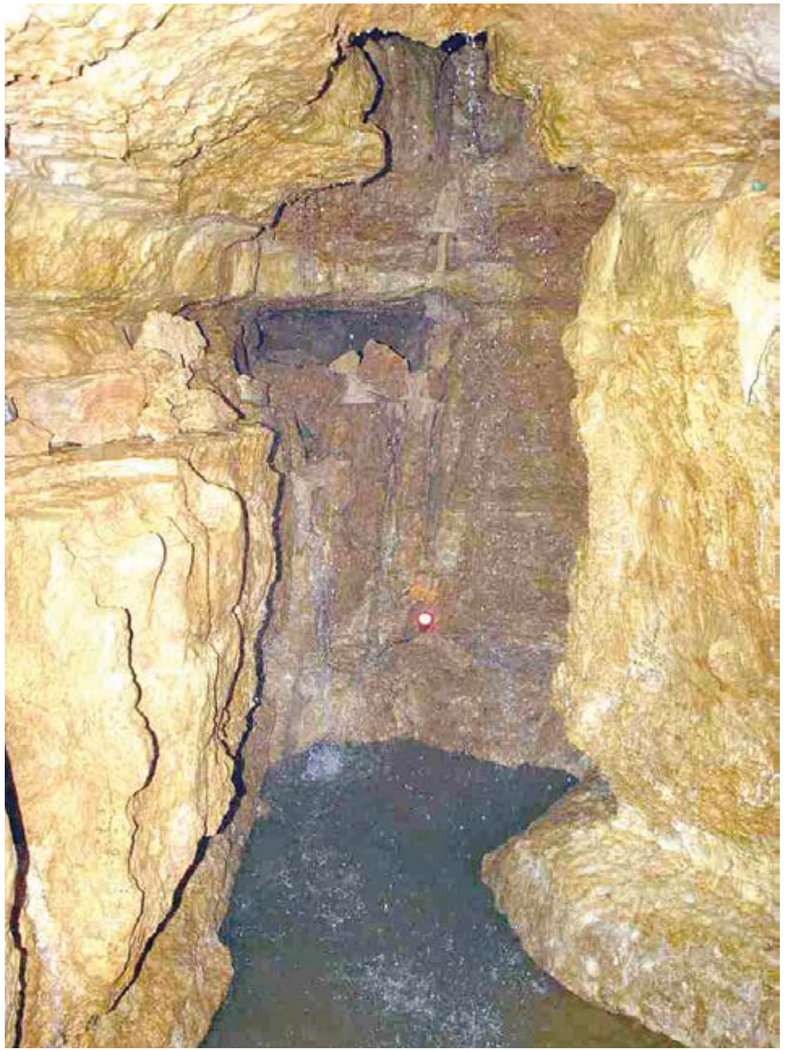

موريتانيا: المطالبة بإصدار قانون للقضاء على العنف الخطير والمستفحل ضد النساء

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

العمل على إزالة الأسباب المؤدية للعنف ضد النساء والفتيات، ومنحهن التمكين الاجتماعي والاقتصادي، والرفع من مستوى مشاركة المرأة، واستصدار أشد العقوبات على مرتكبي جرائم العنف ضد النساء والفتيات، وسد الباب أمام ظاهرة الإفلات من العقاب، توصيات من أخرى أسفرت عنها ندوة حوارية نظمها المرصد الوطني لحقوق المرأة والفتاة حول ضرورة القضاء على العنف ضد النساء والفتيات بحضور علماء وقضاة وناشطات في المجتمع المدني.

وأكدت توصيات هذه الندوة بين أمور أخرى، على ضرورة الإيمان بحقوق النساء والفتيات وخاصة الحق في التمكين بالتعليم وبالتوظيف وبالتمويل، وضرورة تنظيم برامج شاملة ترفع من مستوى الوعي بخطورة العنف بجميع أشكاله ضد النساء والفتيات، مع الانسجام التام مع القرارات والإعلانات والاتفاقيات والتوصيات الصادرة عن الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة الرامية إلى القضاء على العنف ضد المرأة والفتاة بكافة أشكاله، من خلال تقديم مشروع قانون القضاء على العنف وتسريع إجراءات العمل بتنفيذه. وأكدت الهيئات المشاركة في الندوة على «تمكين المرأة الموريتانية وتقليص الهشاشة التي تكتنف وضعها، والقضاء على التقصير الحاد في تطبيق المعاهدات الدولية الخاصة بالمرأة التي صادقت عليها موريتانيا، والوقوف في وجه مرتكبي جرائم العنف والاغتصاب والتحرش ضد النساء والفتيات، وضمان معاقبة ناجزة في حقهم».

وتضمن البيان الختامي للندوة الحوارية المطالبة بتضمين قضية مناهضة العنف والتمييز ضد النساء والفتيات في سائر الجهود، وجعلها جزءا أساسيا من التشريعات والخطط والبرامج والمشاريع والسياسات الوطنية، مع محاربة الجذور الثقافية لجميع ممارسات التمييز والعنف ضد النساء والفتيات، وحث القضاة على العناية التامة بالملفات المتعلقة بالعنف ضد النساء والفتيات، ومتابعة تنفيذ الأحكام الصادرة بخصوصها.

وتحدثت مهلة أحمد طالبنا رئيسة المرصد الوطني لحقوق المرأة والفتاة في مداخلة أمام الندوة عن تنامي ظاهرة العنف والتستر عليه، وذكرت من ذلك تكرر الاعتداءات الجنسية والبدنية بالإضافة إلى التهديد والإكراه والحرمان والتحكم في مصير الدراسة والزواج والعمل ومستقبل الفتيات من خلال العنف التربوي والنفسي واللفظي، والعادات والتقاليد المسيئة للنساء والفتيات، وانتشار ثقافة التعالي على المرأة والانتقاص من شأنها وحقها.

وقالت «لا يزال هناك ضعف في الخطابات الرسمية وفي ولوج المرأة إلى مراكز القرار والقصور الواضح في التمثيل السياسي والقضائي، رغم جهود الحكومة لترقية المرأة وتمكينها ورغم تعاليم الدين الحنيف».

وأكدت النائبة البرلمانية سعداني خيطوره على أن ما يمارسه المجتمع الذكوري التقليدي من ظلم على المرأة يستدعي من المسؤولين إعطاء القاضي منظومة قانونية تمكنه من الدفاع عن المرأة.

وشددت النائبة على أهمية ذلك في تمكين المرأة من الدفاع عن حقوقها، وصرحت بأن هناك قوى تقليدية وسياسية تمنع سن تلك القوانين لتظل المرأة الحلقة الأضعف.

وتحدث مدير دراسات التشريع والتعاون، الدكتور هارون ولد إديقبي عن مجموعة من الثغرات في الترسانة القانونية المطروحة أمام القضاة، وذكر الحاجة الماسة إلى سد تلك الثغرات لأنها ستضع نهاية للعنف ضد النساء والفتيات، حسب قوله.

ودقت ممثلة الاتحادية الموريتانية للمعاقين آمنة محمد المختار ناقوس الخطر إزاء العنف المضاعف الذي تعاني منه النساء ذوات الاحتياجات الخاصة بسبب إعاقتهن ومن ذلك العنف المعنوي والوظيفي الذي لا يزال مستمرا والحرمان من الترقية والمناصب العليا.

وأجمعت ممثلات المنظمات الموريتانية الناشطة في مجال محاربة العنف ضد والنسائي تحدثن خلال الندوة على «أن العنف ضد المرأة الموريتانية يتطور بشكل مخيف سنة بعد أخرى».

ويؤكد تقرير لرابطة النساء الموريتانيات معيلات الأسر حول ظاهرة العنف ضد المرأة على «أن العنف في المجتمع الموريتاني مرتبط ارتباطا وثيقا بالمستوى التعليمي، إذ كلما انخفض هذا المستوى ارتفعت نسبة التعرض للعنف الزوجي».

ويشير التقرير إلى أن نسبة النساء الأميات اللواتي تعرضن للعنف الزوجي في حياتهن تتجاوز 46 في المئة من المتزوجات، وتتناقص النسبة لدى اللواتي حصلن على مستوى تعليمي ابتدائي لتبلغ 30 في المئة، وكلما رفعت المرأة مستواها التعليمي، تناقصت حصتها من العنف الزوجي، حيث بلغت نسبة اللواتي تعرضن للعنف على يد أزواجهن من ذوات المستوى التعليمي الإعدادي 11 في المئة، وتبلغ النسبة 7 في المئة لدى صاحبات المستويات التعليمية الثانوية، في حين لا تتجاوز نسبة الجامعيات اللواتي يتعرضن للعنف الزوجي 1 في المئة.

وأكد على «أن الظاهرة معقدة ومتشابكة الأمر الذي يتطلب الوقوف على مختلف المتغيرات المرتبطة بها، والمؤثرة فيها، كالأساليب التربوية وصياغة مفاهيم تعزز مكانة كل فرد في الحياة الاجتماعية سواء كان ذكرا أو أنثى، مع نشر ثقافة السلم والأخوة والرأفة بين الأفراد حتى تساهم المرأة والرجل في بناء الحضارة الإنسانية في ظل الاستقرار والسلم».

شوربة الحمص

المكونات

كوب حمص حب، منقوع بالماء خلال الليل
2 بصل مقطع إلى شرائح
8 فص ثوم مقطع
فلفل حار صغير مقطع
نصف كوب باقة كزبرة مفرومة
2 ملعقة صغيرة ملح
ملعقة صغيرة بهار
ملعقة صغيرة حبات خردل مطحونة
ملعقة كبيرة زيت زيتون
ربع كوب عصير ليمون حامض

طريقة التحضير

نسلق الحمص في 8 أكواب من الماء لمدة ساعة على نار متوسطة. نصفّيه من الماء ونعيده إلى القدر.

نقلي البصل، والثوم والفلفل الحار بالزيت حتى يصبح لونهم بنياً، ثم نضيفها مع المكونات الباقية إلى الحمص المسلوق.

نغطي القدر ونستكمل عملية الطهي لمدة ساعة أو أكثر حتى تنضج حبات الحمص جيداً.

نقدم الشوربة ساخنة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

ما هي الفواكه التي تحتوي على نسبة قليلة من السكر؟

في حين أن الفاكهة يمكن أن تكون إضافة غنية بالعناصر الغذائية لنظام غذائي صحي ومتوازن، لا يدرك كثيرون أن الفواكه باختلاف أنوعها تحتوي على كميات مختلفة من السكر. تعرف هنا على بعض أنواع الفاكهة قليلة السكر!

تناول الفاكهة هي طريقة صحية لإضافة الفيتامينات الأساسية والمعادن والألياف والماء إلى نظامك الغذائي.غير أن بعض أنواع الفاكهة، مثل الموز والعنب والكرز، تحتوي على نسبة عالية من السكريات الطبيعية (الفركتوز) مقارنة بغيرها من الفواكه.

وإذا كنت تتبع نظاما غذائيا منخفض السكر أو منخفض الكربوهيدرات، فمن المهم معرفة كمية السكر في الفاكهة التي تتناولها.

فيما يلي مجموعة من الفواكه قليلة السكر ولكنها غنية بالمغذيات والفوائد الصحية:

الخوخ: على الرغم من حلاوته، إلا أن حبة خوخ متوسطة الحجم تحتوي فقط على حوالي 13 غراما من السكر. و«الخوخ مصدر جيد لفيتامين «سي» وكذلك مادة «بيتا كاروتين»،وهي مضادة للأكسدة، ويمكن أن تقلل من تلف الخلايا وتدعم الصحة العامة» حسب ما قاله جو كننغهام، اختصاصي التغذية والمدير الإكلينيكي لمستشفى «الصحة الجيدة.

ويعتبر الخوخ أيضا مصدرا للبوتاسيوم، الذي يلعب دورا رئيسيا في وظيفة العديد من أعضاء الجسم وكذلك نظامنا العصبي.

الفراولة: فاكهة لذيذة وجميلة، وبالإضافة إلى كونها مصدرا جيدا لفيتامين سي وللألياف، تحتوي ثماني حبات فراولة متوسطة الحجم على حوالي 8 غرامات من السكر فقط. كما تحتوي على مجموعة من العناصر الغذائية المفيدة للوقاية من السرطان وتعزيز صحة القلب.

البلاك بيري (التوت الأسود): فاكهة مليئة بالمواد الكيميائية النباتية المفيدة، المضادة للالتهابات والميكروبات. كوب واحد من التوت الأسود (البلاك بيري) يحتوي على 7 غرامات فقط من السكر. كما أن التوت الأسود مصدر جيد للألياف والفيتامينات «سي» و«إي» و«ك».

الغريب فروت: خيار رائع لوجبة الفطور، نصف حبة غريب فروت تحتوي على 8.5 غرام من السكر. وحسب دراسة نشرت في مجلة «Journal of Medicinal Food» فإن تناول نصف حبة غريب فروت قبل الوجبات يساعد في فقدان الوزن.

ولكن هناك ملاحظة هامة، إذ إن الغريب فروت يتداخل مع امتصاص بعض الأدوية مثل أدوية الكولسيترول أو خفض ضغط الدم. لذا من الأفضل استشارة الطبيب قبل إضافتها إلى نظامك الغذائي.

التفاح: تحتوي تفاحة واحدة متوسطة الحجم على 19 غراما من السكر. وتتكون هذه الفاكهة من حوالي 86 في المئة ماء. إضافة إلى العناصر الغذائية المتنوعة في التفاح، فإنه يساعد في النوم وحالات الإمساك. حسب ما نشره موقع «لايف ساينس».(Dw)

الحمل
يرضيك وضعك العاطفي

الثور
ابتعد عن التعالي والغرور

الجوزاء
انظر إلى من حولك بطريقة إيجابية

السرطان
تروّج لأفكار جديدة في العمل

الاسد
تعيش أوقاتا من والسعادة والمرح

العذراء
استغل يومك وطاقتك في العمل

الميزان
لا تبالغ في كل شيء وكن معتدلاً

العقرب
لا تدع الآخرين يؤثرون في قراراتك

القوس
لديك الفرصة للتقدم في عملك

الجدي
تفرض عليك الظروف بعض الخضوع

الدلو
تحصل على مكانة رفيعة في عملك

الحوت
تبدو اليوم خائفا ومضطربا

جديد الطب

رابامیسین هل يصبح أكسير الشباب؟

يعتبر عقار رابامیسین مرشحاً واعداً لأن يكون فعالاً في إطالة عمر الإنسان. لكن دراسة جديدة أجريت على ذباب الفاكهة تشير إلى أن الجنس البيولوجي للكائن الحي يمثل على ما يبدو عاملاً حاسماً في فعاليته، وأنه قد لا يكون صالحاً في هذا الإطار للذكور.

وخلال الدراسة التي نشرت في مجلة «نيتشر إيجينغ» وجد الباحثون، أن العقار الواعد أدى إلى إبطاء تطور التغيرات المرضية المرتبطة بالتقدم في العمر في القناة الهضمية عند إناث الذباب فقط، وخلصوا إلى أن الجنس البيولوجي هو عامل حاسم في فاعلية الأدوية المضادة للشيخوخة، بحسب ما نشره موقع «إن تي فاو» الألماني.

وعلى مر الزمن، كانت حبوب إطالة العمر هي حلم طال انتظاره للبشرية. ومؤخراً بدأ الأمل يتصاعد في هذا المجال خاصة مع ظهور عقار رابامايسين، من بين أمور أخرى.

ومادة رابامیسین تبطئ تقدم الخلايا في العمر وهي منظم مناعي، وتم استخدام العقار حتى الآن مع البشر لعلاج السرطان وبعد زراعة الأعضاء. لكن في التجارب على الحيوانات، لاحظ الباحثون بالفعل أن رابامیسین ساعد الفئران على العيش لفترة أطول.

ومع ظهور نتائج تلك الدراسة، بدأ التفكير بشكل كبير في ما إذا كان يمكن للبشر الاستفادة أيضاً من تأثير هذا العامل المرشح لأن يكون مضاداً للشيخوخة. ومع ذلك، فإن الباحثين في معهد ماكس بلانك لبيولوجيا الشيخوخة في كولن وجامعة لندن يكتشفون الآن اكتشافاً آخر: يمكن للجنس البيولوجي أن يلعب دوراً مهماً في فعاليته.

وحسب الدراسات فإن العمر المتوقع للمرأة أعلى بكثير من متوسط عمر الرجل. ومع ذلك، تعاني النساء أيضاً بشكل متكرر أكثر من الأمراض المرتبطة بالعمر والآثار الجانبية غير المرغوب فيها للأدوية.

يقول يو غوان لو أحد اباحثين المشاركين في الدراسة: «هدفنا على المدى الطويل هو أن يعيش الرجال مثل النساء وأن تظل النساء يتمتعن بصحة جيدة في سن الشيخوخة مثل الرجال. ولكن للقيام بذلك، نحتاج إلى فهم مصدر الاختلافات» وفقًا لبيان صادر عن معهد ماكس بلانك.

لكن ما هو سبب اختلاف تأثير العقار بين الجنسين؟ اكتشف الباحثون أن عقار رابامیسین يزيد من نشاط نظام إعادة التدوير الداخلي للخلايا المعوية في إناث ذباب الفاكهة، ولاحظ الباحثون أن رابامیسین يزيد من وتيرة الالتهام الذاتي، وهي عملية التخلص من فضلات الخلية، في الخلايا المعوية الأنثوية.

وفي الفئران، أثبتت الدراسات أن إعطاء العقار بكميات صغيرة يساعد على تنبيط بروتين يسمى «mTOR» الأمر الذي ساعد على تنظيم استجابة الخلايا في إناث الفئران للمغذيات والتوتر والهرمونات وعلاج الأضرار، مما يجعل البعض يصفها بأنها إكسير محتمل للشباب المحتمل.

وقالت ليندا باوتريدغ، الباحثة المشاركة في الدراسة إنه «يمكن أن يكون عاملاً حاسماً لفاعلية الأدوية المضادة للشيخوخة، وفهم العمليات الخاصة بالجنس وتحديد الاستجابة للعلاجات سيحسن تطوير العلاجات الشخصية». (dw)

دراسة مفاجئة: البطاطس والبندورة يقاومان السرطان وعلاج مستخلص منهما قريباً

لندن ـ «القدس العربي»:

خلص علماء وباحثون إلى أنّ البطاطس والطماطم (البندورة) والباذنجان يمكن أن تكون مفتاح التغلب على مرض السرطان، حيث اكتشفوا مواد كيميائية طبيعية في هذه الأطعمة يُمكن أن تقاوم الأورام الخبيثة في جسم الإنسان.

ويقول باحثون بولنديون إن الدراسات أشارت إلى أن مادة «جلايكو ألكالويدس» وهي مادة كيميائية طبيعية توجد أيضاً في الفلفل والتوت تمتلك بعض الخصائص المقاومة للسرطان.

وحسب دراسة طبية حديثة نشرت نتائجها جريدة «دايلي ميل» واطلعت عليها «القدس العربي» فإن العلماء يعتقدون أن المركبات النشطة بيولوجياً في الخضروات يمكن أن تساعد المرضى أيضاً على تفادي الآثار الجانبية الوحشية للعلاجات الحالية.

ويقول العلماء إنه على الرغم من نجاح العلاج الكيميائي في قتل الخلايا السرطانية، إلا أنه يمكن أن يؤدي إلى مجموعة من الآثار الجانبية غير السارة مثل تساقط الشعر والغثيان والتعب. وذلك لأن الأدوية تقتل عن غير قصد الخلايا السليمة في أماكن أخرى من الجسم إلى جانب استهداف الخلايا السرطانية.

وقالت ماجدالينا وينكيل، من جامعة «آدم ميكيفيتش» في بوزنان ببولندا إن هذا جعل الأمر يستحق إعادة فحص خصائص النباتات الطبية.

وقام الفريق البحثي بمراجعة الأدلة على مركبات «جلايكو ألكالويدس» وهي مركبات وفيرة في عائلة نباتات الباذنجان، والتي تشمل البطاطس والطماطم والباذنجان.

وقال الفريق إن الجرعات الصحيحة من هذه المواد الكيميائية يمكن أن تكون «أدوات إكلينيكية قوية».

وركزوا على خمسة مركبات من عائلة «جلايكو ألكالويدس» وهي: سولانين وشاكونين وسولاسونين وسولامارجين وتوماتين، والتي تعتقد الباحثة وينكيل أنه يمكن استخدامها لتطوير الأدوية المقاومة للسرطان في المستقبل.

وتوضح نتائج الدراسة أن السولانين قد ثبت أنه يوقف المواد الكيميائية المسببة للسرطان، أي تلك المعروفة بأنها تسبب السرطان، حيث تتمكن من منعها من التحول إلى مواد مسرطنة في الجسم.

كما أظهرت الدراسات التي أجريت على نوع معين من خلايا سرطان الدم، بجرعات صغيرة، أن السولانين يقتلها.

في غضون ذلك قال الفريق إن شاكونين له خصائص مضادة للالتهابات، مع إمكانية علاج الإنتان.

واقترحت الأبحاث أن دواء «سولامارجين» يمكن أن يوقف خلايا سرطان الكبد من التكاثر.

ويقول الباحثون إنه يمكن أن يكون علاجاً تكميلياً مهماً لأنه يستهدف الخلايا الجذعية السرطانية، والتي يُعتقد أنها تلعب دوراً مهماً في مقاومة أدوية السرطان. كما يعتقد الباحثون أن مادة «سولاسونين» تعمل بطريقة مماثلة أيضاً.

أما «توماتين» فيدعم تنظيم دورات الخلايا في الجسم مما يساعد الجسم على قتل الخلايا السرطانية، وفقاً لنتائج الدراسة العلمية التي أجريت في بولندا.

وتقول جريدة «دايلي ميل» إن هذا البحث يُشكل خطوة أولى فقط في هذا المجال، أي أنه لا يزال غير مكتمل كما لا تزال نتائجه غير مؤكدة أيضاً.

وقالت الباحثة وينكيل إن هذه الاختبارات ضرورية لتأكيد أي من أنواع مادة الـ«جلايكو ألكالويدس» تعتبر «آمنة وواعدة بما يكفي للاختبار على البشر».

وأضافت: «لا يزال العلماء في جميع أنحاء العالم يبحثون عن الأدوية التي ستكون قاتلة للخلايا السرطانية ولكنها في نفس الوقت آمنة للخلايا السليمة. إنه ليس بالأمر السهل على الرغم من التقدم في الطب والتطور القوي لتقنيات العلاج الحديثة، وهذا هو السبب في أنه قد يكون من المفيد العودة إلى النباتات الطبية التي تم استخدامها منذ سنوات بنجاح في علاج الأمراض المختلفة».

وأشارت وينكيل إلى أنه إذا لم تتمكن المواد الكيميائية من تكرار الأدوية المضادة للسرطان المستخدمة في الوقت الحاضر، فربما يزيد العلاج المركب من فعالية العلاج.

وتم استخدام النباتات لمحاربة السرطان لعقود من الزمن، مثل دواء العلاج الكيميائي تاكسول، المصنوع من لحاء الشجر.

وعلى الرغم من هذه النتائج إلا أن العلماء يؤكدون أنه لا يوجد بحث يقول إن مجرد تناول خمس وجبات في اليوم سيقتل الخلايا السرطانية، وذلك على الرغم من أن اتباع نظام غذائي صحي قد يساعد في منع الأورام في المقام الأول، حيث أنها ليست بديلاً عن علاج السرطان، مثل العلاج الكيميائي والعلاج الإشعاعي والجراحة، والتي يمكن أن تعالج الأشخاص من المرض إذا تم اكتشافه مبكراً بما فيه الكفاية.

وقال الدكتور تشارلز إيفانز، مدير المعلومات البحثية في مركز أبحاث السرطان في بريطانيا: «تنتج النباتات مجموعة كبيرة ومتنوعة من المواد الكيميائية المثيرة للاهتمام والتي لم يتم دراستها جيداً» حسب ما نقلت «دايلي ميل».

ويؤكد إيفانز أن «بعض هذه المواد الكيميائية لها تأثيرات مضادة للسرطان عند اختبارها في المختبر وبعضها، مثل تاكسول، أصبح حتى عقاقير نستخدمها في علاج السرطان اليوم».

ومن المهم التأكيد على أن العديد من هذه المركبات لن تكون مناسبة كأدوية، إما لأنها غير فعالة بما فيه الكفاية أو لأنها ليست آمنة بما يكفي لمنحها للناس.

ويقول إيفانز إن «من الضروري أن نستكشف كل السبل الممكنة لاكتشاف علاجات جديدة، وهذا هو السبب في أنه من المهم أن يقوم الباحثون بالتحقيق في هذه المواد الكيميائية لمعرفة ما إذا كانت لديها القدرة على أن تصبح أدوية جديدة».

يشار إلى أن بعض أنواع السرطانات أصبحت تنتشر بصورة واسعة على مستوى العالم أكثر من أي وقت مضى، حيث يُعد سرطان الثدي من أكثر أنواع السرطانات شيوعاً في العالم ويصيب أكثر من مليوني امرأة سنوياً.

وفي بريطانيا وحدها هناك أكثر من 55 ألف حالة جديدة من سرطان الثدي كل عام، ويودي المرض بحياة 11 ألفاً و500 امرأة، أما في الولايات المتحدة فيصيب سرطان الثدي أكثر من 266 الف امرأة كل عام، ويؤدي إلى وفاة أربعين ألفاً.

ويقول العلماء إن سرطان الثدي يتطور من خلية سرطانية تتطور في بطانة القناة أو الفصيص في أحد الثديين، وعندما ينتشر سرطان الثدي في أنسجة الثدي المحيطة، يطلق عليه سرطان الثدي «الغازي» فيما يتم تشخيص بعض النساء بـ«سرطان في الموقع» حيث لا تنمو خلايا سرطانية خارج القناة أو الفصيص.

وتتطور معظم الحالات عند النساء فوق سن الخمسين ولكن تتأثر النساء الأصغر سناً في بعض الأحيان، كما أن سرطان الثدي يمكن أن يتطور لدى الرجال أيضاً لكنه نادر الحدوث.

ويتم تصنيف الخلايا السرطانية من «منخفض» ما يعني نمواً بطيئاً إلى «مرتفع» أي سريع النمو، وعادة ما تعود السرطانات عالية الدرجة بعد معالجتها لأول مرة.

منوعات

غواية البحث عن الإثارة في دواليب نجوم ونجمات السينما

كمال القاضي

لا يوجد سبب لاقتفاء أثر نجوم ونجمات السينما والتفتيش في خصوصياتهم والمتاجرة بها غير الشهرة التي يشعر أهل الفن في كثير من الأحيان أنها العقاب الذي يقع عليهم ليل نهار، كأنه رد الفعل لتميزهم في المجال الذي اختاروه ووهبوا حياتهم له، وهي مفارقة تستحق الدراسة، حيث يتحول الاحتفاء الجماهيري والشعبي في لحظه إلى حالة من السُخط والنقد الجارح إذا ما وقع خطأ ما من أحد الفنانين أو إحدى الفنانات، حينها تنبري الألسنة في تناول السير الذاتية للمتورطين وتتم عمليات التنقيب عن أسوأ ما في مشوارهم وحياتهم وتبدأ على الفور حملات التشويه والإثارة على نطاق واسع.

وعادة ما تكشف الأحداث عن زيف العلاقة بين النجوم وبعض الفئات من الجمهور، إذ تنقلب عبارات الإعجاب والإشادة بالأدوار المتميزة والشخصيات الدرامية إلى النقيض، فما كان بالأمس عملاً إبداعياً مؤثراً يصير في الغد دليلاً على الإدانة، فيحدث الخلط بين الأدوار الجريئة للنجمة الكبيرة وبين شخصيتها الحقيقية ويُسقط المتربصون كل عيوب الشخصيات الدرامية المجسدة في الأفلام والمسلسلات والمسرحيات على أصحابها من الممثلات في إشارة للنقائص والموبقات.

وبالتبعية يتم تغنيد الأدوار ومراجعتها بقصد الإساءة، الأمر الذي يُلقي الضوء على عيوب الاستقبال والتلقي لدى أولئك الكارهين لمهنة التمثيل والراجين لها الزوال، وليس هذا بجديد، فمنذ ظهور فن السينما والحالة النقدية الشعبية تبني تقييماتها في أغلب الأحيان على المعايير الأخلاقية وترى التمثيل فعلاً مُستهجناً وجالبا للفضيحة والعار، والأمثلة الدالة على ذلك مُتعددة وتبدو جلية في معاداة الأسر العريقة لأبنائهم الذين اشتغلوا بالفن وامتهنوا التمثيل كالفنان زكي رستم وسليمان نجيب وسراج منير وغيرهم من رائدات السينما اللائي حاربن التقاليد الاجتماعية وواجهن تحديات جسيمة في مشوارهن الفني الطويل.

ولأن التاريخ يُعيد نفسه فقد تكررت في الآونة الأخيرة صيحات الهجوم ضد بعض الشخصيات الفنية لمجرد اشتمام رائحة الاتهام في قضايا لم يبت القضاء فيها ولم تصدر بشأنها أحكام تدين المتهمين، وليس هذا فحسب وإنما شملت قرارات الإدانة وجهات النظر الشخصية في الخلافات العائلية بين النجوم وأهاليهم وذويهم، تماماً مثلما حدث مع المطربة شيرين عبد الوهاب واستمر لعدة أسابيع، حيث تفرغ الرأي العام الثقافي لمتابعة مجريات الأحداث بينها وبين زوجها حُسام حبيب، وما كادت تنتهي حكاية شيرين وحسام حتى طفت على السطح حكاية منة شلبي بتفاصيلها المثيرة كأنها حلقات مُتصلة مُنفصلة في مُسلسل النميمة الفنية.

ومن قبل حصل محمد رمضان على نصيب الأسد من النقد الشعبي القاسي أحياناً والموضوعي أحياناً أخرى، حيث بدأت المساجلة لفترة طويلة استغرقت شهوراً بين رمضان ومُهاجميه، تم خلالها تبادل الاتهامات وإعمال مبدأ التقريع والسخرية كأسلحة مُتعارف عليها في الحروب الكلامية وسياقات الدعاية والدعاية المضادة والإنفراد بنشر الحقائق والأكاذيب عن مباهاة النجم الشاب بسياراته ومجوهراته والنمور والأسود التي يقتنيها ويربيها، ومن جانبه لم يتوقف محمد رمضان عن الرد في زهو وخيلاء لإغاظة منافسيه وإرضاء مُعجبيه.

وفي إطار الفعل ورد الفعل ظهرت أغنيات فيديو كليب يحاكي بعضها بعضاً بلغة الفن والحوار الغنائي الملغز بين الخصوم وكلها مُصنفات عالية التكلفة ورخيصة المضمون، فهي لا تمت في واقع الحال للأغنية الشعبية بصلة ولكنها أقرب لوصلات الردح المبهرة تقنياً فقط، ذلك أنها صُنعت خصيصاً بغرض المكايدة وإثارة الاستفزاز، ولأنها تُحدث الأثر المطلوب فقد باتت من أيقونات الحروب الدعائية ومُعدات القتال في ساحة المنازلة الفنية والغنائية بطابعها الشعبي الجديد.

ولم تقتصر هذه الطريقة على حروب المطربين الشباب، بل شملت أيضاً الأصوات النسائية، فهناك حروب ومعارك ضارية بين المطربات الشعبيات، فكل منهن تسعى للهيمنة على الساحة والانفراد بها لإثبات قُدراتها الفائقة في التأثير الجماهير.

وبناءً على ما تقدم تزداد الشائعات يوماً بعد يوم وتتعدد القصص والحكايات حول المشتغلين بالتمثيل والغناء، من النجوم إلى الكومبارس، وبالتالي يزداد خُنق الفئات الواقفة على الجانب الآخر للمُراقبة وتسجيل الأخطاء وزلات اللسان والسقطات الكبيرة والصغيرة، فلا شيء يُغتفر ولا توجد ثمة مساحة ولو قليلة للتسامح أو التماس الأعذار، فالحكم بالظاهر هو المقياس وما خفي كان أعظم هي الحكمة المعمول بها دائما وأبداً للنيل من مشاهير الفن والاستخفاف بحياتهم وفنهم!

ظاهرة المرافقين سطحت صورة الزعيم

صالح الرفاعي: صورة الهاتف آنية وعرضة للتلاعب

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

«من يصنع صورة الزعيم؟» سؤال طرحه الزميل المصور صالح الرفاعي، وبحث عن إجابات ودلائل تاريخية حوله. أفضى السؤال إلى كتاب جمع بين دفتيه معلومات قيمة وموثّقة عن بدايات الصورة، وصورة الزعيم. أرّخ لصورة نابليون بونابرت باعتبارها أول بورتريه سياسي حيث ظهر مؤلفها بريشة الفنان جان أوغست دومينيك آنغر، قبل أن يولد اختراع الكاميرا. وتتبع اختراع الكاميرا خطوة بخطوة، وصولاً إلى عصر التصوير الرقمي «الديجتال». وأرفق كتابه بعشرات الصور من لبنان ودول العالم.

لم يُكمل صالح الرفاعي المشوار مع مهنة المتاعب. ولم يألف أن يكون الزعماء في لبنان مسيجون بالمرافقين، وصورتهم محتكرة للمصور الخاص. راح إلى التعليم الجامعي، ونـاداه الفن لكونه هواية البدايات. جمع بين خبرته في التصوير الكلاسيكي، والأفق الرحب المتاح عبر تقنية الفنون الرقمية «الديجتال». فبرع وأنجز لوحات خولته الانتساب إلى جمعية الفنانين التشكيليين في لبنان كأول فنان في فن الديجيتال.

كانت له معارض فردية، وشارك بالعديد من المعارض الجماعية.

صالح الرفاعي زميل أنجزت برفقته أول تحقيق مهني لمجلة «الحسناء» البيروتية في العام 1979. معه هذا الحوار:

○ بعد سنوات من امتشاق الكاميرا في أحلك الظروف وفي أجملها، لماذا الاهتمام بصورة الزعيم؟

● هما حافزان. الأول الرغبة بعد الزملاء المصورين بثقافة ومعرفة بصور السياسيين في لبنان والعالم العربي. إلى جانب معرفة ثقافية عامة بالشخصية السياسية، وتفاصيل الحالة السياسية. ورغبت مشاركة الزملاء ومحبي التصوير في لبنان والعلم العربي بمعرفة امتلكتها بعد بحث ودراسة. نحتاج في عالمنا العربي إلى ثقافة الصورة. والثاني أني فعلاً عشت كمصور مرحلة جميلة جداً في رحلة عملي تمثلت بالسنوات التي سبقت الحرب الأهلية. بدأت تصوير الموضوع السياسي أواخر سنة 1973 وعرفت كبار السياسيين على طبيعتهم في ذاك الزمن. أفتخر بأني تعرّفت إلى جيل من السياسيين نفتقدهم حالياً. كان جيلاً يمتاز بالمصداقية، وبعلاقات مهنية جيدة مع الإعلام بعيداً عن المنافع. بدأت معاينة الفرق بين رجال السياسة في الماضي والآن منذ سنة 2000. خامة جديدة ومختلفة من السياسيين ظهرت مع بداية التسعينيات ومع إنتهاء الحرب الأهلية اللبنانية. وحينها صار لنا رئيس حكومة يمتلك قدرات هائلة وشبكة علاقات كبيرة. إنه الرئيس الشهيد رفيق الحريري، الذي اكتشفنا معه مهنة المصور الخاص للسياسيين، وبرزت حالة المرافقين. هؤلاء منعوا الاقتراب من الزعيم أو من الشخصية السياسية، وبينهم المصورون. ما حال دون التواصل معها بصرياً للمس جمالية الصورة من خلال بؤبؤ العين.

○ تريد القول إن الشهيد رفيق الحريري فرض أعرافاً جديدة للمهنة؟

● بل هي بدايات التحول الذي تلمسته كمصور. الراحل رفيق الحريري تعامل بمحبة كبيرة واحترام وتقدير للصورة والمصورين، أحبته الكاميرا وكان أحياناً يطلب من المرافقين تسهيل مهمة المصورين. وفي تلك المرحلة بدأ السياسيون يحيطون أنفسهم بالمرافقين الذين أنشأوا سياجاً بينهم وبين المصورين. في حين أن إنتاج الصورة المعبّرة للشخصية يحتاج للتواصل البصري معها والجمود وانعدام الابتسام. بعكس الصور التي يعتمدها الغرب والتي تبدو طبيعية ومتحركة في آن.

○ الجدار المنصوب بين السياسي والمصور حمّسك لتاريخه؟

● وهذا ما تحدث عنه الكتاب مسنوداً بمقارنات لسياسيين شغلوا حيزاً كبيراً في الحياة اللبنانية. على سبيل المثال كنت كمصور أدخل إلى صالون الزعيم كمال جنبلاط بعد أن يفتح الباب مرافقه الوحيد. رؤساء الأحزاب والسياسيون جميعهم كانوا لا يزالون طبيعيين حتى التسعينيات، مع انتهاء الحرب بات التواصل معهم صعباً.

○ من هو الزعيم أو السياسي الذي تأثرت بصورته في المرحلة التي اتفقنا على وصفها بالطبيعية؟

● الشخصية التي أحببتها وشعرتها الأقرب لعين الكاميرا الراحل ريمون إدة. كان شخصية كاريزمية، لديه طاقة كبيرة، وهو شخصية مميزة، وكان متاحاً يومياً تصويره بطريقة مختلفة. وكان يتفاعل مع المصورين ويشعر بوجودهم على الدوام. كذلك شخصية كمال جنبلاط الذي ما زال يثير إعجابي باحترامه للمصورين. أما الشخصية التي تجيد جذب المصورين واعتمد كثيراً على ماهية الصورة وتسويق مضمونها واستفاد منها الى أبعد حدود هو الزعيم الراحل ياسر عرفات.

○ أبحرت بحثاً عن صورة الزعيم التي رُسمت قبل أن تولد الكاميرا. هل مرّ في هذا العالم زعيم لم يعبد صورته؟

● تقصدين صورة الألوهية التي ظهر فيها نابليون بونابرت والتي حملت اسم صورة العرش. قبل تلك الصورة ظهر الزعماء بصور بورتريه مرسومة بالريشة. أما نابليون فرُسم بكامل مستلزمات الالوهية. صورة موجودة في كتابي كتاريخ لبدء الصورة السياسية. وتضمن الكتاب معلومات جمّة عن المصورين العالمين، وكيف مارسوا مهنتهم على مدى التاريخ. إلى جانب صور لبعض الشخصيات وكيف تمّ التقاطها، وحيثياتها. ثمة أحداث كثيرة مرتبطة بالصورة معرفتها مهمة لكل مصور، كمثل سيرة تشرشل مع المصور العالمي السوري الأصل يوسف كارش. وسيرة المصور الكوبي البيرتو دياز.

○ البحث عن المصورين المؤثرين في العالم وتاريخ تطور الصورة له حيزه في الكتاب. في زمن صورة الهاتف من يهتم بهذه المعلومات؟

● في المرحلة الإعلامية الحاضرة يلعب الهاتف المحمول دوراً كبيراً، سواء على صعيد الفيديو أو الصورة، لكنه لن يكون مقياساً لتاريخ. نرى الصورة التاريخية وقد تمّ التقاطها بإضاءة وموضع محدد. فيما صورة الهاتف النقّال تُصنّف تذكارية أكثر منها تأريخية. لصورة الهاتف وهجها الآني، ولا أعتقد أنه سيؤخذ بها كتأريخ نظراً لإمكانية التلاعب بمضمونها.

○ وماذا في حكاية المصور يوسف كارش مع تشرشل؟

● عندما تمّ تكليف يوسف كارش بتصوير تشرشل أعدّ الغرفة وجهّزها بالإضاءة مسبقاً. خلال الحرب العالمية الثانية كان تشرشل يشارك في كندا بمؤتمر لدعم بريطانيا، وقرر رئيس الوزراء الكندي ماكنزي كينج إهدائه صورة لرفع معنوياته خلال قصف الألمان للعاصمة البريطانية لندن بقوة. حينها كانت الكاميرا تلتقط صورة واحدة. وتحضيراً لصورة ثانية كان لزاماً على المصور وضع نيغاتيف الصورة الأولى في علبة، وإعادة تزويد الكاميرا بفيلم. وهذا يستغرق وقتاً ليس متاحاً لدى تشرشل الذي رفض الصورة بالأساس بحجة الوقت. استعدّ كارش لمواجهة سيجار تشرشل الذي لا يفارقه ووضع له صحناً. يعلم كارش أن تصويره غير ممكن مع السيجار، فدخانه سيحجب صفاء عينيه، وخاصة نقطة التركيز «الفوكس» المتمثلة بالبؤبؤ حيث التعبير الأقوى، وحيث مخزون الأفكار يبدو واضحاً. كارش الذي صوّر في الولايات المتحدة التي هاجر إليها حوالي 60 في المئة من شخصيات العالم، طال به الانتظار ليتخلى تشرشل عن سيجاره ولم يفعل. سارع وانتشله من فمه وضغط بيده على زر الكاميرا، والذي كان حينها مربوطاً بسلك ويُحمل باليد. تفاجأ تشرشل بما حصل، وإذ بالصورة تُنشر في كافة صحف العالم وسميت «زئير الأسد» وصارت من الصور الأيقونية.

○ بالصدفة أدت الصورة الغرض الذي أريد لها؟

● صحيح، كما أن تشرشل أتاح للمصور إعجاباً وتقديراً أن يلتقط له صورة ثانية. لهذا أقول لو قرأ المصورون تاريخ الصورة لعرفوا قيمة ذاتهم وصورهم.

○ وماذا عن ألبيرتو مصور غيفارا؟

● البيرتو دياز والمعروف بكوردا، الذي التقط الصورة الأيقونية لتشي غيفارا في العام 1960 والتي تعتبر الأشهر في التاريخ نظرا لانتشارها في كافة أنحاء العالم. في العام 2000 حصل المصور كوردا على تعويض قيمته 50.000 دولار بعد ان رفع دعوى ضد شركة تسويق بريطانية استخدمت صورة غيفارا في حملة دعائية لتسويق مشروب الفودكا. أساء ذلك إلى رمزية غيفارا، خاصة وان كوردا أعلن للمحكمة ان غيفارا لم يكن يحتسي الخمر بتانا. وتبرع كوردا بالمبلغ لشراء أدوية لأطفال كوبا.

○ بذلت جهداً كبيراً لتحقيق كتابك «من يصنع صورة الزعيم؟» هل تراها مادة أكاديمية أم تاريخية فقط باللغة العربية؟

● جذور الكتاب بدأت مع اعدادي لرسالة الماجستير. لاحقاً قررت التوسع بالبحث وصولاً إلى الكتاب، فاستغرق العمل خمس سنوات. يحتاج الكتاب توثيقاً للمعلومات ومن مصدرين، فالمصداقية هي الأساس. إضافة للحصول على إذن الزملاء المصورين كي أتمكن من نشر صورهم. الجزء الأول من الكتاب تضمن سرداً تأريخياً للصورة.

والجزء الثاني تجارب المصورين العالميين. إلى دخول في علم نفس الصورة وتعامل الأديان معها. وجميعها يحتاج إلى مراجع وبحث ووقت. ومن ثم الجزء المتعلّق بالمصورين الخاصين في العالم العربي. أن يكون لكل زعيم مصوره الخاص أمر يتنافى مع حرية العمل الإعلامي، ويجعل من صورة الزعيم بروتوكولية.

○ من التصوير إلى التدريس الجامعي إلى الفن التشكيلي. لماذا تخليت عن المهنة الأولى؟

● ليس تخليا مطلقاً. جئت إلى الفوتوغراف من بدايات فنية. بدأت تصوير زملائي في الكشاف، اشتروا الصور كتشجيع لأتمكن من ابتياع أفلام وأدوية للتظهير في المنزل. حينها لم تكن الصورة وحدها هي الجاذب، بل تميزت بجمالية فنية. ظروف لبنان أخذتني إلى الصورة الصحافية، وحين سئلت من قبل مجلة لبنانية في حوار معي عن هوايتي قلت إنها الهروب من المهنة إلى الطبيعة لتصويرها. ومازلت أمارس هوايتي هذه في رحلات المشي المنظم.

○ كيف تستفيد من سنوات خبرتك في التصوير وأنت ترسم؟

● يخدم التصوير الفن التشكيلي دون شك. هناك تجارب كثيرة على صعيد العالم أبرزهم سلفادور دالي وبيكاسو. مع اكتشاف الكاميرا سنة 1837 انتقل العديد من الفنانين التشكيليين إلى فن التصوير منهم مارسيل دي تشامب، ولويس داغير. تعرفين بأني لا أرسم كفنان تشكيلي، لكنني أشكل صورتي. مع مطلع الألفية الثالثة انفتحت الفنون على بعضها البعض. انضمّ فن التصوير إلى مجموعة الفنون الأخرى، وإنطلاقاً من ذلك كان الانتساب إلى نقابة الفنانين وجمعية الفنانين. الفن الذي أقدمه هو الرقمي، أعمل على الصورة بصرياً من خلال الـ«ديجيتال آرت».

○ هل تحتفظ بكافة آلات التصوير التي اشتغلت بها؟

● بالتأكيد، وأذكر الكاميرا الأولى الكبيرة الحجم التي كنت أضع رأسي فوقها لأتمكن من التصوير. كما امتلك بعض المعدات التي صارت مفقودة كآلة تعبئة الأفلام وأجهزة التحميض والطباعة.

○ ما هي آخر صورة التقطها؟

● ليس هناك من صورة أخيرة، فمع كل شروق وغروب للضوء تكمن صورة ما. وما علينا الا التمعن والانتظار لألتقاطها. المهم ان تكون الصورة ذات معنى لصورها وقد تحكي قصة أو تعبر عن رأي ما، أو ذات مضمون جمالي يجذب مشاهدها.

○ صورة زعيم لبناني أثرت بك؟

● ما من صورة مؤثرة لكن عانيت حتى حصلت على صور لبعض السياسيين اللبنانيين. وذكرت ذلك في نهاية الكتاب. وقفة أمامها. بعد سبع ثواني قال «خلص» وكان بحوزتي سبع صور متشابهة. وليد جنبلاط من السياسيين الذين يمارسون التصوير ويعرفون قيمة الصور والكاميرا. ومن السياسيين الذين يمارسون هواية التصوير تمام سلام، وسليمان فرنجية يعتبر من أهم المصورين لكنه لا يحب أن يتّصور. وفعلاً جربت كافة السبل ولم أتمكن من الوصول إليه.

والمصور الخاص يتنافى مع حرية الإعلام

وعرفات استفاد من الصورة لأبعد حدود

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10833 الأحد 11 كانون الأول (ديسمبر) 2022 – 17 جمادى الأولى 1444 هـ
Volume 34 - Issue 10833 Sunday 11 December 2022

عشرة في المئة من الكائنات البحرية في العالم مهددة بالانقراض

أظهرت أحدث قائمة حمراء بالأنواع المهددة بالانقراض الجمعة أن التأثيرات الناجمة عن السلوك البشري مدمرة للحياة البحرية، في ظل تقديرات بأن ما يقرب من عشرة في المئة من النباتات والحيوانات التي تعيش تحت الماء باتت الآن مهددة بالانقراض.

ويتزامن صدور التقرير مع قمة الأمم المتحدة حول الطبيعة في مونتريال، حيث دعا الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش الدول إلى وضع نهاية «للدمار غير المحكوم» وتمرير اتفاق لوقف تدمير الموائل الطبيعية وعكس مسار هذا الدمار.

ومن بين حوالي 17903 من النباتات والحيوانات البحرية التي تم تقييمها من قبل الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة، هناك أكثر من 1550 كائنا بحريا معرضا للانقراض، جراء تأثيرات السلوك البشري من تغير المناخ إلى التلوث، حسب أحدث قائمة تُستخدم كمقياس للتنوع البيولوجي ويتم نشرها عدة مرات في السنة.

وقال كريغ هيلتون تيلور رئيس قسم إعداد القائمة الحمراء بالاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة «هذا يظهر أن تأثيرنا مدمر للغاية على الأنواع البحرية».

وأضاف «تحت الماء، لا يمكنك رؤية ما يحدث حقا. وعليه فإن تقييم حالة الأنواع يعطينا مؤشرا حقيقيا لما يحدث هناك بالفعل، وهذه الأخبار ليست سارة».

وأوضح هيلتون تيلور أن الأنواع البحرية التي تواجه خطر الانقراض من المحتمل أن تكون أكبر بكثير مما تظهره البيانات الحالية لأن الأنواع التي تم تحليلها حتى الآن تميل لأن تكون أنواعا سمكية منتشرة على نطاق واسع، وليست مهددة في الوقت الحالي.

وقال الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة إن عدد أفراد حيوان الأطوم (بقر البحر) انخفض لأقل من 250 حيوانا بالغا في شرق أفريقيا وأقل من 900 في كاليدونيا الجديدة الفرنسية. ومن بين التهديدات التي يواجهها بقر البحر فقدان مصدر الغذاء الرئيسي، وهو الأعشاب البحرية، بسبب التنقيب عن النفط والغاز وإنتاجهما في حالة موزامبيق والتلوث الناجم عن تعدين النيكل في المحيط الهادي.

وتستعرض أحدث قائمة لأول مرة أنواعا مما يسمى الصفليح أو «أذن البحر» وهو نوع من الرخويات يباع كأحد أصناف المأكولات البحرية الفاخرة. ووجد التقرير أن حوالي 44 في المئة منها يواجه خطر الانقراض. ويقول الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة إن موجات الحرارة البحرية الشديدة والمتكررة تسببت في حالات نفوق جماعي، إما لأنها تتسبب في إصابتها بالأمراض أو عن طريق القضاء على مصادر غذائها.

وانزلقت الشعاب المرجانية العمودية، وهي من الأنواع الموجودة في البحر الكاريبي فئتين من «معرضة للخطر» إلى «مهددة بالانقراض بشدة». وتقلص عدد سكانها بنسبة تزيد عن 80 في المئة.

وقالت أماندا فينسينت، رئيسة لجنة الحفاظ على الحياة البحرية التابعة للاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة إن «الوضع المروع لهذه الأنواع يجب أن يشعرنا بالصدمة ويدفعنا للاشتراك معا في اتخاذ إجراءات عاجلة». (رويترز)

دعوى قضائية لجعل قبعات الحرس الملكي البريطاني من الفرو الاصطناعي لا من شعر الدببة

أعلنت منظمة «بيتا» لحقوق الحيوان أمس رفع دعوى قضائية ضد وزارة الدفاع البريطانية لرفضها تجربة نسخة من الفراء الاصطناعي لقبعات عناصر الحرس الملكي الشهيرة المصنوعة من وبر الدب.

وتُخصص هذه القبعات المعروفة باسم «بير سكينز» لعناصر أفواج النخبة في الجيش الذين يعتمرونها أثناء تغيير الحرس أمام قصر باكنغهام، وأصبحت واحدة من أشهر رموز المملكة المتحدة.

وتسعى «بيتا» منذ وقت طويل إلى الدفع للكفّ عن استخدام قبعات مصنوعة من وبر دببة سوداء كندية حقيقية، وصممت قبعات بديلة مصنوعة من الأكريليك ، تنتجها شركة «إيكوبيل» الفرنسية.

وأوضحت عضو هذه الجمعية كايت ويرنر أن وزارة الدفاع «ترفض تجربة» هذه القبعات مع أنها «تعهدت أن تفعل في مناسبات عدة في السنوات الأخيرة».

وقال ناطق باسم وزارة الدفاع «تبلغنا بأن بيتا رفعت دعوى في هذا الصدد. لا يمكننا التعليق بطريقة محددة على قضية جارية».

وكانت الحكومة أعلنت قبل أشهر أن «لا خطط» لاستبدال قبعات وبر الدببة، مضيفة أن تحليلًا لاختبار الفراء الاصطناعي أجرته «بيتا» أظهر أنه «لا يفي بالمعايير اللازمة» التي تتيح الاستعاضة بها عن القبعات الحالية.

ورفضت «بيتا» هذا الاستنتاج، وقالت كايت ويرنر في هذا الصدد «هذه القبعات رمز للمملكة المتحدة ولكننا نريدها أن تعكس قيم مجتمعنا وأخلاقياته».

ويُعتبر وزير الدفاع الحالي بن والاس وهو نفسه عسكري سابق، من المدافعين عن القبعات المصنوعة من وبر الدب، وأيّد بصفته نائبا تعديلا يسمح بالاستمرار في استخدامها.

إلا أن عريضة لاستبدالها بفراء مزيف وقع عليها أكثر من مئة ألف شخص أفضت إلى مناقشة في البرلمان حول هذا الموضوع.

ووجهت الجمعية كتاباً إلى الملك تشارلز الثالث المعروف بمواقفه المؤيدة للدفاع عن الطبيعة، لكنها لم تتلقَ بعد أي رد. ورأت كايت ويرنر أن دعم الملك «يمكن أن يساعد كثيراً».

وطلبت «بيتا» أيضاً من تشارلز استخدام معطف من الفرو الاصطناعي في احتفال تتويجه في أيار/مايو المقبل.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي

معركة حبس الأنفاس

FIFA WORLD CUP
Qatar2022

تتوجه أنظار المليارات من أهل الأرض نحو ملعب «لوسيل» بعد 48 ساعة من الآن، لمشاهدة القمة الأوروبية اللاتينية، التي ستجمع آخر وصيف لكأس العالم المنتخب الكرواتي، بالبطل السابق في مناسبتين المنتخب الأرجنتيني، لتحديد ومعرفة هوية المحظوظ الأول بالحصول على تذكرة العودة إلى نفس التحفة المعمارية يوم الأحد المقبل، أملا في التقاط الصور التذكارية مع المونديال في يوم العيد الوطني للدولة المنظمة قطر.

فهل تكون اليد العليا للمنتخب الأرجنتيني ليقترب ميسي خطوة أخرى عملاقة نحو حلمه الكبيرة بمعانقة كأس العالم؟ أم ستفوز مدرسة كرواتيا الواقعية؟ دعونا ننتظر ونستمتع بمشاهدة ما تبقى من المونديال الأجمل والأفضل في تاريخ كرة القدم.

ميسي ضد مودريتش: معركة رد الكرامة وحبس الأنفاس

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

تتوجه أنظار المليارات من أهل الأرض نحو ملعب «لوسيل» بعد 48 ساعة من الآن، لمشاهدة القمة الأوروبية اللاتينية، التي ستجمع آخر وصيف لكأس العالم المنتخب الكرواتي، بالبطل السابق في مناسبتين المنتخب الأرجنتيني، لتحديد ومعرفة هوية المحظوظ الأول بالحصول على تذكرة العودة إلى نفس التحفة المعمارية يوم الأحد المقبل، أملا في التقاط الصور التذكارية مع المونديال في يوم العيد الوطني للدولة المنظمة قطر.

الطريق نحو لوسيل

كما شاهدنا، لم يكن طريق التانغو نحو المربع الذهبي مفروشا بالورود، لا سيما بعد الاستيقاظ على كابوس المنتخب السعودي، فيما عُرفت بصدمة القرن في افتتاحية المجموعة الثالثة، التي شكلت صدمة لليونيل ميسي ورفاقه، لدرجة اعتراف البرغوث صراحة، بأن الصقور الخضر تسببوا في دخول نجله في نوبة بكاء، حزنا على الهزيمة غير المتوقعة، لكن سرعان ما أثبتت التجارب، أن هذه الصدمة جاءت بنتائج إيجابية، تجلت في التحول الملموس في عقلية اللاعبين، بطريقة أعادت إلى الأذهان الصورة التي كانوا عليها في حملة الكوبا الناجحة في أرض العدو البرازيلي اللدود، بدأت بتخطي المنتخب المكسيكي العنيد، في المباراة المفصلية في مشوار المنتخب على مستوى المجموعات، وكالعادة جاءت الانفراجة على يد الفضائي، مجسدا المقولة المأثورة «ميسي يأتي عندما تحتاجه الأرجنتين»، وفعلها بلحظة إبداعية على طريقته الخاصة، انتهت بتسديدة حلزونية في شباك أيقونة المونديال أوتشو، ثم بهدية إلى إنزو فرنانديز، كانت كافية لتأمين بقاء بطل نسختي 1978 و1986 في عاصمة كرة القدم حتى إشعار آخر، بعد التهديد الصريح بالإقصاء المبكر، ليأتي موعد استعادة الثقة والتقاط الأنفاس والقبض على صدارة المجموعة، في ليلة الاستقواء على روبرت ليفاندوسكي ورفقائه في المنتخب البولندي، بفوز اقتصادي بثنائية نظيفة بأقل مجهود.

مرة أخرى ظهر ليو في الوقت المناسب، كاسرا نحسه الأبدي مع مباريات خروج المغلوب، بالتوقيع على أول هدف في تاريخه في دور الـ16 في مرمى المنتخب الأسترالي، في المباراة التي كشفت الكثير عن ملامح وشخصية كتيبة المدرب سكالوني، كمنتخب يتمتع بالمقاومات اللازمة للذهاب بعيدا في أم البطولات، أبرزها التسلح بحامي عرين من الطراز العالمي مثل إيميليانو مارتينيز، أو بلغة كرة القدم «قادر على صنع الفارق»، بالطريقة التي سحب بها البساط من الجميع في تصديه المذهل لانفراد السوداني الأصل فاغرانغ كول في الوقت المحتسب بدل من الضائع، فضلا عن السلاح الرادع، بالاستفادة من عصارة خبرة ميسي، باعتباره الورقة التي تعطي منتخب التانغو أفضلية مسيقة أمام الخصوم، بضغط نفسي هائل على مدافعي المنافسين، الذين لا يملكون إلا الدعاء والصلوات قبل مواجهته وهو في هذه الحالة ومستوى التركيز داخل المستطيل الأخضر، تماما كما جسد المصطلح الشائع «العلامة الفارقة» في صدام الطواحين الهولندية في ربع النهائي، الذي سحر فيه الأعين، بتمريرة من كوكب آخر لزميله مولينا، على إثرها لم يصدق الأخير أنه في لمح البصر، أصبح وجها لوجه مع الحارس أندريس نوبرت، ليغالطه بلمسة ولا أروع في الشباك، وتبعها تكفل بنفسه بإضافة الهدف الثاني من علامات الجزاء، وشاء القدر أن يتعرض ميسي ورفاقه، لاختبار نفسي معقد لشخصيتهم وقوتهم من الناحية الذهنية على الثبات، بعد عودة منتخب الأراضي المنخفضة في النتيجة في الدقائق الأخيرة عن طريق البديل الموفق فوت فيفورست، ولعل من تابع الأشواط الإضافية، لاحظ تماسك المنتخب اللاتيني وتفوقه على نظيره الأوروبي، باستحواذ ومحاولات أخرين، يكفي أننا نتحدث عن منتخب اكتفى بتحقيق فوز وحيد على مستوى النتيجة، وكان على حساب المنتخب الكندي في المرحلة الثانية لدور المجموعات، وذلك من أصل 5 مباريات خاضها في المونديال الشرق الأوسطي، بدأها بالتعادل السلبي مع فخر العرب المنتخب المغربي، في افتتاح نزاعات مجموعة الموت، وآخر بنفس النتيجة أمام بلجيكا في ليلة تأمين الوصافة مع أسود أطلس، قبل أن يأتي موعد مباريات المفضلة في الأدوار الإقصائية، التي تظهر فيها نقطة قوتهم وكلمة السر في تفوقهم على المنافس، والإشارة إلى واقعيتهم وقدرتهم العجيبة بين الأربعة الكبار، حيث كانت المرة الأولى، بقيادة مُلهم الأجيال دافور سوكير في فرنسا 1998، واكتملت بانتزاع المركز الثالث والميدالية البرونزية من هولندا، وفي روسيا بمقارعة فرنسا في المباراة النهائية.

ملوك الواقعية

أيضا مشوار المنتخب الكرواتي نحو نصف نهائي «لوسيل»، كان مليئا بالعقبات والاختبارات النفسية، التي لا يتحملها إلا الأقوياء ذهنيا وبدنيا، الذين يصعب الفوز عليهم في مباراة كرة القدم ممتدة ليوم أو اثنين على الحفاظ على تركيزهم على مدار 120 دقيقة، كأنهم يتعمدون استدراك المنافسين إلى الأشواط الإضافية، لإيقاعهم في شباك الاخطبوط دومينيك ليفاكوفيتش في لحظات الاحتكام لركلات الجزاء الترجيحية، كما تفنن في تعذيب الساموراي الياباني في دور الـ16، ثم ملوك اللعبة المنتخب البرازيلي في أمسية الجمعة الماضية، كأننا نشاهد روائع طيب الذكر داتييل سوباسيتش، أمام الدنمارك وروسيا في نفس المرحلتين في نسخة 2018، إما دليلا على حظهم الاستثنائي، كفريق لم يعرف طعم الهزيمة في 4 مناسبات إقصائية انتهت باللجوء لركلات الحظ الترجيحية، وإما دليلا على ذكاء ورباطة الجأش التي يتمتع بها هذا الجيل بالذات، والجينات الكرواتية بوجه عام، باعتبارها المرة الثالثة، التي يتخطى فيها الدور الأول في كأس العالم، وينجح خلالهم في حجز مكانه المعروفة عن راقصي التانغو، والعكس لمنتخب بلاده، الذي وصفه بالأفضل والأكثر إمتاعا وإقناعا في العالم، وهذا يفسر احتفال ميسي بهدفه، بمحاكاة الاحتفال الشهير لريكلمي.. وأين؟ على بعد أمتار من المدرب الهولندي وجهازه المعاون، وسبقها دخل في مشادة كلامية مع نفس المدرب، فيما فسرت على أنها إشارة أو رسالة للتشفي في المدرب، ردا على تهكمه على المنتخب الأرجنتيني، والآن جاء موعد رد الكرامة والثأر من لوكا مودريتش وأصدقائه، بعد الإذلال الكبير أمامهم في مباراة الجولة الثانية في النسخة الأخيرة، تلك المباراة التي انتهت بثلاثية نظيفة حملت توقيع أنتي ريبيتش ولوكا مودريتش وإيفان راكيتيتش، في حضور ليونيل ميسي وأكثر من لاعب شاهد عيان في التشكيل الحالي، أبرزهم أوتامندي وإينزو بيريز وأنخيل دي ماريا، فيما كانت المواجهة المباشرة الثانية بينهما على مستوى كأس العالم، بعد الأولى في الظهور الأول للكروات في المونديال، في فرنسا 1998، وآنذاك فاز غابرييل باتيستوتا وأيالا والبقية بهدف هيكتور بينداا في الدور الأول، والسؤال الآن.. يا ترى من سيكون الحظ في المواجهة الثالثة الأكثر أهمية في المواجهات المباشرة بينهما؟ وبصيغة أخرى.. من الأوفر حظا؟

حبس الأنفاس

كما أشرنا أعلاه ويعرف المتابع البسيط قبل خبراء التحليل، أن مباريات كرواتيا في مراحل خروج المغلوب، لا ينصح بمشاهدتها لأصحاب القلوب الضعيفة، بسيناريوهات تفوح منها الإثارة والتشويق، آخرها العودة من بعيد أمام البرازيل، في مباراة كان يعتقد 99 في المئة من المشاهدين، أنها قد انتهت وحسمت عمليا، بعد هدف نيمار جونيور العالمي في الأشواط الإضافية، لكن ما حدث على أرض الواقع، كان صادما لعشاق السامبا والسحر البرازيلي، بعودة هيتشكوكية قبل نهاية الشوط الإضافي الثاني بدقائق تعد على أصابع اليد الواحدة، اكتملت بغارة مفاجئة عن طريق أورسيتش من الجانب الأيسر، أنهاها بعرضية لبرونو بيتكوفيتش، حولها بتسديدة في الاتجاه المعاكس لحركة الحارس أليسون، لكن يظل القاسم المشترك أو التشابه الكبير بين كرواتيا والأرجنتين، في الاعتماد على اللحظات الإبداعية الخارقة لمودريتش هنا وليونيل ميسي هناك، وبدرجة أقل حراس المرمى، لتميزهما في ركلات الجزاء، إلى جانب تمتعهما بالجودة اللازمة بالنسبة للمنتخب الطامح في المنافسة على اللقب، ما يعني أننا بنسبة كبيرة سنكون على موعد مع سهرة مونديالية جديدة قابلة لكل الاحتمالات، والاحتمال الأكبر أن تحبس الأنفاس حتى الدقيقة 120، كما تعلمنا وتعودنا من جُل معارك الكروات في مباريات خروج المغلوب في هذا النسخة والسابقة، وبالمثل، منتخب التانغو، هو الآخر متمرس على لعبة الصمود حتى الأشواط الإضافية والرهان على تألق حارس المرمى في ركلات الجزاء.

بوجه عام، ستكون مباراة متكافئة بنسبة كبيرة، وبنسبة كبيرة ستحسم بالتفاصيل البسيطة، إما بقرار عبقري من البرغوث، لفك طلاسم الدفاع الحديدي، الذي أرهق المرشح الأول للفوز بالبطولة، المنتخب البرازيلي بكل أصوله الثمينة، متمثلة في نيمار جونيور، فينيسيوس جونيور، رودريغو، ريشارلسون ورافينيا والبقية، باستثناء اللحظة العبقرية، التي تكلمت فيها موهبة أغلى وأمهر لاعب في العالم، بشق الدفاع والمرور من الحارس المغلوب على أمره، مثل السكين الحاد في الزبد، وفي الناحية الأخرى، ستتعلق الآمال مجددا على القائد والأسطورة مودريتش، ليواصل نثر إبداعاته وأداءه الفردي، الذي يفوق وصف مذهل، بالنسبة للاعب بعمر 38 عاما، وما زال يفرض احترامه على الجميع، بالظهور بنسخة تحاكي أو قريبة الشبه من سحر الأنيق زين الدين زيدان، في لحظات مجده، أو كما يقال أعظم أداء فردي في تاريخه، في مبارياته الأخيرة أمام إسبانيا والبرازيل والبرتغال وإيطاليا في مونديال ألمانيا 2006، وهذا في حد ذاته، قد يعطي المنتخب الأوروبي ميزة أو أفضلية على التانغو، المهدد بخسارة قلبه النابض في الوسط دي بول بداعي الإصابة، وأسماء أخرى بداعي الإيقاف لحصولهم على بطاقتين صفراوين، في حين سيتسلح المنتخب الكرواتي بكل عناصره الأساسية في الوسط، بروزوفيتش، كوفاسيتش وإيفان بيريسيتش، ما يعني أن المنتخب الأرجنتيني، سيكون مطالبا بتفادي أخطاء المباريات الماضية، والحديث عن داء إهدار الفرص السهلة التي يتفنن لاوتارو والبقية في إهدارها أمام مرمى الخصوم، وإلا ستكون الفاتورة باهظة الثمن، أمام الفريق الأكثر واقعية وذكاء في البطولة، أو قد تصدق أغلب التوقعات، وتذهب إلى الأشواط الإضافية ومن ثم اللجوء إلى ركلات الجزاء، وهذه المرة ستكون الحسبة مختلفة، لتسلح منافس كرواتيا بحارس مرمى على نفس مستوى ليفاكوفيتش، فهل تكون اليد العليا للمنتخب الأرجنتيني ليقترب ميسي خطوة أخرى عملاقة نحو حلمه الكبيرة بمعانقة كأس العالم؟ أم ستفوز مدرسة كرواتيا الواقعية؟ دعونا ننتظر ونستمتع بمشاهدة ما تبقى من المونديال الأجمل والأفضل في تاريخ كرة القدم.

نهاية أسطورة!

ما أصعب أن تصل الى قناعة أن العالم لم يعد يدور على هواك، وأن المهمة تثاقلت عما كانت عليه في السنوات الخوالي، والأصعب أن ترى من رفعتهم الى عنان السماء هم من يهبطونك الى الأرض... انه عالم كريستيانو رونالدو الجديد.

عندما أقدم المدرب ايريك تن هاغ على اجلاس رونالدو احتياطيا في مباريات مانشستر يونايتد في الدوري الإنكليزي، ثارت مجموعات كبيرة من عشاق النجم البرتغالي، المقدرة بمئات الملايين، رغم أن المدرب الهولندي، لم يفعل سوى القيام بعمله بشكل صحيح، وبدون مؤثرات أو محسوبيات أو أفضليات، على حساب ضمان جودة اللعب بحسب نظرته كمدرب، لأن أولاً وأخيراً هو الذي سيدفع الثمن في حال الإخفاق على غرار المدربين الثلاثة الذين لعب تحت ادارتهم رونالدو خلال 12 شهراً من عودته الى «أولد ترافورد».

ورغم ان رونالدو حاول الخروج في مطلع موسمه الثاني بحجة الرغبة في اللعب في دوري أبطال أوروبا تارة، وبحجة الاحتجاج على تخفيض الراتب تارة أخرى، وهو الذي غاب عن الرحلة الاستعدادية للموسم في شرق آسيا وأستراليا، وهو الذي ترك ملعب المباراة في أكثر من مناسبة، لأنه لم يكن اساسياً، بل هو الذي رفض اللعب عندما طلب منه المدرب الاستعداد في الدقائق الأخيرة. هذه الأمور من وجهة نظر «جيش» كريستيانو المقدرين بمئات الملايين، تعتبر مقبولة ومفهومة، لكن من وجهة نظر المدرب هي تعد على الخطوط الحمر، بل كسر للقاعدة الذهبية أن «لا لاعب أكبر من النادي»، أي لاعب كان، ولهذا كان علينا النظر الى تجربته مع مانشستر يونايتد من وجهة نظر فنية أيضاً، وهو ما يرفضه أنصاره.

الصراع الحقيقي اليوم يدور في عقل رونالدو، فهو لن يتقبل أي انتقاد على أدائه، ولن يتفهم قرار أي مدرب بإبقائه احتياطياً، لأنه في داخل عقله هو لاعب متكامل وصاحب لياقة بدنية مبهرة وجسم متناسق خال من الدهون، فمن أين ستأتي العلة؟ ومن سيكون هناك أفضل منه في هجوم أي فريق يلعب له؟

لهذا جاءت المقابلة مع الصحفي البريطاني بيرس مورغان، واعتبر فيها ان هناك في داخل النادي من لا يريده، وانه شعر بالخيانة. أي ان سبب عدم مشاركته في الفريق ليس تدني مستواه وعدم قدرته على مجاراة اللعب السريع في أشرس دوري، ولا في اخفاقه في تخليص الفرص وتسجيل الأهداف بالصورة الرهيبة والمعتادة عنه، ولهذا قناعته كانت انه سيبقى يلعب في أعلى مستوى حتى يبلغ الأربعين من العمر، بل أنه راهن على أن الرد سيكون في المونديال مع منتخب بلاده البرتغال. لكن بعد بداية متواضعة ومهزوزة حدث ما لا يمكن تصوره عندما تم التخلي عنه من المنتخب البرتغالي بعدما قرر مدربه فيرناندو سانتوس عدم اشراكه أساسيا في المباراة ضد سويسرا والتي انتهت بفوز ساحق 6–1. وكان رونالدو متفرجا إلى حد كبير، ونجح منتخب بلاده، الذي حمل شارة القيادة فيه لفترة طويلة، في تقديم افضل عروضه، ليبلغ ربع النهائي من دون مساهمته. وللمفارقة، نجح بديله مهاجم بنفيكا الشاب غونسالو راموس (21 عاما)، في سرقة الاضواء منه بتسجيله ثلاثية رائعة هي الأولى في هذا المونديال، ليصبح بالتالي ثاني أصغر لاعب يحقق هذا الانجاز في الأدوار الإقصائية بعد الأسطورة بيليه عام 1958.

الآن وصل رونالدو ابن الـ37 عاماً الى مفترق طرق، فاما يستمر في قناعاته بأنه ما زال الأبرز في مركزه في العالم، خصوصا ان شخصيته النرجسية لن تسمح له برؤية أي شيء آخر، واما يتفطن أن قدراته البدنية، وخصوصا عامل «رد الفعل» الذي لا علاقة له باللياقة، بدأ يخونه، وان عليه ان يفكر بمكان ينهي فيه مسيرته معززا مكرماً، بدل المراهنة على اللعب مع فريق كبير، يجد فيه نفسه مكرهاً جليس الاحتياطيين.

هذه السطور كتبت قبل اللقاء الناري ضد المنتخب المغربي في الدور ربع النهائي، والذي تشير كل المعطيات أن رونالدو سيكون احتياطياً مجدداً، لكن هناك ذاك السيناريو الذي قد يبدو خلاله عنوان المقالة سخيفاً، لو نجح في المشاركة كبديل متأخر عندما يكون التعادل سيد الموقف، ويسجل هدف الفوز والتأهل الى نصف النهائي. حينها سيخرج ملايين الأنصار يعظمون «الدون»، ويطالبون بأن يعي المدرب سانتوس خطأه ويصححه.

حينها ستدور الحلقة مجدداً، لنكتشف أن هؤلاء النخب من الرجال ما زالوا صبيانا في نظرتهم الى أيقوناتهم الخالدة، حتى لو زادت السنون على أرقامهم أرقام، ليبقى في داخليهم ذاك الطفل، يهذي من لوعة الاحلام، فلطالما نظر الى السماء، ليرى نجماً يضيء كل النجوم، وكلما خفت بريق هذا النجم، تهافت الى عقله أن العلة في العيون.

@KhaldounElcheik

مونديال المفاجآت والأرقام القياسية والتفاعل الجماهيري مع روح الشرق ينسف الحملات الغربية

الدوحة-«القدس العربي»:
سليمان حاج إبراهيم

ارتفع منسوب الإثارة في أول مونديال تستضيفه دولة عربية وشرق أوسطية، وأصبح يحمل عدداً من الألقاب المثيرة ويرسم طريقه ليكون مثلما أكد المنظمون أفضل بطولة كأس عالم تنظم في التاريخ.

ويعيش زوار قطر وسكانها أجواء استثنائية، ترسمها البهجة التي يشعر بها كل من يعايش تجربة مونديال بروح الشرق وبنكهة عربية وبمشهد يعكس الكرم القطري.

وانبهر عشاق الساحرة المستديرة بالأجواء العالقة في الأذهان في هذه البطولة التي تسجل إلى جانب مستواها الفني الراقي رسائل إيجابية لزوار قدموا من أجل كرة القدم أساساً.

وكانت الجماهير من الجنسيات الغربية أكثر إقبالاً وانبهاراً وتفاعلاً مع العادات والتقاليد المحلية، مع الدهشة في اكتشاف كل ما هو جديد وغريب ومثير للفضول.

وتحول سوق واقف الموقع الأثري النابض بالحياة في قلب العاصمة القطرية الدوحة، الوجهة المفضلة الأولى للجميع، ومقصد الوفود والجموع والأفراد، يصلونه عبر شبكة مترو حديثة.

وتعج محلات السوق التقليدي الذي روعي عند ترميمه المحافظة على عمرانه القديم، بأجانب من مختلف الجنسيات يقبلون على شراء الزي التقليدي من غترة وعقال، وحتى أثواب تباع بألوان منتخباتهم الوطنية. كما اقتنت النساء عباءات خليجية مزركشة، وجربن الحناء مع استنشاء عطر العود واللبان والمسك والوقوف عند أكشاك التذكارات المميزة.

وسعى المنظمون ليكون كل شيء في هذا المونديال ليعكس تراث المنطقة، وروحها الشرقية، ويمثل إرث دول عدة تشاركها نفس العادات والتقاليد والروح تنتمي للمنطقة الممتدة من المحيط للخليج.

كرة «الرحلة» الخاصة بالبطولة بألوانها النابضة بالحياة وتكنولوجيا التصميم المتقدمة، صممت على سبيل المثال احتفاء بالقيم والتقاليد القطرية النبيلة.

ملاعب فريدة

وكانت الملاعب المونديالية أبرز مثال على الإرث المستدام والهندسة المستوحاة من طبيعة المنطقة. وتعد تجربة قطر فريدة في بطولة كأس العالم بتشييدها ملعباً في حرم مدينة تعليمية.

وبعد استضافته لثمانية مباريات خلال كأس العالم FIFA قطر 2022™ ودّع استاد المدينة التعليمية البطولة بالمنافسة الأخيرة التي شهدها على أرضه بين الفريقين البرازيلي ونظيره الكرواتي، وتخطى إجمالي عدد المشجعين من أنحاء العالم الذين استقبلهم الملعب خلال المباريات الثمانية ربع مليون مشجع.

ومن بين الملاعب الثمانية لكأس العالم FIFA قطر 2022™ امتاز استاد المدينة التعليمية بكونه الوجهة الوحيدة لاستضافة المباريات التي ضمت متطوعين مكرسين بالكامل لدعم الوصول الميسّر للمشجعين من مختلف القدرات، بحضور 1000 متطوع لمساعدة المشجعين في كل مباراة، من بينهم حوالي 15 متطوعا متخصصا في دعم الوصول الميسّر. بالإضافة إلى ذلك، تم تدريب ما مجموعه 247 متطوعًا للوصول الميسّر من قبل خبراء مؤسسة قطر لدعم المشجعين من ذوي القدرات المختلفة في البطولة ككل.

أول بطولة ميسرة لذوي الإعاقة

في هذه النسخة من بطولة كأس العالم لكرة القدم التي تميّزت بالشمولية على نحو استثنائي والتي تقام في الشرق الأوسط للمرة الأولى، استمتع المشجعون من مختلف القدرات بحضور المباريات في استاد المدينة التعليمية بفضل خدمات الوصول الميسّر التي أتيحت لهم، بما في ذلك غرف المساعدة الحسية التي استقبلت ما يقرب من 35 مشجعا خلال المباريات الثماني، والعروض الترفيهية التي قدّمها فنانون من مختلف القدرات للمشجعين في طريقهم إلى الاستاد، ومتطوعو تسهيل الوصول الذين ساهموا في أن يحظى كافة المشجعين بتجربة سلسة وممتعة أثناء حضورهم المباريات.

ولعبت غرفة المساعدة الحسية في استاد المدينة التعليمية دورًا حيويًا في تمكين الأشخاص ذوي الاحتياجات الإضافية من الاستمتاع بتجربة المباريات مع توفير الدعم الذي يحتاجونه.

أول ملعب مونديالي يفكك

تسجل بطولة كأس العالم التي تستضيفها قطر حدثاً مميزاً، بعد نهاية صافرة مباراة منتخبي البرازيل وكوريا الجنوبية في دور الستة عشر، وإلى جانب معرفة المتأهل لدور ربع النهائي، كانت آخر مواجهة يحتضنها الملعب. استاد 974 سيتم تفكيكه بعد كأس العالم. وأشارت تقارير أن الملعب سيحول لتونس بعد تفكيكه، لكن لم يصدر أي تأكيد رسمي من المنظمين حتى الآن. وسيختفي الملعب الذي لفت الأنظار بشكله الفريد بشكل كامل بعد المباراة، ويدون تاريخ وفاته رسمياً. واستضاف الملعب منافسات كأس العرب العام الماضي ومونديال 2022 حتى دور الستة عشر.

ويعد ملعب 974 الذي استخدمت في بنائه 974 حاوية شحن بحري، أول ملعب قابل للفك بالكامل في تاريخ بطولات كأس العالم. ويعد ملعب الحاويات فريداً في العالم، وكانت فكرته ملهمة، وتعرفت الجماهير خلال البطولة التي تستضيفها قطر، عن تصميمه الهندسي وفكرة بنائه.

وملعب 974 هو أحد ملاعب بطولة كأس العالم الثمانية في قطر إلى جانب الملاعب الأخرى وهي: البيت، ولوسيل، والجنوب، وخليفة، وأحمد بن علي، والمدينة التعليمية، والثمامة.

ويعكس اسم الملعب، المعروف سابقاً باسم ملعب راس أبو عبود، عدد حاويات الشحن المستخدمة في تشييده، كما يعد 974 رمز الاتصال الدولي لقطر، وقد استضاف أولى المباريات على أرضه خلال بطولة كأس العرب قطر 2021.

ويتمتع الملعب بإطلالة مبهرة على ساحل الخليج والمشهد الخلاب لناطحات السحاب في الخليج الغربي بالدوحة عبر مياه الخليج.

أسود الأطلس وسحر مونديال العرب

منتخب المغرب كان على موعد حلم آخر، ظل إلى فترة قصيرة بعيد المنال، بالتأهل للدور قبل النهائي لكأس العالم، حينما واجه منتخب البرتغال، على ملعب (الثمامة) في دور الثمانية للمونديال القطري.

وأصبح منتخب المغرب بهذا الإنجاز الذي ظل محل إعجاب واسع، أول فريق عربي يبلغ دور الثمانية في تاريخ كأس العالم، التي انطلقت نسختها الأولى عام 1930 بعدما تغلب على منتخب اسبانيا 3 / صفر بركلات الترجيح في دور الـ16 للمسابقة، عوقب انتهاء الوقتين الأصلي والإضافي بالتعادل بدون أهداف.

وبات المنتخب المغربي الفريق الوحيد من خارج قارتي أوروبا وأمريكا الجنوبية، تواجد في دور الثمانية بمونديال 2022 وظل يأمل أيضا في أن يصبح أول فريق عربي وأفريقي يحجز مقعداً في الدور قبل النهائي للبطولة الأهم والأقوى في عالم الساحرة المستديرة.

وسعى منتخب المغرب، الذي يشارك في المونديال للمرة السادسة في تاريخه، لأن يكون أول فريق أفريقي وثالث منتخب من خارج أوروبا وأمريكا الجنوبية يتواجد في المربع الذهبي للمونديال، بعد منتخبي الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا الجنوبية عامي 1930 و2002 على الترتيب.

وجذب منتخب المغرب جميع الأنظار إليه في المونديال الحالي بفضل نتائجه الرائعة وأداء نجومه الاستثنائي خلال مسيرته في البطولة، ما جعله يقف على قدم المساواة مع عمالقة كرة القدم في العالم حاليا.

أمجاد العرب

سعى المنتخب المغربي لكرة القدم إلى مواصلة مغامرته التاريخية وإضافة البرتغال التي قد يغيب عنها مجدداً النجم المخضرم كريستيانو رونالدو، إلى قائمة ضحاياه، عندما لاقاها على ملعب الثمامة في الدوحة في ربع نهائي مونديال قطر 2022 في كرة القدم.

وسجّل المغرب اسمه بأحرف من ذهب في النسخة الحالية عندما تخطى الدور ثمن النهائي للمرة الأولى في تاريخه وبات أول منتخب عربي يحقق هذا الإنجاز ورابع منتخب أفريقي بعد الكاميرون 1990 والسنغال 2002 وغانا 2010.

إنجاز حققه على حساب منتخبات من العيار الثقيل، بدأه بتعادل سلبي غال أمام كرواتيا الوصيفة، وفوز على بلجيكا الثالثة 2–صفر، ثم كندا 2–1، قبل أن يسجل اسمه كأول منتخب غير أوروبي يطيح الماتادور الإسباني من الدور ثمن النهائي، عندما أزاحه بركلات الترجيح 3–0 بعد التعادل دون أهداف.

وردّ المغرب التحية لإسبانيا التي انتزعت منه تعادلاً في الوقت بدل الضائع 2–2 في النسخة الأخيرة، وحتى مواجهة البرتغال التي كانت تغلبت عليه 1–صفر في الجولة الثانية من دور المجموعات وأطاحت الأسود خارج المونديال الروسي.

وكانت المواجهة بين المنتخبين قبل أربعة أعوام هي الثانية في تاريخهما بعد الأولى عام 1986 عندما فاز المغرب 3–1 وبلغ الدور الثاني للمرة الأولى في تاريخه وتاريخ المنتخبات العربية والأفريقية.

وعوّل المغرب على صلابته الدفاعية حيث دخل مرماه هدفاً واحداً فقط ومن نيران صديقة عندما سجل المدافع نايف أكرد في المباراة ضد كندا بالخطأ في مرمى الحارس العملاق ياسين بونو، صاحب «الملحمة» ضد إسبانيا بتصديه لركلتين ترجيحيتين.

الكرة الأفريقية أخفقت في تجاوز ربع النهائي ثلاث مرات

وحمل المغرب الأعباء على كتف نجومه لبلوغ الدور نصف النهائي في مونديال قطر لكرة القدم، في إنجاز غير مسبوق لمنتخب إفريقي، بعدما أخفقت الكاميرون 1990 والسنغال 2002 وغانا 2010 في تجاوز ربع النهائي سابقاً.

وكانت الكاميرون أوّل دولة أفريقية تبلغ الدور ربع النهائي في كأس العالم وتحديداً في مونديال إيطاليا 1990 حيث اعتقدت «الأسود غير المروضة» أنها لمست المربع الذهبي.

ومرر روجيه ميلا كرة حاسمة إلى أوجين إيكيكيه ليمنح الأخير التقدم لمنتخب بلاده في الدقيقة 65 أمام انكلترا 2–1 فبدا أن الكاميرون وضعت قدماً في نصف النهائي.

وودّع اللاعبون، البعض منهم بقمصان بيضاء تبادلوها مع الانكليز، بلفة شرفية، بعد ملحمة لافتة لتخرج الكاميرون مرفوعة الرأس بعدما استهلت مغامرتها في المباراة الافتتاحية بفوز على الأرجنتين، حاملة اللقب، 1–صفر.

أما السنغال فوصلت إلى الدور ربع النهائي في أول مشاركة في تاريخها في كأس العالم. استهل منتخب «أسود التيرانغا» مغامرته في مونديال 2002 بالفوز على فرنسا، حاملة اللقب وأبرز المرشحين للاحتفاظ بالكأس، 1–صفر.

تابعت السنغال طريقها بتعادلين أمام الدنمارك 1–1 والاوروغواي 3–3.

وفازت على السويد 2–1 بهدف ذهبي بثنائية من هنري كامارا (37 و104) في أجواء احتفالية مجنونة، قادها قائد الاوركسترا الحجي ضيوف.

وتحطم الحلم السنغالي في ربع النهائي أمام تركيا (صفر–1 بالهدف الذهبي) فور بداية التمديد إذ سجل إيلهان مانسيز 94 الهدف الذي قاد بلاده إلى المربع الذهبي في ثاني مشاركة في كأس العالم.

وتبقى غانا المنتخب الأفريقي الذي اقترب أكثر من غيره في القارة السمراء من التأهل إلى نصف النهائي وذلك في مونديال جنوب أفريقيا 2010.

واحتاج منتخب «النجوم السوداء» إلى نفخة من الحظ للتأهل. حصل على ركلة جزاء في الدقائق القاتلة من الشوط الثاني الإضافي، لتقف العارضة حاجزاً أمام أحلام المسدد أساماوه جيان 120+1. وجعلت لمسة اليد المتعمدة الأوروغوياني لويس سواريس «شيطاناً» في غانا بعدما حال مهاجم «سيليستي» من دخول رأسية دومينيك أدياه المرمى 120+1. لكن جيان الذي نجح في ترجمة ركلتي جزاء في دور المجموعات أمام صربيا 1–صفر وأستراليا 1–1 ارتجف في الامتحان الأصعب.

ما هو النهائي المثالي لنسخة مثالية من كأس العالم؟

احمد عطا

فوز المغرب على إسبانيا ليس حدثًا يتكرر كل يوم، بل هي المرة الأولى في تاريخ العرب بكأس العالم التي يتأهل فيها أحد منتخباتهم إلى ربع نهائي البطولة.

لكي تفوز على منتخب بحجم إسبانيا فإن الإيمان لابد أن يكون حاضرًا. الإيمان وحده لن يكفيك للفوز لكن من دون الإيمان لن يمكن ذلك أبدًا، والحقيقة أن تفاؤلًا واضحًا كان سائدًا في الأجواء قبل تلك المواجهة بالنظر لما قدمه المغرب في دور المجموعات الذي أصبح معه أول منتخب أفريقي يتصدر مجموعته منذ أن فعلتها نيجيريا في 1998 والمصادفة أن تلك الكأس غادر فيها المغرب بسيناريو مؤلم لحساب النرويج التي فازت على البرازيل، وهو نفس السيناريو الذي لعبت فيه نيجيريا دور البرازيل آنذاك ومنحت باراغواي – التي لعبت دور النرويج– بطاقة التأهل لإقصاء إسبانيا التي لعبت دور المغرب وقتها.

لا يمكنك أن تقول أن المغرب لعب كالكبار، ففي البطولة المغرب كان واحدًا من الكبار ولم يلعب مثلهم فقط. شوط أول في غاية القوة بينما شهدت الأشواط التالية تراجعًا بدنيًا ورغم ذلك لم تخلُ من فرص مغربية كفيلة بالتسجيل لولا رعونة شديدة، لكن ياسين بونو كان في النهاية حاضرًا للذود عن مرماه في الأوقات الإضافية وفي ركلات الترجيح ليصبح ثاني حارس في تاريخ كأس العالم يحافظ على نظافة شباكه طوال 120 دقيقة وفي ركلات الترجيح كذلك.

قبلها كان الأمريكان يغادرون دور الـ16 أمام الهولنديين. شاهدت المباراة من المدرجات والحقيقة أن الجمهور الأمريكي كان أكثر سخونة من الهولندي، لكن هتافاتهم أشعرتني وأنني أشاهد مباراة كرة سلة بمصطلحات من نوعية «هيا يا شباب» و«هيا يا فريق» بالإضافة لهتافهم الأشهر «يو اس ايه» ربما فقط كان ينقصهم هتاف «defense defense!» لأتخيل أن ليبرون جيمس يتواجد على أرضية الملعب.

رغم كل المفاجآت التي شهدتها هذه البطولة إلا أنها مفاجآت لم تغير كثيرًا من مجريات الترشيحات، فالبرازيل ما تزال تقدم مستوى مبهرا وفرنسا ما تزال تسير بثبات، والأرجنتين رغم عدم تقديمها كما كان متوقعًا إلا أنها ما تزال مرشحة فوق العادة لنهائي مبكر بينها وبين البرازيل حتى وإن كان هذا النهائي المبكر في نصف النهائي لأن تلك المواجهة هي الوحيدة التي لم تحدث في نهائي البطولة بين أنجح 4 فرق في المسابقة البرازيل وألمانيا وإيطاليا والأرجنتين رغم أنها ربما ستكون المباراة الأقوى والأعنف والأشرس، تمامًا كالتي تحدث شبه يوميًا في مترو الدوحة وكنت شاهدًا على إحداها بين جماهير البرازيل والأرجنتين وكيف لا يطيق أحدهما الآخر. صحيح كانت المواجهة سلمية لكن الهتافات تعالت بين الاثنين اللذين يدركان أن المواجهة قد اقتربت وأنه على الأرجح سيأكلان هولندا وكرواتيا ويتفرغان لمواجهة يُسال فيها من الحبر أنهارًا، وتُكتب عنها من الأغاني أشعارًا.

فلا ننسَى أن أهم وأشهر أغنية في تاريخ كرة القدم هي «مارادونا أفضل من بيليه» تلك التي كُتبت خصيصًا بعدما فازت الأرجنتين على البرازيل في كأس العالم 1990 وأن أشهر أغنية في كأس العالم حاليًا والتي ستسمعها في كل مكان من أرجاء العاصمة القطرية هي «أريد الثالثة!» كانت قد كُتبت عقب فوز الأرجنتين على البرازيل في نهائي كوبا أمريكا العام الماضي، وقبل أن تظنني متحيزًا للأرجنتين فربما أنا كذلك على الأقل على مستوى الأغاني فمستوى الكلمات والألحان لجماهير التانغو لا يمكن أن تفوقها أغاني أخرى ومجرد سماعها لمرة وحيدة سيجعلك تذوب في حبها وحب الحانها. وربما يحمل أحدهم نظرية أخرى أن النهائي الأقوى والأعنف والأشرس هو الذي قد يمكن أن يحدث فعلًا بحسب مجريات القرعة وهو النهائي الذي قد يجمع بين ميسي وروناldو والفائز به قد يكون له الحظوة في إنهاء كل ذلك الجدل الذي دار على مدار 15 عامًا تقريبًا في صراع فردي لم نشاهد له مثيلًا في تاريخ كرة القدم، لكن أحوال رونالدو ليست على ما يرام فالشاب غونزالو راموس انتزع الأضواء في المباراة الأخيرة، وإن كسر فيرناندو سانتوس الجبل الجليدي الأول واتخذ قراره بإجلاس رونالدو على مقاعد الاحتياط فإن اتخاذ نفس القرار مجددًا ربما يكون أسهل .. وربما يكون أصعب! فجلوس رونالدو من جديد على الدكة أمام المغرب من شأنه أن يقضي على كريستيانو نفسيًا، فهو الذي سوق لأزمته مع مانشستر يونايتد على أن جلوسه احتياطيًا أمر لن يحدث إلا من مدرب «محدود» كتين هاج لكن ها هو رجله الأمين فيرناندو سانتوس يفعلها ويضعه في موقف محرج لم يستطع الخروج منه رغم اشتراكه لـ20 دقيقة كانت كافية للتسجيل في مباراة سحقت فيها البرتغال سويسرا بسداسية.

أما بالنسبة لي فإن العاطفة ستلعب دورها، فالنهائي المثالي هو الذي سأجد فيه وليد الركراكي يُرفع على الأعناق وياسين بونو يحمل الكأس وسفيان أمرابط يحمل جائزة الأفضل في البطولة.

كأس عالم ما يزال مثيرًا، جمع بين المفاجآت الصاخبة المدوية ومع ذلك حافظ على أغلب القوى التقليدية في صراع ناري في الأدوار النهائية، معادلة ليست بالسهلة على بطولة استعادت بريقها بشدة في تلك النسخة.

هل يمكن أن تخسر ثم تكسب كأس العالم؟

ظافر الغربي

هذا سؤال ارتسمت ملامحه في مونديال قطر 2022 بعدما تكررت هزائم المرشحين الكبار لإحراز الكأس في مرحلة المجموعات حيث تلاحقت المفاجآت على نحو غير مسبوق إذ فازت السعودية على الأرجنتين 2/1 وفازت اليابان على ألمانيا وعلى إسبانيا بالنتيجة ذاتها 2/1 وفاز المغرب على بلجيكا 2/0 وتونس على فرنسا 1/0 والكاميرون على البرازيل 1/0 كما فازت كوريا الجنوبية على البرتغال 2/1 ولم ينج أحدٌ تقريباً من مثل هذه الصدمات غير المتوقعة، ما يجعلنا نكرر السؤال هل يمكن أن تخسر إحدى مبارياتك ثم تفوز بكأس العالم؟ والجواب من كتب التاريخ يقول نعم، فقد حدث ذلك أربع مرات من قبل، فلِم لا يحدث مرة خامسة؟

ألمانيا 1954

في كأس العالم الخامسة في سويسرا وقعت ألمانيا الغربية في مجموعة واحدة ضمت معها المجر وكوريا الجنوبية وتركيا، ووقتها كان نظام البطولة غريباً حيث يلتقي كل فريقين ضمن المجموعة ثم يلعب الخاسران معاً ويلتقي الفائزان معاً فيتأهل الفائز من مباراة الفائزين بينما يلعب الخاسر فيها مع الفائز من مباراة الخاسرين لتحديد ثاني فرق المجموعة. هكذا لعبت ألمانيا مع تركيا وفازت عليها 4/1 كما فازت المجر على كوريا الجنوبية 9/0 ثم التقى الخاسران ففازت تركيا على كوريا 7/0 والتقى الفائزان وفازت المجر على ألمانيا 8/3 فالتقت ألمانيا مع تركيا مجدداً وفازت عليها 7/2 وتأهلت رفقة المجر، وفي ربع النهائي فازت ألمانيا على يوغسلافيا 2/0 ثم انتصرت على النمسا في نصف النهائي 6/1 وتأهلت إلى المباراة النهائية لتقابل المجر من جديد وتفوز عليها هذه المرة 3/2 وتحرز كأس العالم لأول مرة.

وألمانيا 1974 أيضاً

وعندما استضافت ألمانيا الغربية نفسها البطولة لأول مرة عام 1974 وقعت في مجموعة واحدة مع شقيقتها الشرقية، وفازت ألمانيا الغربية على أستراليا 3/0 وعلى تشيلي 1/0 وعندما تقابلت الألمانيتان في هامبورغ كانت مباراة سياسية بامتياز للمنتخب الألماني الشرقي، بينما كانت مباراة تكتيكية لألمانيا الغربية لأن خسارتها فيها كانت تعني وقوعها ضمن المجموعة الأسهل في الدور الثاني (نظام البطولة وقتها كان يقسم فرق الدور الثاني إلى مجموعتين) وبالفعل في الدقيقة 79 وحقق الشرقيون حلمهم واحتفلوا كما لو فازوا بكأس البطولة، بينما توصل المدرب الغربي هيلموت شون لهدفه الاستراتيجي فتجنب مجموعة البرازيل والأرجنتين وهولندا، وفاز الألمان الغربيون على يوغسلافيا 2/0 وعلى السويد 2/4 وعلى بولندا 1/0 وتأهلوا إلى المباراة النهائية ليحرزوا اللقب بفوزهم الصعب على هولندا 2/1 ليتوجوا للمرة الثانية رغم خسارة الدور الأول!

والأرجنتين 1978

في مونديال 1978 وقعت الأرجنتين المضيفة في المجموعة الأولى مع ثلاثة منتخبات أوروبية، ففازت على المجر 2/1 وعلى فرنسا 2/1 ثم خسرت مباراتها الثالثة أمام إيطاليا 1/0 لتتأهل إلى الدور الثاني الذي ظل يقام بطريقة المجموعات وهناك تعادلت الأرجنتين مع البرازيل سلبياً وفازت على بولندا 2/0 ثم انتصرت على بيرو في مباراة مشبوهة 6/0 لتبلغ النهائي وتهزم هولندا 3/1 وتتوج بلقبها الأول رغم خسارة الدور الأول!

وإسبانيا 2010

وفي جنوب أفريقيا وصل المنتخب الإسباني بعد فوزه بلقب اليورو كأحد أبرز المرشحين لإحراز اللقب لكنه صُدم بخسارة مباراته الأولى أمام سويسرا 1/0 إلا أنه سرعان ما تمكن من التعويض في مبارياته التالية ففاز على هندوراس 2/0 وعلى تشيلي 2/1 وتصدر فرق مجموعته، وفي الأدوار التالية استمر يفوز بهدف وحيد في كل مرة فتفوق على البرتغال وباراغواي وألمانيا في نصف النهائي ثم على هولندا في المباراة النهائية بعد وقت إضافي ليتوج بلقبه العالمي الأول ويصبح أقل الفرق فوزاً باللقب في إحراز الأهداف برصيد ثمانية أهداف طيلة البطولة!

هكذا إذن حدث الأمر أربع مرات من قبل ولا يوجد ما يمنع حدوثه مرةً خامسة خصوصاً وأن أربعة من المتأهلين إلى ربع النهائي في قطر 2022 عرفوا طعم الخسارة في الدور الأول فإن توج أحد هؤلاء الأربعة يكون الأمر قد تكرر للمرة الخامسة في تاريخ البطولة!

رضا الوالدين والنية والأسرة ملامح

رضا الوالدين والنية والأسرة والعمل الإنساني، إنها القوة الروحانية والإنسانية التي طبعت سلوك المنتخب المغربي، قبل وخلال مونديال قطر لكرة القدم، وكانت تبراسا تنير طريقه.

جالت مجموعة من صور لاعبي المنتخب المغربي وهم يقبلون رؤوس أمهاتهم أبرز الشاشات العالمية، بعد كل مباراة من المباريات التي يخوضها المنتخب في قطر ضمن منافسات كأس العالم.

صحيح أن الاتحاد المغربي للكرة كان له يد في جلب عائلات اللاعبين لقطر، لكن تصريحات مدرب المنتخب وليد الركراكي، تبرز الجانب الإنساني الذي يتميز به معظم اللاعبين، خصوصا أنه يردد دائما «ديرو النية»،(اعملوا بالنية).

أصبحت مقولة المدرب وليد الركراكي، «النية ورضاة (رضا) الوالدين» تميمة المنتخب المغربي خلال مساره بمونديال قطر.

وخاطب الركراكي في إحدى خرجاته الإعلامية، الجمهور المغربي قائلا: «إلى درتو النية، الكرة ضرب في البوطو وترجع (إذا عملتم بالنية، الكرة ستضرب العارضة وتذهب خارج مرمى المنتخب المغربي)».

وتحدث الركراكي في كثير من الحوارات الصحافية عن رضا والديه، كسبب مباشر في كل الإنجازات التي يحققها، معتبرا أن «رضا الوالدين وراء كل نجاح».

وقال: «كلشي من رضاة الوالدين، تهلاو في وليديكم (اهتموا بالوالدين)، وديرو النية والله مغاديش يخيبكم (والله لن يخيبكم)».

والتقطت الكاميرات عقب مباراة المنتخب المغربي ونظيره الإسباني بملعب «المدينة التعليمية» تقبيل وليد الركراكي لرأس أمه، عقب الانتصار التاريخي لمنتخبه، في ثمن نهائي المونديال.

لم تكن هذه حال وليد الركراكي فقط، بل التقطت الكاميرات للاحتفال وتقبيل رؤوس الأمهات.

وحرص أشرف حكيمي، مدافع نادي «باري سان جيرمان» الفرنسي، على عناق أمه والدموع تنهمر من عينيه عقب مباراة المنتخب المغربي أمام نظيره البلجيكي، كما قدم لها قميصه، وشارك عبر صفحته الخاصة بمنصة «إنستغرام» صورة علق عليها «أحبك أمي».

وهو ما قام به لاعب المنتخب الآخر سفيان بوفال، الذي ذهب لعناق والدته وقدم لها قميصه، عقب المباراة ضد المنتخب الكندي بمدرجات ملعب «الثمامة».

ولم تكن العلاقة مع الوالدين هي الصفة الإنسانية الوحيدة للاعبي المنتخب المغربي، فقد حرص أشرف حكيمي، على تمويل تهيئة وتجهيز ملعب لكرة القدم بحي في مدينة الدار البيضاء، على نفقته، وفق تقارير إعلامية مغربية.

وجاء ذلك عقب تواصل أبناء حي «لمكانسة» بالمدينة مع طاقم عمل اللاعب الدولي، من أجل اقتراح تمويل تهيئة وتجهيز ملعب لكرة القدم بالحي.

من جانبه، مول زكرياء أبوخلال، مهاجم المنتخب ونادي «تولوز» الفرنسي، إنشاء ملعب لأطفال قرية «دار بوعزة» في ضواحي بالدار البيضاء.

وحضر أبو خلال، وفق مقاطع فيديو أوردها الإعلام المحلي، تدشين الملعب الذي موّل إنشاءه، بعدما حل بالمغرب من أجل المشاركة في معسكر المنتخب الوطني المغربي.

عشية المباراة التي جمعت «أسود الأطلس» بـ«لاروخا» وصفت صحيفة «لافاندغورديا» الإسبانية المنتخب المغربي بفريق الأمم المتحدة، في إشارة إلى لاعبي المغرب المولودين بالخارج، وهو ما أغضب الجمهور المغربي.

ويبلغ تعداد مغاربة العالم حوالي 5 ملايين نسمة، حسب الإحصاءات الرسمية، ويضم المنتخب المغربي 14 لاعبا من أصل 26 ولدوا خارج أراضي المملكة.

اثنان منهم وُلدا في إسبانيا، وأربعة في هولندا، وثلاثة في فرنسا، وثلاثة آخرون في بلجيكا، وواحد في إيطاليا وآخر في كندا.

وصف وليد الركراكي التزام هؤلاء باللعب للمغرب بكونهم «مستعدون للموت من أجل الفريق والخطة» رغم الفرص التي قدمت لهم لحمل قميص بلد المهجر.

وفي حوار سابق مع صحيفة «ليكيب» الفرنسية، قال أشرف حكيمي حول اختياره اللعب للمغرب: «ثقافتي مغربية، في البيت نتحدث العربية، نأكل الطعام المغربي، أنا مسلم وشاهدت المباريات في المغرب مع والدي، الذي أخبرني الكثير عن اللاعبين الرائعين في البلد».

إنسانية ميزت «أسود الأطلس»

زميله حكيم زياش، صانع ألعاب نادي «تشيلسي» الإنكليزي، علق على الأمر بالقول، إن «اللعب مع المنتخب المغربي هو خيار اخترته لأنه اختيار القلب».

وكشف اللاعب الدولي المغربي السابق، مصطفى حجي في تصريحات إعلامية سابقة، بعد خلاف زياش مع مدرب المغرب السابق وحيد خليلوزيتش، أن «زياش يحب المغرب كثيرا».

وتابع حجي أن «زياش كان يرفض أن تسدد الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم، تكاليف سفره من وإلى المغرب عند استدعائه، وكان يدفع تكاليف تنقله من ماله الخاص، معبرا في كل مرة عن رغبته الكبيرة في اللعب للمنتخب الوطني».

وأفاد بأن «زياش كان يدفع ما يتقاضاه من الاتحاد المغربي إلى العاملين والمرافقين والطباخين في المنتخب».

وقوة المنتخب المغربي تتمثل في الطبيعة الإنسانية التي ظهرت لدى لاعبيه، وبرزت في مونديال قطر.

ورفع اللاعبون علم فلسطين، وقميصا يحمل اسم عبد الحق نوري، اللاعب المغربي السابق في نادي «أجاكس أمستردام» الهولندي، المصاب منذ 2017 بشلل دماغي يعجز عن الحركة بسببه، وذلك نتيجة إصابته في أحد المباريات مع ناديه.

وسبق للمغرب أن شارك في 5 نسخ ماضية من المونديال، كان أفضل إنجاز له الوصول إلى دور الـ16 في مونديال 1986 بالمكسيك.

(الأناضول)

المجموعة الأولى

المنتخب	لعب	فاز	تعادل	خسر	له	عليه	نقاط
هولندا	3	2	1	0	5	1	7
السنغال	3	2	0	1	5	4	6
الاكوادور	3	1	1	1	4	3	4
قطر	3	0	0	3	1	7	0

المجموعة الثانية

المنتخب	لعب	فاز	تعادل	خسر	له	عليه	نقاط
إنكلترا	3	2	1	0	9	2	7
الولايات المتحدة	3	1	2	0	2	1	5
إيران	3	1	0	2	4	7	3
ويلز	3	0	1	2	1	6	1

المجموعة الثالثة

المنتخب	لعب	فاز	تعادل	خسر	له	عليه	نقاط
الأرجنتين	3	2	0	1	5	2	6
بولندا	3	1	1	1	2	2	4
المكسيك	3	1	1	1	2	3	4
السعودية	3	1	0	2	3	4	3

المجموعة الرابعة

المنتخب	لعب	فاز	تعادل	خسر	له	عليه	نقاط
فرنسا	3	2	0	1	6	3	6
أستراليا	3	2	0	1	3	4	6
تونس	3	1	1	1	1	1	4
الدنمارك	3	0	1	2	1	3	1

المجموعة الخامسة

المنتخب	لعب	فاز	تعادل	خسر	له	عليه	نقاط
اليابان	3	2	0	1	4	3	6
إسبانيا	3	1	1	1	9	3	4
ألمانيا	3	1	1	1	6	5	4
كوستاريكا	3	1	0	2	3	11	3

المجموعة السادسة

المنتخب	لعب	فاز	تعادل	خسر	له	عليه	نقاط
المغرب	3	2	1	0	4	1	7
كرواتيا	3	1	2	0	4	1	5
بلجيكا	3	1	1	1	4	2	4
كندا	3	0	0	3	2	7	0

المجموعة السابعة

المنتخب	لعب	فاز	تعادل	خسر	له	عليه	نقاط
البرازيل	3	2	0	1	3	1	6
سويسرا	3	2	0	1	4	3	6
الكاميرون	3	1	1	1	4	4	4
صربيا	3	0	1	2	5	8	1

المجموعة الثامنة

المنتخب	لعب	فاز	تعادل	خسر	له	عليه	نقاط
البرتغال	3	2	0	1	6	3	6
كوريا الجنوبية	3	1	1	1	4	4	4
الأوروغواي	3	1	1	1	2	2	4
غانا	3	1	0	2	5	7	3